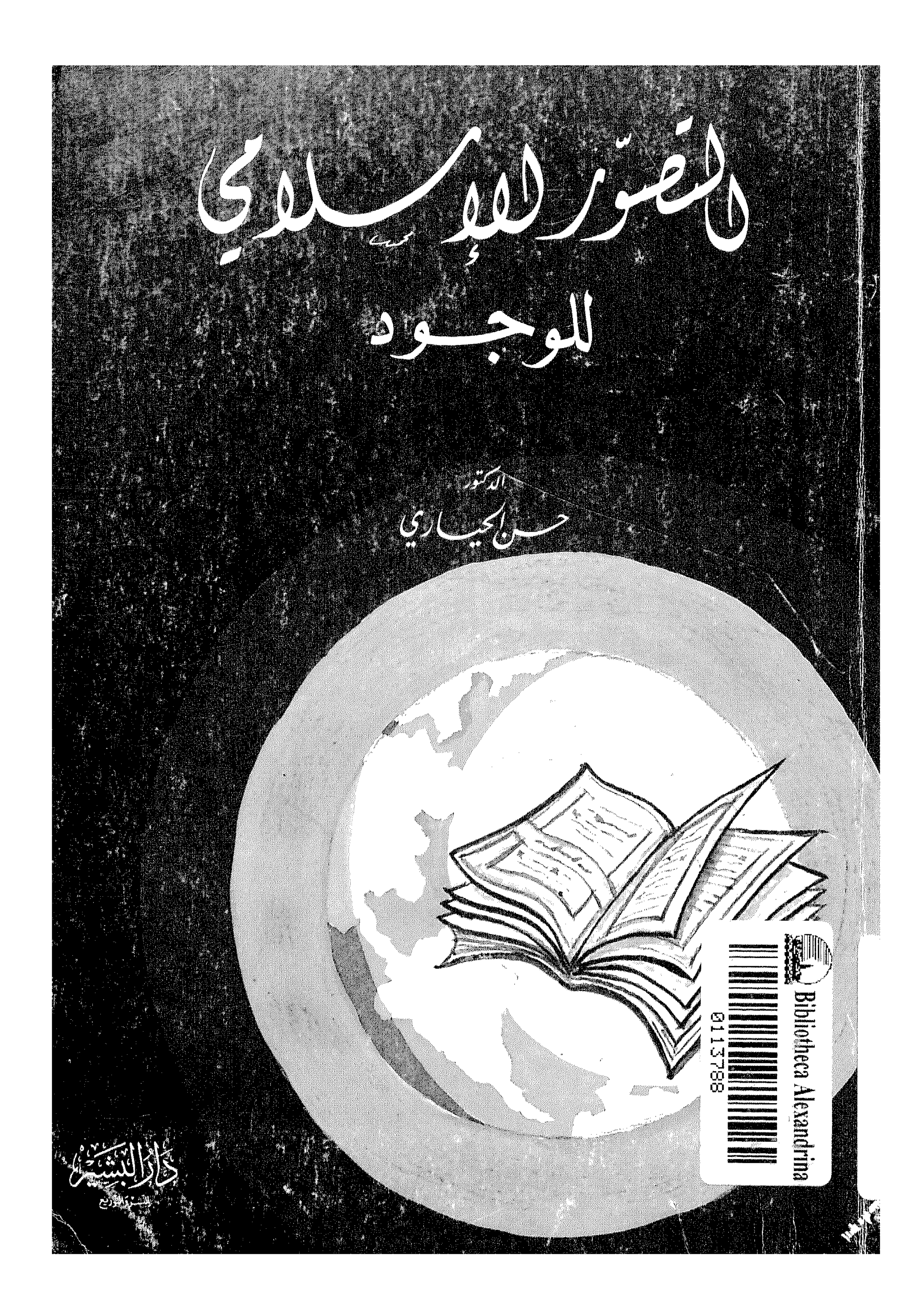

التصوّر الإسلامي
للوجود
الدكتور
حسن الحياري
دار البشير
Bibliotheca Alexandrina
0113788



التصور الإسلامي للوجود

مركز جوهرة القدس التجاري
العبدلي
عمان - الأردن

دار البشير
للنشر والتوزيع

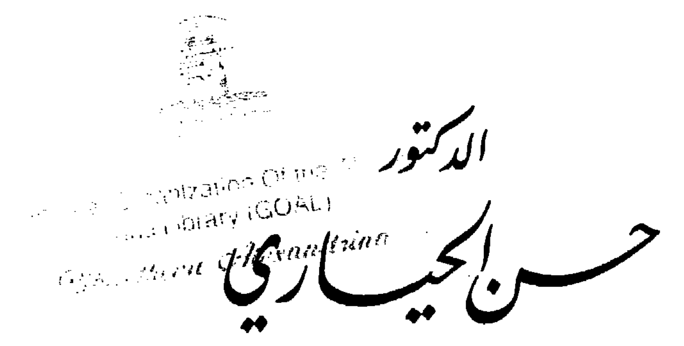
هاتف: (٦٥٩٨٩١) / (٦٥٩٨٩٢)
فاكس: (٦٥٩٨٩٣) / تلكس (٢٣٧٠٨)
ص.ب (١٨٢٠٧٧) / (١٨٣٩٨٢)

Tel: (659891) / (659892)
Fax: (659893) / Tlx. (23708)
P.O.Box. (182077) / (183982)

Dar Al-bashir
For Publishing & Distribution

Jerusalem Jewel center
AL-Abdali
Amman - Jordan

التصوّر الإسلامي للوجود



الدكتور

حسن الحياري

جامعة اليرموك

كلية التربية



دار البشير

للنشر والتوزيع



التصور الإسلامي للوجود

د. حسن الحياري



الإهداء

- الى روح والدي الطيبة التي انتقلت الى جوار باريها في اليوم الثاني من الشهر العاشر من السنة السادسة والثمانين وتسعمائة بعد الألف، تاركة دار البلاء والابتلاء لتستقر في البرزخ، منتظرة المثول امام الحق سبحانه وتعالى لتلج في دار الخلود.

فإليكَ والدي هذه الثمرة من ولد بار يلهج لسانه بالدعاء والتضرع الى الغفور الرحيم أن يجعلك من الكرام البررة مع الخالدين في جنة النعيم، وان يجعل هذا العمل مما لم تنقطع صلتك به بالدنيا خيطاً يربطك بالآخرة، وان يكتب لنا أجره.

- واليكِ والدتي الحبيبة، يا من جعل الله الجنة لي تحت أقدامك وفي حسن صحبتك، اليك يا من شاء الله ان يمد في عمرك لتكوني آية ساطعة ودرساً لمن حولك على الضعف بعد القوة، والهرم بعد الشباب، اليك هذا العمل مع دعاء من القلب ان يغفر الله لك ويرحمك، وان يكتب لك اجر عنائك ومعاناتك، انه سميع مجيب.

اللهم اغفر لهما وارحمهما كما ربياني صغيرا

ولدكما

حسن الحياري

ابو علي



شكر وامتنان

﴿بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. اياك نعبد واياك نستعين﴾، اللهم انني أشكرك شكراً صادقاً صادراً من القلب الذي ادعوك وأرجوك أن تثبته على الحق الذي اخترته لاصفيائك من خلقك، ولما يسرتني اليه من خدمة هذا الحق في كل ما عرضناه في هذا الكتاب الذي نرجو ان يكون زلفى تقربنا اليك، اللهم ان كان فيه زلل، فيسر لي تقويمه ويسر لي من يقوّمه.

واني أجد عليّ لزاماً ان أقدم كلمة عرفان بالجميل في عبارات صادرة من القلب صادقة الى علماء المسلمين الذين تتلمذت عليهم ولهم، وبهم تأثرت فكراً وصفاء عقيدة وعليهم بخاصة معقد أمل الامة وإمامها في رفع راية الله عالية نقية، فلهم أقدم الشكر الذي أقرنه بدعائي وتضرعي الى العلي القدير ان يجزيهم عني وعن المسلمين الصادقين في دينهم خير الجزاء.

والى اخي وصديقي الدكتور خليل عمايره حفظه الله ورعاه من كل مكروه كلمة تقدير صادقة، لانشغاله معي في قراءة هذا الكتاب ومراجعة مسوداته، رغبة منه في ان يراه متكاملاً بين ايدي القراء.

اللهم اني اسألك ان تجعله زلفى تقربنا اليك انك انت السميع العليم، اللهم تقبل.

د. حسن الحياري

ابو علي



إلهي

كفى بي فخراً
أنْ تكون لي ربّا
وكفى بي عزاً
ان اكون لك عبداً
أنتْ كما أُحبُ
فاجعلني اللهم كما تحبْ
وزدني اللهم علماً وحكمة
ويسّر لي أمري
ليفقهوا قولي .



بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ

(١٧٢) سورة الأعراف

يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

سورة الأنعام (١٣٠)

قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾

سورة الأعراف (١٥٨)

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾

سورة الحج (١١)

وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَـٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾

سورة الزخرف (٣٣ - ٣٤)



مُقـــدِّمَة

ان من اقـدس القضـايا واهمها على الاطلاق، التي قد يتناولها الانسان بالبحث والـدراسـة، هي قضيـة الحقيقة لما لها من آثار واسعة النطاق على مجريات الأمور التي تهم الانسان في كلا الدارين، وعلى الرغم من هذه الأهمية الكبيرة، الا ان الانسان بشكل عام لا يريد الحقيقة لذاتها، وانما لما تعكسه عليه من منافع دنيوية وأخروية. لذلك فان الانسان عبر تاريخه كان يبحث عن الحقـائق التي تنسجم مع الاهـواء الكامنة في ذاته، والالتفاف على الحقائق الساطعة التي لا تنسجم مع تلك القوى الشهوية التي وشجت عليها النفس الانسانية.

والحق ان الله سبحانه وتعالى بعث بالانبياء والمرسلين تترا رحمة وتلطفا منه بعباده بما يهم الانسان من حقائق تنير له وجوده الدنيوي والاخروي وقد تحمـل رسـل الله ومن تبعهم الشيء الكثيـر من العـذاب والـطرد، والتشريد وتلفيق التهم، والقتل في بعض الاحيان، ليس لشيء سوى انهم يُعلِّمون الناس الكتـاب والحكمـة والحقـائق الكـونية التي تنير لهم الدروب وتضعهم على المحجة البيضاء.

لذلـك فان البحث عن الحق والحقيقـة ليس بالأمر السهل اليسير الذي يستطيع ان يتناوله الانسان لما يعكسه من غضب وردة فعل اولئك الذين يصطدم الحق مع اهوائهم وامزجتهم المختلفة. هذا اذا ما عرفنا ان هذا النوع من الناس هم الكثرة على مر التاريخ. اضف الى ذلك ان البحث عن الحق يتطلب فهماً واسعاً وموضوعية عالية عند اولئك الذين يريدون ان يبحثوا في هذا المضمار.

وكمـا نعلم جميعاً ان الحق سبحانه وتعالى ختم المدد الرسالي بمحمد صلى الله عليه وسلم، واكمل نعمته على الانسان بالقرآن الكريم، الذي يحتوي على ما يحتاجه الانسان من حقائق كونية، وقضائية، واجتماعية، وسلوكية تنير له كافة السبل المؤدية الى سعادته في الدنيا والاخرة.

وبنـاء على هذه الحقـائق شيّـد رسـول الله صلى الله عليـه وسلم دولتـه الفاضلة، مورد النور والحرية، حيث كان شعارها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليصلوا بذلك الى اعلى مراكز الشرف التي لم تسبقهم اليها امة عبر تاريخ الانسانية، حيث وصفهم الحق سبحانه وتعالى بانهم خير امة اخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ولكن هذه الأمـة المسلمة لم تستمر بهذه الصورة المشرقة مدة طويلة، حيث يعـود ذلك الى طبيعة النفس الانسانية وما تصبو إليه من تحقيق غايات واهواء ذاتية، هذا بجانب طبيعة الحياة الدنيا وما تجسّد فيها من ابتلاء وغرور. وهـاتـان الاسـاسيتـان (طبيعة النفس الانسانية، وطبيعة الحياة الدنيا) شكلتا القاعدة الأساسية عند الانسان للانحراف عن الحق والحقيقة. لذلك ظهرت الممـارسـات العـديـدة المنـاهضة للحق الذي يفوح به الدين الاسلامي في المجتمعـات الاسلامية، سواء أكانت هذه الانحرافات بتأليف الكتب الضالة المضلة، أم بالممـارسـات اليـوميـة في شتى مجالات الحياة التي بنيت على المحسـوبيـة والمزاجية المفرطة. وبهذا يكون التناقض كبيراً بين المسميات والممـارسـات، وهذا التناقض بعينه الذي رجمه الغرب عندما اراد ان يشيد حضـارتـه الحـالية، حيث انسجمت افكارهـم مع افعالهم وسلوكهم، وبهذا التمايز والانسجام بين السلوك والفكر تقدم الغرب على الذين يقطنون الأرض المقدسة ومن حولها، مهبط الوحي وموطن الانبياء والرسل. لذلك ليس غريباً ان الانـظمـة والقوانين هي التي تحكم بين الناس وتسيطر على سلوكهم في المجتمعات الغربية، والمثول العادل للجميع امام القضاء. بينما نجد العكس تماماً يحدث في المجتمعات الاسلامية، حيث المحسوبية والمزاجية الانسانية

المفرطة في شتى امور الحياة، بالرغم من قربهم من مورد الحق والحقيقة، القرآن الكريم الذي انزله الله بلغتهم، والسنة النبوية الطاهرة، سنة النبي العربي، وهذا يعود الى الازدواجية والتناقض بين الاعتقاد والسلوك.

ولقد حاولنا في هذا الكتاب ابراز التصور والمفهوم الاسلامي لجميع المعضلات العاتية التي كلفت البشرية الشيء الكثير من الدراسة والبحث والتخبط في أبحر الظلمات لصعوبة الوصول الى مكنونات تلك المعضلات بواسطة العقل البشري. ولقد تناولنا تلك المواضيع الأساسية مبتعدين كل البعد عن الواقع العليل الذي تعيش فيه المجتمعات الاسلامية، مؤكدين ان الفكر الاسلامي هو ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية الطاهرة وقد يكون هذا الفكر واقعاً معاشاً في حالة وضع كل ما جاء في الكتاب الكريم والسنة النبوية الطاهرة حيز التطبيق في أي مجتمع كان، سواء أكان المجتمع عربياً ام اعجمياً. لذلك يتمنى الكاتب على القارىء الكريم ان ينظر الى الفكر الاسلامي من خلال الآيات القرآنية الكريمة، والسنة النبوية الطاهرة، والممارسات الصحيحة لذلك الفكر اينما وجدت.

وقد حاول الكاتب جاهداً بوسع الطاقة الانسانية ان يلزم جانب الموضوعية مبتعداً عن كل دروب الالتواء والمحاباة، كما انه لن يتوانى ان يقبل اية حقيقة دون الالتفات الى موضوعها ومصدرها طالما انها تمثل الحقيقة أو تنبثق عنها. لذلك فان كاتب هذه السطور خاطب الانسان بالقضايا الأساسية التي تهمه، ليصل بنفسه الى سدرة الصواب دون مظاهرة فكر على اخر، أو فئة على اخرى. ولَم لا وهو ينشد الحقيقة فقط!

انني اتوجه بشكري، وتقديري، واحترامي لكل من يلفت انتباهي الى اية فكرة أو معلومة تجانب الحق والحقيقة ليتسنى لنا ان نتكاتف ونتعاضد في الوصول الى حقيقة الامور وسدادها، التي تهمنا جميعاً.

وهناك ملاحظة هامة لا بد من ابرازها، وهي استخدام كلمة الفلسفة الاسلامية ففي الواقع ان هذا المصطلح استخدمَ كوظيفة وليس كمعنى للفلسفة الذي وضعه الفلاسفة، حيث أن الذي يسلم أمره للباري عز وجل، وينيب،

ويستقيم، ويتبع نهج الله القويم، تكون فلسفته للوجود منبثقة من هذا النهج الالهي القويم، وبذلك تكون فلسفته اسلامية .

لقد احتوى هذا الكتاب على ثلاثة عشر فصلاً في كل واحد منها تمت مناقشة وابراز حقيقة قضية اساسية من الموضوعات الهامة التي شدّت انتباه البشرية منذ فجر تاريخها . فقد بيّنا في الفصل الأول حقيقة الفكر الفلسفي الاسلامي بعد أن عرضنا تعريف الفلسفة والغاية منها، والفكر الفلسفي البشري بمدارسه المتعددة ثم القينا بعض الضوء على الأقوال المتعددة والاراء المتفاوتة حول الفلسفة الاسلامية . واخيراً بينا ان ماهية وطبيعة الفلسفة الاسلامية هي كل ما جاء في القرآن الكريم من آيات بينات وما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من احاديث نبوية شريفة .

وقد تناولنا في الفصل الثاني، خصائص النهج الاسلامي بعد ان قدمنا لذلك بمقارنة بسيطة بين النهج الالهي والفكر الفلسفي البشري. وقد تبين ان من خصائص هذا النهج الالهي، الٰهية المصدر، والصدق والثبات، والعموم، والشمول والعدل والمساواة، والدستور الذاتي، والرحمة - البشرى - الهدى، والحكمة، وسدرة الصواب، وقوة التأثير.

وتطرقنا في الفصل الثالث الى الحكمة من حيث الماهية والأهمية . وبيّنا كيف ان القرآن الكريم يعد المورد الفياض للحكمة .

اما الفصل الرابع، فقد تناولنا بحثاً ودراسة، الانسان وعلاقته بالحقيقة، حيث عرضنا موجزاً لأغلب الدراسات الانسانية التي تناولت الانسان وسماته المتعددة ثم عطفنا بنظرنا الى مورد الحق والحقيقة، القرآن الكريم، لنرى كيف وصف لنا خالق الانسان الانسان وما وشجت عليه عروقه وانطوت عليه سريرته من مواصفات سواء اكانت ظاهرة للعيان ام خفية . وقد لاحظنا ان الانسان يتصف بحب الشهوات، والازدواجية والتناقض، والتسرع في اصدار الأحكام، وانكار الحقيقة ومقاومة اتباعها . الا من اتصل قلبه بالرحمن واستنار بنوره

المبين، فانه يأتي الشهوات المحببة للنفس البشرية بالطرق والوسائل التي احل الله للانسان، كما انه يمتاز بالصدق والثبات والتروّي في اصدار الاحكام، هذا بجانب التسليم الكامل للحقيقة ومناصرة اتباعها.

وقد بحثنا في الفصل الخامس، العقل ودوره في الوصول الى الحقيقة، حيث بيّنا في هذا الفصل، اهمية العقل، والمفهوم الفلسفي للعقل، ومفهوم علماء المسلمين للعقل، وطرق ومراحل مخاطبة الحق للعقل الانساني وهي: مرحلة التبليغ والتجريب، والمرحلة الحسية، ومرحلة التفكير والتفكر، ومرحلة الاستدلال والانتزاع، ومرحلة الآيات والمعجزات، ومرحلة تلبية الطلبات ومرحلة المقارنة ومرحلة التحدي. وقد تبين بجلاء الفرق الشامخ بين نظرة الانسان للعقل الانساني ونظرة الخالق سبحانه وتعالى. ففي الوقت الذي أقحم الانسان عقل الانسان في امور لا يقوى عليها، لانها خارج طوق وسائله وقدراته التي جسدها رب العزة في هذا النوع من الخلق، نرى من جهة أخرى ان قسماً من الفلاسفة قد اهانوا العقل الانساني وسلبوه جزءاً كبيراً من قدراته، عندما اعلنوا بصراحة ان هذا العقل لا يقبل ولا يسلّم الا لكل ما هو محسوس. وفي مقابل ذلك وجدنا حكمة الباري عز وجل وهو يخاطب الانسان في المراحل سالفة الذكر، ويحثه على استخدام عقله بما يتناسب مع هذا العقل من قدرات وما يليق به من مكانة.

وقد ابرزنا في الفصل السادس مصادر المعرفة التي قد يعتمد عليها الانسان في الوصول الى سدرة الصواب في القضايا الأساسية التي تهم الانسان. فقد بيّنا المصادر الفلسفية للمعرفة وهي: نظرية الاستذكار الافلاطونية، والنظريات العقلية، والنظرية الحسية. ثم بيّنا المصادر الاسلامية للمعرفة وهي: نظرية العهد والتذكر، والنظرية الحسية، والنظرية العقلية، ونظرية الانتزاع والاستدلال، والوحي والتبليغ.

وقد تم في الفصل السابع عرضاً لموضوع الخير والشر وكيفية تحديد كلٍ منهما فقد بينا المفهوم الانساني الفلسفي للخير والشر، ومن ثم وضحنا المفهوم

الذي وضعه الفلاسفة . حيث ان الذي يسلم امره للباري عز وجل، وينيب، الاسلامي للخير والشر عن طريق ابراز بذرة الشر، وطريق الشر ونهجه ، ومنبع الخير، وطريق الخير ونهجه . وقد تبين ان الشر كله يكمن في الشيطان واتباع طرقه وسبله ، كما ان الخير كله يكمن في النور السماوي المبين واتباعه في شتى مجالات الحياة .

وقد تطرقنا في الفصل الثامن الى مكانة الانسان في الكون ، حيث عرضنا المفهوم الانساني الفلسفي للانسان ومكانته . ثم بيَّنا المفهوم الاسلامي للانسان ومكانته بما يحتوي عليه من مكانتين متضادتين ، المكانة السامقة وكيفية الحفاظ عليها ، والمكانة السفلى أو الدنيا وسبب الارتكاس فيها .

فقد تبين ان الانسان يستطيع ان يحافظ على مكانته السامقة الغراء طالما التزم بالنهج الألهي القويم ، وينحدر من عليائه ليرتكس دون الحضيض عندما يبتعد عن النور الالهي ، ويتبع غيره من السبل .

وقد تم في الفصل التاسع دراسة موضوع علاقة الفرد بالجماعة ، حيث تم طرح المفهوم الانساني الفلسفي لهذا الموضوع ، ثم تمّ بيان المفهوم الاسلامي للعلاقة بين الفرد والجماعة .

اما بالنسبة الى الغيب ، وماهيته ، وانواعه فقد تمت دراسته في الفصل العاشر . فقد بيَّنا المفهوم الفلسفي للغيب سواء عند الذين تحذلقوا فيه ورجموه ، أم عند الذين أنكروه وجحدوه . ثم أوضحنا الغيب في ضوء النهج الألهي . وقد تبين ان الله وحده الذي يعلم الغيب . كما ابرزنا علاقة الانبياء والرسل بالغيب ، ووجوب الايمان بالغيب كما هو لكل من اناب واستقام على النهج الرسالي المنير . كما تطرقنا الى انواع الغيب كما جاءت في القرآن الكريم ، سواء الغيب المتصل بعالم الشهادة وما يحتوي عليه من غيب الماضي ، وغيب الحاضر ، وغيب المستقبل ، أم الغيب المتصل بالعالم العلوي .

ثمّ تناولنا موضوع الذات الالهية في الفصل الحادي عشر، حيث تطرقنا الى المفهوم الفلسفي الانساني للذات الالهية، وكل ما جاء به الانسان من شطط القول حول هذا الموضوع، ثم بيَّنا المفهوم الاسلامي السامق للذات الالهية.

وقد تطرقنا في الفصل الثاني عشر الى موضوع طبيعة الكون وما دار حوله من افكار انسانية فلسفية، ثم بينا المفهوم الاسلامي للكون وطبيعته، وان هناك عالم الشهادة، وعالم الغيب.

اما في الفصل الأخير فقد تعرضنا الى موضوع الانسان والخلود، هذا الموضوع الذي شغل البشرية كثيراً، وما زال يشغلها ويشدّ انتباهها حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فقد تطرقنا في هذا الفصل الى ثلاث افكار اساسية وهي: الروح، والبرزخ، والبعث. فقد بينا المفهوم الاسلامي للروح بعد ان عرضنا المفهوم الانساني لها. ثم بينا المفهوم الاسلامي للبرزخ من حيث المعنى، والمدة، والمكان، والعذاب والنعيم فيه، وسبل الاتصال بين الاحياء والاموات، وكينونة الانسان في البرزخ. ثم بينا المفهوم الاسلامي للبعث بعد ان عرضنا المفهوم الانساني. فقد تبين ان البعث يكون للانسان كلا متكاملاً، روحاً وجسداً، وليس روحاً كما ذهب اليه الفلاسفة.

وقد اعتمدنا كلياً على كتاب الله وسنة نبيه الأمين في دحض الاراء والأقوال التي جَانبَ بها الفلاسفة الحقيقة، وابراز حقيقة الامر وسداده في القضايا الاساسية التي بحثت في هذا الكتاب.

والله ولي التوفيق

المؤلف

د. حسن الحياري



الفصل الأول

حقيقة الفكر الفلسفي الإسلامي

- تعريف الفلسفة
- الغاية من الفلسفة
- الفكر الفلسفي البشري
  - الفلسفة الطبيعية
  - الفلسفة المثالية
  - الفلسفة الواقعية
  - الفلسفة البراجماتية
  - الفلسفة الوجودية
  - الفلسفة الشيوعية
- الفكر الفلسفي الإسلامي

ماهية الفلسفة الإسلامية وطبيعتها



بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾

الأعراف (٣٥ - ٣٦)

ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٣﴾

سورة المائدة (٣)

وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ﴿٣٦﴾

سورة الإسراء (٣٦)

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٧١﴾

سورة المؤمنون (٧١)



حقيقة الفكر الفلسفي الإسلامي

إن كلمة فلسفة مستمدة من اللغة اللاتينية، وهي تعني الرغبة في البحث من أجل اكتشاف الحقائق. ومناقشة هذه المعلومات وتقييمها، ثم جمع المعلومات التي تدور حول الانسان والكون بطريقة يسهل فهمها وتقييمها، والاعتقاد الفكري والسلوك العملي وفق ما تمّ التوصل إليه من حقائق.

وقبل أن نتطرق الى الفلسفات المختلفة من حيث التاريخ، والمباديء الأساسية، واشهر زعماء كل فلسفة، لا بد أن ننوه بعدد من الابحاث الفلسفية بعد أن نتعرض الى التعريفات المختلفة للفلسفة.

الفلسفة عند افلاطون.

«الفلسفة هي التشبه بالإلٰه بقدر الطاقة الانسانية»[1].

الفلسفة عند ارسطو.

«الفلسفة تبحث في طبيعة الوجود كما هو»[2].

الفلسفة عند الكندي.

«يعد الكندي من الفلاسفة البارزين في تاريخ الفكر الفلسفي الإسلامي؛ ذلك أنه أول فيلسوف عربي مسلم وقف على الفلسفة اليونانة وأفاد منها، وحاول أن يلبسها ثوباً اسلامياً خالصاً.

---

(١) د. أحمد الاهواني، افلاطون، ص١٢٤

(٢) محمد مغنيه، معالم الفلسفة الاسلامية، بيروت ١٩٧٣، ص١٤

ذلك أن الرجل مع اعجابه الكبير بالفلسفة اليونانية، إلا ان ايمانه بالدين الإسلامي كان أكبر بكثير من اعجابه بالفلسفة اليونانية»[1] «وقد عرف الكندي الفلسفة بأنها البحث، أو ان شئت النظر العقلي الخالص الذي يهدف الى كشف الحقيقة والوصول اليها»[2].

كما ان الكندي وضع حداً للفلسفة حينما قال «ان اعلى الصناعات الانسانية منزلة، وأشرفها مرتبة صناعة الفلسفة التي حدها علم الأشياء بحقائِقها بقدر طاقة الانسان، لان غرض الفيلسوف في علمه إصابة الحق وفي عمله العمل بالحق»[3].

الفلسفة عند الفارابي.

يقول الفارابي في كتابه «الجمع بين الحكيمين».
«إن الفلسفة حدها وماهيتها أنها العلم بالموجودات بما هي موجودة»[4].

الفلسفة عند اخوان الصفا.

«الفلسفة أولها محبة العلوم وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية، وآخرها القول والعمل بما يوافق العلم»[5].

الفلسفة عند الشيرازي.

«إعلم أن الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ما هي عليها، والحكم بوجودها تحقيقاً بالبراهين لا أخذاً بالظن والتقليد

---

(١) د. فيصل عون، الفلسفة الاسلامية في المشرق، القاهرة، ١٩٨٢، ص١٠٣

(٢) المصدر السابق ص ١٠٩

(٣) رسائل الكندي الفلسفية، نشرة د. أبو ريده. ص٣٧

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، . مصطفى عبد الرازق، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثالثة، ص٤٩.

(٥) المصدر السابق ص ٥٤ ـ ٥٥

بقدر الوسع الانساني»[1].

الفلسفة عند ابن حزم.

يقول في كتابه «الفصل في الملل والنحل» «الفلسفة على الحقيقة، انما معناها وثمرتها والغرض المقصود نحوه بتعلمها، ليس هو شيئاً غير إصلاح النفس بأن تستعمل في دنيا الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في المعاد، وحسن سياستها للمنزل والرعية وهذا نفسه، لا غيره، هو الغرض في الشريعة، هذا ما لا خلاف فيه بين احدٍ من العلماء بالفلسفة ولا بين احد من العلماء بالشريعة»[2].

الفلسفة عند الطباطبائي.

«الفلسفة هي البحث الذي يهدف الى اثبات الوجود الحقيقي للأشياء، وتشخيص علل واسباب وكيفية ومرتبة وجودها»[3].

الفلسفة عند مغنية.

«اما الفلسفة فهي العلم الوحيد الذي يبحث في الوجود مجرداً عن كل قيد، وبقطع النظر عن كونه طبيعياً أو غير طبيعي»[4].

الفلسفة عند Webster.

«الفلسفة هي حب الحكمة، والعلم الذي يبحث عن الحقائق واساسياتها،

---

(١) المصدر السابق ص ٥٧ ـ ٥٨

(٢) المصدر السابق ص ٧٧

(٣) اسس الفلسفة والمذهب الواقعي، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ص ٤٤ ـ ٤٧

(٤) معالم الفلسفة الاسلامية، محمد جراد مغنية، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، ١٩٧٣ ص١٤.

وعن طبيعة الانسان واتجاهاته»[1].

الفلسفة عند Zeigler .

«أنهـا العلم الـذي يبحث عن الحقـائق، وعن اسـاسيات الحقيقـة ومشكلاتها، لمحاولة وصف تلك الحقائق وتحليلها وتقييمها»[2].

«الغاية من الفلسفة»

يقول ابن حزم إن الغرض المقصود من تعلم الفلسفة، هو اصلاح النفس بأن تستعمل في دنيا الفضائل وحسن السيرة المؤدية الى سلامتها في المعاد، وحسن سياستها للمنزل والرعية وهذا هو نفسه الغرض من الشريعة[3].

«إن في علم الأشياء بحقـائقهـا، علم الربوبية، وعلم الوحدانية، وعلم الفضيلة، وجملة علم كل نافع والسبيل اليه والبعد عن كل ضار، والاحتراس منه، واقتناء هذه جميعاً هو الذي اتت به الرسل الصادقة عن الله جل ثناؤه. فان الـرسل الصادقة صلوات الله عليها انما أتت بالاقرار بربوبية الله وحده وبلزوم الفضائل المرتضاة عنده وترك الرذائل المضادة للفضائل في ذواتها وايثارها»[4].

بعـد أن أشرنا الى التعريفات المتعددة للفلسفة، وما انطوت عليه من افكار متقاربة ومتضاربة، فاننا نستطيع ان نقول بأن الهدف الاسمى من الفلسفة هو الوصول الى حقائق ومواطن الأمور أو الأشياء، ومن ثم التصرف والسلوك في ضوء ذلك. فالأساس الأول هو الوصول الى حقائق الأمور والأشياء، بغض النظر عن السبـل والـطرائق المتبعـة. والأساس الثاني يتجسد في الالتزام الفكري

---

(١) James, A. Baley, e tal. physical Education and the physical Educator, Boston, 1976. pp. 225

(٢) William A. Harper, etal., The philosophic process in physical Education U.S.A. 1979 pp. 98

(٣) تمهيد لتـاريخ الفلسفة الاسلامية، مصطفى عبد الرازق، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٧٧

(٤) رسالة الكندي في الفلسفة الاولى ص ١٠٤

والسلوكي في ضوء تلك الحقائق التي تم الوصول اليها. واذا لم يأخذ الأساس الثاني مكانه فان البحث عن الحقيقة يعتبر مضيعة للوقت ونوعاً من انواع العبث الذي يجب ان يبتعد عنها كل ذي لب وجنان. وهذا يشير الى ان معرفة الحقيقة وعدم الالتزام بها مهما كلف الأمر يعني ان معرفة الحقيقة وعدمها سيان.

وفي ضوء ما تقدم يمكننا ان نقول بأن الوصول الى الحقائق يمكن ان يكون من خلال مصدرين. المصدر الأول هو كل ما يستطيع ان يعرفه الانسان من حقائق عن طريق الهدى والنور السماوي الذي وعدنا الله به؛ لكي لا يكون للناس على الله حجة. اما بالنسبة الى المصدر الثاني فهو كل ما توصل اليه البشر من معرفة حقائق.

لذلك فإن الفكر الفلسفي على هذا الأساس يمكن ان يقسم الى شطرين؛ الشطر الأول، الفكر الفلسفي الإسلامي، والشطر الثاني، الفكر الفلسفي البشري.

«الفكر الفلسفي البشري»

يعد الفكر الفلسفي البشري نتاج الفلاسفة الذين قد صرفوا جزءً كبيراً من حياتهم لدراسة حقول العلم والتوسع في المعرفة من أجل تأهيل انفسهم للبحث عن الحقيقة وقد استطاع الفلاسفة أن ينسجوا فكراً فلسفياً متعدداً ليؤدي الى ولادة عدة مدارس فلسفية، وسوف نتعرض الى هذه الفلسفات بايجاز.

الفلسفة الطبيعية NATURALISM

تعد من اقدم الفلسفات البشرية ظهوراً، حيث يرجع تاريخها الى القرن السادس قبل الميلاد، على يد فلاسفة ملسان (Milesian philosophers) الذين كانوا يقطنون في شرق تركيا. ويعد ثالس زعيم هؤلاء الفلاسفة، وهو الذي صرّح بضرورة الماء لكل شيء. ويعتبر الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو Jean Jacaues Rousseau) رائد هذه الفلسفة. ومن اهم مباديء هذه الفلسفة:

١ ـ الشيء الوحيد الحقيقي في هذا الكون الطبيعة.

٢ ـ الطبيعة هي مفتاح الحياة، وان كل شيء نعمله هو جزء من الطبيعة.

٣ ـ كل شيء في هذه الحياة يتحرك حسب قوانين الطبيعة.

٤ ـ الطبيعة لا تتغير لذلك يمكن الاعتماد عليها.

٥ ـ ان كل فرد يُعد أهم من المجتمع فعلى ضوء ذلك فان اهداف المجتمع تعتبر ثانوية اذا ما قورنت بأهداف الفرد[١].

الفلسفة المثالية (IDEALIZM)

يعد سقراط (Socrates. 469-399 B.C) أول من بحث في الفلسفة المثالية، إلا

---

(١) William H. Freeman, physical Education in a changing society U.S.A. 1977. pp. 129

ان هذه الفلسفـة تقترن باسم افلاطون (Plato, 427-347 B.C) لانه هو الذي دونها ورتبها بشكل مفصل. ومن اهم مبادىء الفلسفة المثالية:

١ ـ جميع الاشياء الحقيقية تأتي من العقل.
٢ ـ ان الانسان يترجم ويحلل كل شيء بواسطة العقل.
٣ ـ وجود الانسان في هذه الحياة يرتكز تماماً على العقل.
٤ ـ ان الانسان اهم من الطبيعة.
٥ ـ ان القيم الخلقية لا تتأثر بسلوك الافراد حيث انها ثابتة لا تتغير حسب الظروف.
٦ ـ ان الانسان لديه الحرية في ان يختار بين الصواب والخطأ.
٧ ـ العقل يُعدّ القوة الرئيسية التي تساعد الفرد لكشف أسرار الكون[١].

الفلسفة الواقعية (REALiZM)

يعد ارسطو (Aristotle, 384-322 B.C) زعيم الفلسفة الواقعية، كما انه من احد تلامذة افلاطون. ومن اهم مبادىء هذه الفلسفة:

١ ـ ان العـالم جزء من الطبيعة ويمكن التعرف على أسراره عن طريق الاحاسيس والخبرات.
٢ ـ جميع الاشياء المادية التي تحدث في هذا العالم تعتمد على القوانين الطبيعية.
٣ ـ يمكن للانسان معرفة الحقيقة عن طريق الاسلوب العلمي علماً بأن الانسان لا يستطيع ان يعرف كل شيء.
٤ ـ لا يمكن فصـل العقـل عن الجسم، كمـا انـه لا يوجد اي سيطرة لاحدهما على الأخر ولكن هناك علاقة منسجمة بين الاثنين.
٥ ـ الفلسفة المثالية والواقعية تجيزان تواجد الدين والفلسفة مع بعضها البعض[٢].

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٢ (٢) المصدر السابق ص ١٣٤

الفلسفة النفعية، البراجماتية (PRAGMATISM)

إن هذه الفلسفة تعد المشاركة الامريكية الجادة في الفكر الفلسفي، ويعود الفضل في هذا العمل الفلسفي الى كل من:

(١) تشارلز بيرس

Charles S. perice-1839-1914)

(٢) وليم جيمس

(William James-1842-1910)

(٣) جون ديوي

(John Dewey-1859-1952)

ومن أهم مباديء هذه الفلسفة:

١ - كل شيء في هذه الحياة قابل للتغير ما عدا الموت حيث ان الصفة السائدة لكل شيء هو التغيير.

٢ - كل فرد يعد جزءاً من المجتمع وله دور معين فيه، وان تصرفات الفرد تؤثر في المجتمع.

٣ - اهداف الافراد واهداف المجتمع يجب ان تكون في خط واتجاه واحد.

٤ - ان الطريقة المثلى لمعرفة قيمة النظرية والحكم على الحقيقة هو البرهان عن طريق العمل فاذا ثبت نجاحه فان القيمة تعطى على هذا الاساس[١].

الفلسفة الوجودية (EXISTEN TIALISM)

إن الفكر الفلسفي الوجودي برز الى حيز الوجود على يد العالم الدنماركي (Soren Kierkegaard, 1813-1855)، ومن زعمـاء هذه المدرسة الفيلسوف الالماني المعاصر (Martin Heidegger, 1889-1976) ومن أشهر زعماء هذه الفلسفة الفيلسوف

(١) المصدر السابق ص ١٣٦

الفـرنسي الشهير سارتر (Jean-Paul Sartere) . ومن اهم المباديء الأساسية لهذه الفلسفة ما يلي :

١ ـ ان الوجود الانساني هو الحقيقة الوحيدة في هذه الكون.
٢ ـ كل انسان له الحق ان يحدد القيم الحياتية لنفسه.
٣ ـ يعـد الفـرد اهم من المجتمع، لذلك يجب ان يكون التركيز على اهداف الفرد أولاً.
٤ ـ إن الأشياء السيئة لا يمكن تغييرها[١].

الفلسفة الشيوعية (COMMUNIZM)

هي مفهوم مادي للحياة بطريقة ديالكتكية (جدلية). ومن زعماء هذه الفلسفـة لينين (Lenin,1870-1924) وستـالين (Stalin, 1879-1953) . ومن أشهر رواد هذه الفلسفة الفيلسوف الالماني الشهير كارل ماركس (1818-1883) . ومن أبرز مذاهب هذه الفلسفة المذهب الاشتراكي.

ولكن عندما استطاع زعماءُ هذه الفلسفة الوصول الى السلطة على أثـر الثـورة البلشفية سنة ١٩١٧ وحاولوا جاهدين تطبيق الفكر الفلسفي الشيوعي لـم يتسنّ لهم ذلك للتعارض الواضح بين الفكر المراد تطبيقه من جهة، والنزعات والدوافع الانسانية الفردية من جهة اخرى. لذلك كان لا بد من اقامة نظام اشتراكي مرحلي، حتى يتم تطوير الانسانية من حيث الدوافع والنزعات والافكار الفردية لتصبح دوافع ونزعات وافكاراً جماعية بعد الانتهاء من المرحلة الاشتراكية، ومن ثم ستطبق المباديء الشيوعية بالكامل.

---

(١) المصدر السابق ص ١٤٠

الفكر الفلسفي الإسلامي

مقدمة.

قبل ان نتطرق الى تاريخ الفلسفة الإسلامية، والتعرف الى حقيقتها وماهيتها، لا بد من الالتفات الى ما قاله الفلاسفة والمفكرون حول الفلسفة الإسلامية.

يقول المستشرق جوتييه، استاذ تاريخ الفلسفة الإسلامية في الجزائر: «ان الفلسفة اليونانية هي التي ساقت فلاسفة الإسلام الى هذا الاتجاه، وهي كانت مستمد عناصره، ذلك بأن فكرة التوفيق بين الفلسفة والدين هي فكرة مزج واتصال، وليس غير التفكير الآري لمحاولة الاتصال بوسائط متدرجة في سلسلة متتابعة بين ضدين هما: الإسلام دين الفصل، وفلسفة الوصل اليونانية»[1].

يقول ابن سينا في مقدمة كتابه «منطق المشرقيين» «تحكّم ارسطو والمشائين في عقول المتفلسفة الإسلامية»[2] «وليس بين العلماء نزاع في ان الفلسفة الإسلامية متأثرة بالفلسفة اليونانية ومذاهب الهند، وآراء الفرس. ولعل هذا هو الذي يجعل الباحثين في تاريخ التفكير الإسلامي، والفلسفة الإسلامية من الغربيين، يقصدون في دراستهم الى استخلاص العناصر الاجنبية التي قامت الفلسفة الإسلامية على اساسها، أو تأثرت

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مصطفى عبد الرازق، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦.

(٢) المصدر السابق ص ٤٣

بهـا في ادوارهـا المختلفـة، يجعلون ذلك همهم، ويتحرون على الخصوص إظهار أثر الفكر اليوناني في التفكير الإسلامي واضحاً قوياً»[1].

يقول الدكتور حسام الدين الآلوسي: «إن التأثير اليوناني في الفلسفة الإسلامية. هو تأثير من جانب المدرسة المثالية اليونانية فقط، ذلك انني لا أعرف حسب علمي فيلسوفاً أو متكلماً إسلامياً واحداً منتمياً كلياً الى الفلسفة المادية الخالصة، أو بمعنى آخر لا يؤمن بوجود الله، وان كان بعضهم مثل الرازي وابي العلاء لا يعتقدون بالنبوات أو أن بعضهم ينكر العالم الآخر مثل ابن رشد، أو ينكر البعث الجسدي ـ مثل سائر الفلاسفة»[2].

يقول تنمان في كتابه «المختصر في تاريخ الفلسفة» معبراً عن رأي مؤرخي الفلسفة في الفلسفة الإسلامية: «يكاد يكون ارسطو من بين سائر الفلاسفة الذي استرعى انظار العرب وقد تلقوا جملة ما ألّفه ارسطو ولكنهم تلقوها على الحقيقة عن تراجم ناقصة جداً بوساطة خادعة هي وساطة المذهب الافلاطوني الجديد، واضافوا الى هذا دراسة العلوم الرياضية والتاريخ الطبيعي والطب. لكن عدة عقبات ثبطت تقدمهم، وهذه العقبات هي:

١ ـ كتابهم المقدس الذي يعوق النظر العقلي الحر.
٢ ـ حزب أهل السنة، وهو حزب مستمسك بالنصوص.
٣ ـ انهم لم يلبثوا ان جعلوا لأرسطو سلطاناً مستبداً على عقولهم، ذلك الى ما يقوم دون حسن تفهمهم لمذهبه من الصعوبات.
٤ ـ ما في طبيعتهم القومية من ميل الى التأثر بالأوهام،من أجل ذلك لم يستطيعوا أن يصنعوا أكثر من شرحهم لمذهب ارسطو وتطبيقه على

---

(١) المصدر السابق صفحة ٩٨.

(٢) دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي، د. حسام الدين الآلوسي. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٠٦

قواعد دينهم الذي يتطلب ايماناً اعمى، وكثيراً ما اضعفوا مذهب ارسطو وشوهوه، وبذلك نشأت بينهم فلسفة تشبه فلسفة الامم المسيحية في القرون الوسطى، تعنى بالبراهين الجدلية التعسفية، وتقوم على اساس من النصوص الدينية»[1].

قال كوزان الفيلسوف الفرنسي المتوفى سنة ١٨٤٧م في محاضراته في تاريخ الفلسفة بجامعة باريس. «المسيحية التي هي آخر ما ظهر على الأرض من الاديان، هي أيضاً اكملها.

والمسيحية تمام كل دين سابق، وغاية الثمرات التي تمخضت عنها الحركات الدينية في العالم وبها خُتمت.

الدين المسيحي ناسخ لجميع الاديان... كذلك كان الدين المسيحي انسانياً واجتماعياً الى اقصى الغايات، ومن اراد دليلاً فلينظر ماذا اخرجت المسيحية وجماعة المسيحيين للناس: أخرجت الحرية الحديثة والحكومات النيابية. ثم لينظر من دون المسيحية ما أخرجت منذ عشرين قرناً سائر الاديان. ماذا انتج الدين البرهمي والدين الإسلامي، وسائر الاديان التي لا تزال قائمة فوق ظهر الأرض؟

انتج بعضها انحلالاً موغلاً، وبعضها أثمر استبداداً ليس له مدى. أما أوروبا المسيحية فهي - لا سواها - مهد الحرية، ولو أن المقام والوقت يسعفان، لأثبت لكم أن المسيحية التي كانت الحكومات النيابية ثمرة لها هي التي تستطيع وحدها أن تقيم هذه الصورة العجيبة من صور الحكم التي تؤلف بين النظام والحرية. والمسيحية أيضاً هي التي بعد أن صانت ذخائر الفنون والآداب والعلوم بعثتها بعثاً قوياً، المسيحية هي اصل الفلسفة الحديثة»[2].

---

(١) تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مصطفى عبد الرازق، الطبعة الثالثة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٦، ص ٥

(٢) مفيد العلوم ومبيد الهموم، الخوارزمي، المطبعة الشرقية، ١٣٢٨هـ، ص ٦١ -٦٢

يقـول الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٣هـ (٩٩٣م) في كتاب «مفيد العلوم ومبيد الهموم» في الباب الثالث في الرد على الفلاسفة ـ «هم قوم من اليونانيين تحـذلقـوا في المعقـولات حتى وقعوا في وادي الحيرة والخباط، وتحيروا في الالهيات، وبنوا مقالاتهم على التشهي المحض والدعاوى الصرف. يزعمون انـهم أكيس خلق الله، وسياق مذهبهم يدل على انهم أجهـل خلق واحمق النـاس، وأسـاس الالحاد والزندقة مبني على مذهبهم، والكفر كله شعبة من شعبهم. وكانوا يترهبون لقطع النسل، ورئيسهم افلاطون الملحد، لعنه الله، قال لموسى ابن عمران رسول الله وكليمه: كل شيء تقوله أصدقك فيه إلا قولك الحق: «وكلمني علة العلل». انظر الى اعتقاد هذا الخبيث كان يكذب رسول الله ويعتقد ان الله تعالى لا كلام له البتة»[١].

قال الجاحظ في الفلسفة مادحاً: «الفلسفة اداة الضمائر، وآلة الخواطر، ونتـائـج العقل، وأداة لمعرفة الاجناس والعناصر، وعلم الاعراض والجواهر، وعلل الاشخاص والصور، واختلاف الاخلاق والطبائع والسجايا والغرائز»[٢].

وقال في باب الذم: «الفلسفة كلام مترجم وعلم مرجم، بعيد مداه قليل جدواه، مخوف على صاحبه سطوة الملوك وعداوة العامة»[٣].

والغـزالي المتـوفى سنـة ٥٠٥هـ (١١١١م) يقـول في كتـابـه: تهـافت الفلاسفة: «ان الخلاف بينهم وبين غيرهم من الفرق ثلاثة أقسام: قسم يرجع النزاع فيه الى اللفظ، وقسم يصدم مذهبهم فيه أصلاً من أصول الدين، والقسم الثالث ما يتعلق النزاع فيه بأصل من أصول الدين، كالقول في حدوث العالم وصفات الصانع وبيان حشر الاجساد والابدان، فهذا الغش ونظائره هو الذي ينبغي ان يظهر فساد مذهبهم فيه دون ما عدا»[٤].

---

(١) تمهيد لتـاريخ الفلسفـة الاسـلامية، مصـطفى عبد الرازق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص١٢٠.

(٢) المصدر السابق ص١٢٠.

(٣) المصدر السابق ص ٨٣

(٤) المصدر السابق ص ٨٣

ويقـول الشيخ محمـد عبده في «رسالة التوحيد» في وصف موقف رجال الدين من الفلاسفة منذ عهد الغزالي: «وجاء الغزالي ومن على طريقته فأخذوا جميع ما وجد في كتب الفلاسفة مما يتعلق بالالهيات، وما يتصل بها من الأمور العامة أو أحكام الجواهر والاعراض، ومذاهبهم في المادة وتركيب الاجسام، وجميع ما ظنـه المشتغلون بالكلام شيئاً من مباني الدين، واشتدوا في نقده، وبالغ المتأخرون منهم حتى كاد يصل بهم السير الى ما وراء الاعتدال»[1].

ويقول المولى أحمد بن مصطفى المعروف بطاش كبرى زاده المتوفى سنة ٩٦٢هـ (١٥٥٥م) في كتاب «مفتاح السعادة ومصباح السيادة» «إن كل ما خالف الشرع فهو مذموم، بينما طائفة سموا انفسهم حكماء الإسلام عكفوا على دراسة ترهات أهل الضلال وسموها الحكمة، وربما استجهلوا من عُرّى عنها، وهم اعداء الله واعداء انبيائه ورسله، المحرفون كلم الشريعة عن مواضعه، ولا تكاد تلقى أحداً منهم يحفظ قرآناً ولا حديثاً. وانما يتجملون برسوم الشريعة حذراً من تسلط المسلمين عليهم والا فهم لا يعتقدون شيئاً من احكام الشرع بل يريدون ان يهدموا قواعده وينقضوا عراه عروة عروة»[2].

ويقـول صاحب كتـاب «الـدر المختـار شرح تنوير الابصار» علاء الدين محمد بن علي الحصكي المتوفى سنة ١٠٨٨هـ (١٦٧٧م): «واعلم ان تعلّم العلم يكون فرض عين، وهو بقدر ما يحتاج لدينه، وفرض كفاية، وهو ما زاد عليه لنفع غيره، ومندوباً، وهو التبحر في الفقه وعلم القلب، وحراماً، وهو علم الفلسفة والشعوذة والتنجيم والرمل وعلوم الطبائع والسحر والكهانة»[3].

ماهية الفلسفة الإسلامية

بعد أن ألقينا بعض الضوء على أقوال بعض المستشرقين، واقوال بعض الفلاسفة المسلمين، واراء رجال الدين حول المفهوم الفلسفي بشكل عام،

---

(١) رسالة التوحيد، محمد عبده، الطبعة الاولى، ١٣١٥هـ صفحة ١٣

(٢) المصدر السابق صفحة ٨٦ ـ ٨٧ (٣) المصدر السابق صفحة ٨٨

والمفهوم الفلسفي الإسلامي بشكل خاص، وجدنا أن هناك تفاوتاً كبيراً بين هذه الاراء المتعددة حول الفكر الفلسفي الإسلامي. فهناك اراءُ تقول بأن الفلسفة الإسلامية تأثرت بشكل مباشر وكبير بالفلسفة اليونانية، وبالذات الفلسفة المثالية والفلسفة الارسطية، كما ان هناك اراء تقول بأن الفلاسفة اليونان قد تحكموا بعقول الفلاسفة المسلمين حيث ان الفلسفة الإسلامية هي فلسفة يونانية بطابع اسلامي. وهناك رأي رجال الدين الذين عدّوا الفلاسفة اساساً للكفر والالحاد بسبب الأمور المتناقضة التي جاءَ بها هؤلاء الفلاسفة سواء اكان التناقض مع تعاليم السماء الحقة ام كان التناقض بين بعضهم البعض.

اننا قبل ان نخوض في تحديد معالم الفلسفة الإسلامية، أو الفكر الفلسفي الإسلامي، لا بد ان نُميز بين الفكر الفلسفي الإسلامي والفكر الفلسفي البشري من حيث السبل التي تتبع في التعرف على حقائق الأشياء ومكنوناتها. اما بالنسبة الى الفكر الفلسفي الإسلامي، فانه يعتمد على الوحي في معرفة الحقائق المتعلقة بجميع الأمور المتعلقة بالمعضلات العاتية التي واجهت الانسان منذ فجر التاريخ حتى يرث الله الأرض ومن عليها. هذا في الوقت الذي تعتمد فيه الفلسفات البشرية في الوصول الى الحقيقة على العقل بالرغم من أن المعرفة التامة عند جميع المفكرين والفلاسفة بأن العقل قاصر عن معرفة جميع الحقائق وبالذات الحقائق التي تتصل بالامور الغيبية.

«فاذا كان كانت (Kant) قد هدف من الحديث عن نقائض العقل الى بيان ان العقل يثبت الشيء ونقيضه في وقت واحد ومن جهة واحدة، وهذا دليل على عجزه وقصوره اذا اقتحم بعض الميادين التي لا ينبغي له ان يقحم نفسه فيها، فان الغزالي أيضاً قد هدف الى ذلك من قبلُ بعدة قرون. فمقاصد الفلاسفة بالاضافة الى تهافت الفلاسفة ينتج لنا نقداً رائعاً للعقل الخالص. والغزالي في هذين الكتابين، اثبت الشيء ونقيضه في وقت واحد ومن جهة واحدة، وهذا دليل على قصور العقل وعجزه كما فعل كانت»[1].

---

(١) الفلسفة الاسلامية في المشرق، الدكتور فيصل بدير عون، جامعة عين شمس، مكتبة =

يقـول ديكارت في كتاب التأملات: «. . . انما مرجع خطئي هذا الى ما منحني الله من قوة على تمييز الصـواب من الخـطأ، هي عنـدي قوة متنـاهية محـدودة. . . لا ريب انه ليس لدي من داع للشكوى من ان الله يهبني ذكاء أوسع، او نوراً فطرياً أكمل، مما وهبني ما دام من طبيعة الذهن المتناهي ألّا يكون محيطاً بأشياء كثيرة، ومن طبيعة الذهن المخلوق ان يكون متناهياً»[1].

ومن احدى النتائج التي وصل اليها كانت: «ان موضوعات الميتا فيزيقا لا يمكن ان توجد فيها معرفة عقلية صحيحة، لا على اساس الاحكام التركيبية الاولية ولا على أساس الاحكام التركيبية الثانوية»[2].

إن الذي ينشد الحقيقة لذاتها والتفيء بظلالها والسلوك على نورها يجب أن لا يلتفت الى السبيل التي توصل الى الحقيقة طالما انه يقصد الوصول الى الحقيقة، اما الاصرار على سبيل واحدة دون غيرها في الوصول الى الحقيقة فهذا نوع من الجدال والمناورة بقصد الوصول أو تحقيق غايات معينة تجول في النفس، وهذا هو بعينه التحيز الذي يطمس الحقيقة والسبل المؤدية اليها.

ويبدو بوضوح النقص والضعف في العقل البشري للقاريء عند التبصر في المدارس الفلسفية البشرية حيث التناقض والاختلاف حول أغلب الأمور التي تم بحثها فلسفياً. ففي الوقت الذي توصل فيه العقل الى وجود إلـه، بالاضافة الى وجود كون آخر غير هذا الذي نحسّه بأحاسيسنا، فاننا نجد نفس العقل البشري ينكر وجود إلهٰ وكون آخر غير الذي نراه، هذا الذي جاءَت به المدراس الفلسفية البشرية؛ الشيء ونقيضه.

كما لا بد من الاشارة الى ان معرفة الحقيقة وعدمها سيان في ضوء الفلسفة البشرية سواء من حيث التأثير على سلوك الانسان واعداده التربوي العام. فأين

= الحرية الحديثة، ١٩٨٢. ص٤١٢

(١) التأملات، ديكارت، ترجمة د. عثمان امين، مكتبة القاهرة، ١٩٥٦

(٢) فلسفتنا محمد باقر الصدر، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٤٩.

الفارق بين الانسان الذي يعتقد بوجود إله وكون اخر غير الذي نحسه في ضوء الفلسفة المثالية، والانسان الذي ينكر وجودهما في ضوء الفلسفة الشيوعية والوجودية؟ اذا لم يكن هناك فرق فارع بينهما ويظهر ذلك على سلوك الانسان، فان معرفة الحقيقة وعدمها تؤدي الى نفس الهدف، وهنا يتشكل في اذهان البشر بأن كل من يبحث عن الحقيقة يعد مغفلاً جاهلاً؛ لانه يضيع وقته من أجل لا شيء، فقط من أجل ان يتساوى سلوكاً وعملاً مع الذي لا يعرف الحقيقة، وهذا طبعاً محال أن يتساوى الذي يعرف الحقيقة ويسلك في ضوئها والانسان الذي يجهل الحقيقة ويمضي في ضوء ذلك.

بعد أن أشرنا الى أن الفكر الفلسفي الإسلامي يعتمد على مصدر الوحي، لا بد من الاشارة الى ان هناك فرقاً كبيراً بين الفكر الفلسفي الإسلامي كدين سماوي جاء بالحقائق الثابتة الدامغة لكل ما يلزم البشرية لتحيا في ضوء الحكمة والنور والهدى في الدارين الأولى والآخرة، وبين الابحاث الفلسفية التي قام بها أناس ينتسبون للإسلام مع العلم بأن اغلب هذه الابحاث تجاوزت حدود الفكر الفلسفي الإسلامي السامق. بل تجاوزت المعلومات الصادقة الثابتة التي يفيض بها الفكر الفلسفي الإسلامي، فمنهم من انكر البعث والحساب، ومنهم من انكر الحشر الجسدي مع الروح. والى غيرها من الأمور بالغة الخطورة، حيث ابتعد قسم من هؤلاء الفلاسفة البعد كله عن الحقائق الجمة الوفيرة التي يفيض بها الفكر الفلسفي الإسلامي.

إن أول حقيقة بسقت عن الفكر الفلسفي الإسلامي هي خلق آدم عليه السلام. ويبدو ذلك بجلاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[1].

قال تعالى:

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾[2].

---

(١) سورة الاعراف آية ١١ (٢) سورة ص آية ٧١-٧٢

اما بالنسبة الى الحقيقة الثانية التي صدعت بها الفلسفة الإسلامية، فهي العداوة الابدية التي توعَّد وتهدد بها الشيطانُ آدمَ وذريته.

قال تعالى:

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ (١).

قال تعالى:

﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ (٢)

قال تعالى:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ قَالَ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذۡهَبۡ فَمَن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمۡ جَزَآءٗ مَّوۡفُورٗا ﴿٦٣﴾ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٞۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلٗا ﴿٦٥﴾﴾ (٣)

قال تعالى:

﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا ﴿٥٠﴾﴾ (٤)

---

(١) سورة ص آية ٧٥-٨٣

(٢) سورة طه آية ١١٧

(٣) سورة الاسراء آية ٦١-٦٥

(٤) سورة الكهف آية ٥٠

قال تعالى :

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ [(١)]

وعندما ابتعد آدم عن الحقيقة الثانية وهي عداوة الشيطان له، حيث وقع في شراك الشيطان عندما أتى الشجرة التي أمره أن لا يقربها، تبين له احقية هذه الحقيقة الناصعة البياض، وهي عداوة الشيطان الابدية الى آدم وذريته، ويبدو ذلك بوضوح في قوله عز من قائل

قال تعالى :

وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [(٢)]

يبدو بوضوح استسلام آدم وزوجه الى الحقيقة بعد ان وضعا تلك الحقيقة في حيّز التجربة، عندما اذعنا الى الشيطان واتبعا وسوسته، ولكن سرعان ما توجها الى التوبة وطلب الغفران من الله سبحانه وتعالى.

(١) سورة الاعراف آية ١٢-١٧

(٢) سورة الأعراف آية ١٩-٢٣

ومن الحقائق التي يفيض بها الفكر الفلسفي الإسلامي حقيقة ارسال الهدى والنور الى الانسان بعد ما تقرر اذن الهبوط الى الأرض عن طريق الانبياء والمرسلين، فالذي يتبع هذا النور والهدى يكون قد وصل الى سدرة الصواب، حيث الفوز المبين والأمن والطمأنينة، والعيش الرغيد في دار الخلود والسلام، اما الذي ينبو وينأى بجانبه عن هذا الهدى والنور، فان موئلهم جهنم وبئس المصير.

قال تعالى:

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ [١].

قال تعالى:

يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ [٢]

قال تعالى:

قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾ [٣]

وهنا تأتي اللفتة الإلهية الباسقة الى بني البشر جميعاً، بأن يتعظوا من الخطأ الذي وقع فيه آدم عليه السلام عندما ابتعد عن الحقيقة واتبع وساوس الشيطان.

---

(١) سورة البقرة آية ٣٨-٣٩ (٢) سورة الاعراف آية ٣٥-٣٦ (٣) سورة طه آية ١٢٣-١٢٧

قال تعالى:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (١)

إن الفكر الإسلامي هتف ونادى به جميع الانبياء والمرسلين، ابتدأ بسيدنا نوح عليه السلام واختتم بخاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى:

﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (٢).

قال تعالى:

﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (٣).

وقد اكتمل هذا الفكر في آخر عهد خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم حيث يقول الباري عزّ وجلّ في هذا الصدد.

قال تعالى:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ (٤)

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٧

(٢) سورة الانعام آية ٤٨

(٣) سورة النساء آية ١٦٥

(٤) سورة المائدة آية ٣

ان هذا الفكر جميعه من عندالله سبحانه وتعالى وهو بمثابة الهدى والنور والحكمة لكي يتفيأ في ظلاله المتقون ويفوزوا بنعيمه في دار السلام والخلود، وليس لأحد من البشر مهما كانت صفته ان يزيد، أو ينقص شيئاً من هذا الفكر، أو يأتي بشيء يناقض هذا الفكر ويزعم ان هذا الشيء من الفكر الإسلامي أو يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي. ويبدو ذلك بوضوح في قول الباري عزوجل مخاطباً رسوله محمداً بن عبدالله تارة، وتارة اخرى مخاطباً البشرية جمعاء، بأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأتِ بشيء من عنده، ولو أتى بشيء تقوّله على الله لوقع عليه العذاب المباشر من الله سبحانه وتعالى، ولن يجد من ينصره من دون الله.

قال تعالى:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ [1].

قال تعالى:

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ [2].

كما ان هذا الفكر قد تم ابلاغه من قبل المرسلين بصورة كاملة وافية لا يشوبها أي ضعف أو نقص.

قال تعالى:

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ

(١) سورة التحريم آية ١

(٢) سورة الحاقة آية ٣٨-٤٨

﴿يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ [1].

لذلك فان الامام علياً كرم الله وجهه قد ذمّ اختلاف العلماء في الفتيا، حيث قال: «تـردُ على احـدهم القضية في حُكمٍ من الاحكام فيحكم فيها برأيه ثم تردُ تلك القضية على غيره فيحكم فيها بخلافة، ثم يجتمع القضاة بذلك عند الامام الذي استقضاهم، فيصوب آراءهم جميعاً وإلٰههم واحد ونبيهم واحد وكتابهم واحد. أفأمرهم الله تعالى بالاختلاف فأطاعوه. ام نهاهم عنه فعصوه. ام انزل الله ديناً ناقصاً فاستعان بهم على اتمامه. ام كانوا شركاء له. فلهم ان يقولوا وعليه أن يرضى، أم انزل الله ديناً تاماً فقصرّ الرسول صلى الله عليه وسلم وآله عن تبليغه وأدائه، والله سبحانه يقول ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾، فيه تبيان كل شيء. وذكـر ان الكتاب يصدق بعضه بعضاً، وانه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾» [2].

وخـلاصـة القول في هذا الموضوع إن الفكر الفلسفي الإسلامي قد تمّ تشويهه في اذهان الناس على مرِّ الايام، من مختلف الفئات المتعددة، التي ارادت أن تطفىء هذا النـور السماوي الساطع، الذي بعثه المولى عز وجل رحمة منه للبشر جميعاً. هذا بجانب كثرة اعداءِ الحق على مر التاريخ، الذين حاولوا بكل السبل والطرائق النيل من الحق المبين، الذي يفوح بنسائمه الفكر الفلسفي الإسلامي. ولكن كلمة الله سبحانه وتعالى قد سبقت واعتلت كل كيد وقـول بحفظ هذا النور الباسق الساطع ـ مورد الحق والحقيقة ـ الذي يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي لجميع من اناب واستقام على درب الهدى من أن تناله يد البشر بالتبديل والتحريف.

---

(١) سورة الجن آية ٢٦ـ٢٨

(٢) نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الجزء الاول ص٥٤.



الفصل الثاني

خصائص النهج الإسلامي

- مقدمة
- إلهية المصدر
- الصدق والثبات
- العموم
- الشمول
- العدل والمساواة
- الدستور الذاتي
- الرحمة - البشرى - الهدى
- الحكمة
- الخلود
- سدرة الصواب
- قوة التأثير

بسم الله الرحمن الرحيم

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

سورة النحل (٨٩)

إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾

سورة النساء (١٠٥)

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

سورة الحشر (٢١)

خصائص النهج الإسلامي

مقدمة .

بعـد أن انكـر الانسـان وابتعد عن الحق الذي يغص به الفكر الفلسفي الإسـلامي على مختلف مراحله ابتداءً بسيدنا نوح عليه السلام وانتهاءً بخاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم، ذهب ليبحث عن الحقيقة عن طريق العقـل بما يتفق مع اهوائه ونزعاته الانسانية مدعياً انه ينشد الحق والحقيقة. لذلك تعد الفلسفات البشرية نتاج الفلاسفة الذين صرفوا جزءاً كبيراً من حياتهم لدراسـة حقول العلم المختلفة من أجل تأهيل أنفسهم ليصبحوا قادرين على البحث عن الحقيقة. ثم ربط تلك المعلومات وتركيبها وتحليلها لتشكل بالتالي مفـاهيم واتجاهات واساسيات تعدّ الركائز الأساسية لفلسفة معينة، وتعد هذه الأساسيات التي بنيت عليها الفلسفة حجر الرحى الذي تدور حوله جميع اعمال معتنقي تلك الفلسفـة حيث يستمد من هذه الأساسيات الفلسفية، الاهداف والامنيات العليا لمعتنقي تلك الفلسفـة. ويتم وضـع القـوانين التشـريعية، والقضائية، والتربوية، والاقتصادية، والاجتماعية في ضوء ذلك.

لذلك يبدو بوضوح ان الانسان الذي ادبر وابتعد عن النهج الإلٰهي ذهب ليشيّـد نهجـاً آخر يناسب ما يجول في نفسه من أهواء، ونزوات، وشهوات انسـانيـة. ولحقيقـة اختلاف النزوات والاهواء عند الانسان، اختلف الفكر الفلسفي البشـري ليكـوّن عدة فلسفات متباينة ومتغايرة حتى في الأساسيات الكبـرى. وبما ان درجة الكمال من الناحية العلمية والمعرفية لم يصل اليها انسـان قط، فان جميـع الأعمـال الفلسفية البشرية تعد ناقصة بسبب النقص العلمي والمعرفي عند واضعي تلك الفلسفات.

وبمـا أن الجانب الأساسي لأي فلسفةٍ يعتمد بدرجة كبيرة على الحقائق التي شيدت عليها هذه الفلسفة. فكيف يمكن ان نسلم لهؤلاء بأن ما اختاروه اساساً لفلسفاتهم وما جاءوا به من حقائق مع العلم المطلق الثابت بأن اقطاب تلك الفلسفات لم يصلوا الى درجة الكمال العلمي والمعرفي - على الأقل - للأمور التي تم بحثها في فلسفاتهم المختلفة؟

لذلك ليس غريباً أن نجد اعمالهم الفلسفية جاءت بالشيء ونقيضه، هذا بجانب اختلافهم مع الحق المبين الذي يعجّ به الفكر الفلسفي الإسلامي. كما انهم اختلفوا مع بعضهم البعض حول الأساسيات الكبرى التي تمّ بحثها في فلسفاتهم المتعددة.

إن النهج الإلهي الذي يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي لكل من أناب، واستقام، وسلم للباري عز وجل يختلف تمام الاختلاف عن الاعمال الفلسفية التي ابتدعها الانسان لتكون له بديلاً عن هذا النهج المنير. فان هذا الفكر الباسق له صفات مؤثلة مجيدة تميزه عن غيره. ومن هذه السمات الغراء الآتي:

١ - إلهية المصدر:

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي وهب عباده هذا النهج المنير رحمة وتلطفاً بعباده، وهذا ما كُلِّف به المرسلون لتبليغه الى الانسان رغم إصرار اغلب الناس على الجحود، والانكار، والادبار عن الحق وأتباعه.

قال تعالى:

﴿الٓر ۚ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝١﴾ (١).

(١) سورة ابراهيم آية ١.

قال تعالى :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[1].

قال تعالى :

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾[2].

قال تعالى :

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾﴾[3].

قال تعالى :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾﴾[4].

٢ ـ الصدق والثبات

يتميز الفكر الفلسفي الإسلامي عن غيره بأنه صادق وثابت لأنه نشأ وانبثق من عند الله سبحانه وتعالى الذي لا يعزب عنه مثقال ذرةٍ في السموات والارضين، كيف لا وهو فقط عالم الغيب والشهادة، الذي لا يُطلع على غيبه احداً إلا وفق ارادته ومشيئته. لذلك فان الفكر الفلسفي الإسلامي يزخر بالمعلومات التامة الدقيقة فيما يتعلق بعالم الغيب وعالم الشهادة.

(١) سورة السجدة آية ١ـ٣

(٢) سورة الزمر آية ١ـ٢

(٣) سورة فصلت آية ١ـ٤ .

(٤) سورة آل عمران آية ١ـ٤ .

قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١)

قال تعالى

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٥٩ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٦٠﴾ (٣)

قال تعالى

﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٩﴾ (٤)

قال تعالى

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝٥﴾ (٥)

قال تعالى

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧﴾ (٦)

---

(١) سورة فاطر اية ٣٨.

(٢) سورة الحج آية ٧٠

(٣) سورة الانعام آية ٥٩-٦٠

(٤) سورة آل عمران آية ٢٩

(٥) سورة آل عمران آية ٥

(٦) سورة لقمان آية ٢٧

قال تعالى

﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (١)

اما بالنسبة لصفة الثبات التي يتميز بها الفكر الفلسفي الإسلامي يبدو بجلاء في وعد الله سبحانه وتعالى بحفظه من أن تناله ايدي البشر بالتحريف والتبديل ليتفق مع ما تشرئب له الانفس البشرية التي انحرفت عن جادة الصواب.

قال تعالى ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾ (٢)

٣ ـ العموم

يتصف الفكر الإسلامي بالعمومية حيث انه يناسب كل انواع البشر بما يحتوي من هدى، وبشرى، ورحمة، وذكرى، وبهذا ارسل الله سبحانه وتعالى المرسلين لبني البشر على مر التاريخ حتى انتهى الأمر بالرسالة التي جاء بها خاتم الانبياء والمرسلين صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (٣)

٤ ـ الشمول

يتميز الفكر الإسلامي عن غيره من الافكار الفلسفية الاخرى كونه شاملاً لكل شيء يحتاجه الانسان في حياته الدنيا لجميع الامور الأساسية التي تنير له الدرب وتوضح له المسار القويم لينال الفوز والسلام في اليوم الآخر. وهذا النوع من الشمول هو شمول المضمون والمحتوى.

---

(١) سورة الكهف آية ١٠٩

(٢) سورة الحجر آية ٩.

(٣) سورة سبأ آية ٢٨.

قال تعالى

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (٢)

كما أن الفكر الفلسفي الإسلامي يمتاز بالشمول الاعتقادي والتطبيقي لكل ما ينطوي عليه هذا الفكر وهذا بعينه الذي يشكل المصداقية، والصدق، والثبات عند أتباع هذا الفكر دون غيرهم من الناس سواءً اكانوا يتبعون افكاراً فلسفية أخرى أم يتبعون بعضاً من الافكار التي يطرحها الفكر الفلسفي الإسلامي.

قال تعالى

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ (٣)

قال تعالى

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (٤)

٥ ـ العدل والمساواة

إن من أهم الصفات الباسقة المؤثلة التي يتحلى بها الفكر الفلسفي

---

(١) سورة النحل آية ٨٩
(٢) سورة الانعام آية ٣٨
(٣) سورة الاحزاب آية ٣٦
(٤) سورة البقرة آية ٨٥

الإسلامي سمة العدل بين الناس دون اجحاف بحق احد لحساب أحد مهما كانت الظروف والملابسات حول أية قضية كانت، فالجميع سواسية كأسنان المشط امام القضاء الإسلامي المستمد من الفكر الفلسفي الإسلامي.

قال تعالى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ [1]

قال تعالى

﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾ [2]

٦ ـ الدستور الذاتي

في الوقت الذي يسعى فيه اتباع الفلسفات البشرية لوضع الانظمة التشريعية والدساتير، والانظمة القضائية، بما يتفق مع الاساسيات الفلسفية التي اختاروها لتكون نهجاً حياتياً لهم، فان الفكر الإسلامي يحتوي على دستور ذاتي إلٰهي يهدف الى إقامة العدل بين الناس. وهذا الدستور ملزم لجميع اتباع هذا الفكر حيث إن كل من ينبو عن هذا الدستور جزئياً أو كلياً يكون قد ضل جادة الطريق، واخطأ في الوصول الى سدرة الصواب في الدنيا والآخرة.

قال تعالى

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن

---

(١) سورة النساء آية ٥٨.

(٢) سورة المائدة آية ٤٢.

يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ (1)

قال تعالى

فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ (2)

قال تعالى

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ (3)

قال تعالى

أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ (4)

قال تعالى

أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ (5)

قال تعالى

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ (6)

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨ـ٤٩

(٢) سورة النساء آية ٦٥.

(٣) سورة البقرة آية ٢١٣

(٤) سورة الانعام آية ١١٤

(٥) سورة المائدة آية ٥٠

(٦) سورة النساء آية ١٠٥.

٧ ـ الرحمة ـ البشرى ـ الهدى

يعد الفكر الفلسفي الإسلامي رحمة من الله سبحانه وتعالى حيث انه تعالت وجلت قدرته انه لم يكل الانسان لنفسه وللعهد الذي أُخذ منه وهو في عالم الذر فأرسل المرسلين بهذا النهج الإلهي تترا بهدف هداية الانسان لكل ما يُسعد الانسان ويضيئ له السبل للفوز في الدارين. هذا بجانب نسائم البشرى التي يفوح بها هذا الفكر لكل من أناب واستقام على هذه السبيل القويمة بأن له جنات النعيم في دار السلام والخلود.

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٣)

قال تعالى

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ (٤)

٨ ـ الحكمة

في الوقت الذي ادبر فيه الانسان عن نسائم الهدى وشآبيب البركات التي يزخر بها الفكر الإسلامي في مختلف مراحله، ذهب ليبحث عن الحقيقة بدافع

---

(١) سورة الاعراف آية ٥٢

(٢) سورة البقرة آية ٢.

(٣) سورة البقرة آية ٩٧.

(٤) سورة النحل آية ١٠٢.

حب الحكمـة، لان الحكمـة يجب ان تبنى على حقائق ومعلومات صادقة. حسبنا ان نعلم بأن الفكر الإسلامي الذي ناىء عنه الانسان يعد المورد الفياض للحكمة وهذا ما تدل عليه الآيات القرآنية الكريمة.

قال تعالى

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾ (1)

قال تعالى

﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ۝١٥١﴾ (2)

قال تعالى

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ (3)

٩ ـ الحرية

تجدر الإشارة الى اعظم اساسية يتميز بها النهج الإسلامي ألا وهي القاعدة التي يتجلى فيها تكريم المولى عز وجل للانسان واحترام ارادته وفكره ومشاعره بأن ترك أمـره لنفسـه بعد أن انار له كافة السبل والطرائق الموصلة للحق والهدى المنبعث من عنـده سبحـانـه وتعالى. وبذلك يكون حراً ليختار ما يريد وأن يتحمل تبعة اعماله وافعاله وهذه هي ابرز واسمى خصائص التحرر الانساني.

قال تعالى

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ

(١) سورة الجمعة آية ٢

(٢) سورة البقرة آية ١٥١

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٤

يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ (١)

قال تعالى

لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ (٢)

١٠ ـ الخلود

إن الـذي يُقتـل او يستشهد في ضوء تعليمات الفكر الإسلامي لا يجوز اعتباره ميتاً كما تجري سنة الله سبحانه وتعالى على الانسان بشكل عام، فانه يحيا حياة تليق به ملؤها الطمأنينة والسرور.

قال تعالى

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ (٣)

قال تعالى

وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ (٤)

١١ ـ سدرة الصواب

وحسبنا نحن بني البشر ان نجتلي الحقيقة التالية، الا وهي أن الحق كله يتجسد في ثنايا الفكر الفلسفي الإسلامي وما عداه من الفكر الفلسفي فهو باطل ولا يؤدي إلا إلى الابتعـاد عن الحق والحقيقـة. هذا بجـانب أنـه يخلو من

---

(١) سورة يونس آية ٩٩

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٣) سورة آل عمران آية ١٦٩-١٧٠

(٤) سورة البقرة آية ١٥٤

الحكمة. لذلك فان الانسان بغض النظر عن جنسه، ولونه، ولغته، ومكان إقامته، وفترة وجوده على مر التاريخ، اذا لم يكن من اتباع ومعتنقي هذا الفكر الوضاء المنير، فانه يعد من الخاسرين الذين حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة.

قال تعالى

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ (1)

١٢ ـ قوة التأثير

إن الصفات السابقة التي وسم بها الفكر الفلسفي الإسلامي جسدت في هذا الفكر قوة تأثير باهرة تعدّت حدود البشر لتطرق باب الجن والجمادات حيث تتصدع، وتخشع، وتسلم لهذا الفكر السامق الوضاء.

قال تعالى

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (2)

اما بالنسبة الى الجن فانهم اعترفوا بلسان حالهم بأن قسماً منهم قد أنابوا واستقاموا مع الحق الذي يفوح به الفكر الإسلامي.

قال تعالى

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ (3)

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٥

(٢) سورة الحشر آية ٢١.

(٣) سورة الجن آية ١٤ـ١٥.

الفصل الثالث

الحِكمَة

- مقدمة
- تعريف الحكمة
- القرآن الكريم والحكمة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

قال تعالى

ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ

سورة النحل ١٢٥

الحكمة

إن كلمة (حكمة) تعني كما يصفها اللغويون بأنها العدل، الحلم، النبوة، ما يمنع من الجهل، ما يمنع من الفساد، كل كلام موافق للحق، وضع الشيء في موضعه، صواب الأمر وسداده، ومعرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم[1].

وعن جعفر الصادق عليه السلام قال «الحكمة ضياء المعرفة وميزان التقوى وثمرة الصدق وما انعم الله على عبده بنعم اعظم وارفع واجزل وابهى من الحكمة»[2] وتلا الآية التالية:

قال تعالى

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾[3]

والحكمة عند ابن سينا «الحكمة صناعة نظر يستفيد منها الانسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب مما ينبغي أن يكسبه فعله لتشرق بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود وتستعد للسعادة القصوى بالآخرة، وذلك بحسن الطاقة الانسانية»[4].

---

(١) اسلوب الدعوة في القرآن، محمد حسين فضل الله، صفحة ٥٢-٥٣، انظر لسان العرب مادة حكم.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، المجلد الثاني، ١٩٧٢، ص٤٠٤.

(٣) سورة البقرة آية ٢٦٩.

(٤) الفلسفة الاسلامية في المشرق، بدير عون، مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٢ صفحة ٢٩٦.

«والحكمة ثمرة التعليم بالقرآن الكريم، وهي ملكة يتأتى معها وضع الأمور في مواضعها الصحيحة، ووزن الأمور بموازينها الصحيحة وادراك غايات الأوامر والتوجيهات»[1].

الحكمة عند الطباطبائي هي القضايا الحقة المطابقة للواقع من حيث اشتمالها على سعادة الانسان كالمعارف الحقة الإلهية في المبدأ والمعاد، والمعارف التي تشرح حقائق العالم الطبيعي من جهة مساسها بسعادة الانسان، كالحقائق الفطرية التي هي اساس التشريعات الدينية[2].

قال محمد بن اسحاق في «ويعلمهم الكتاب والحكمة» قال يعلمهم الخير فيفعلوه، والشر فيتقوه، ويخبرهم برضا الله عنهم اذا اطاعوه؛ ليستكثروا من طاعته ويجتنبوا ما يسخطه من معصيته[3].

بعد أن تأملنا الأقوال السابقة عن الحكمة يبدو بوضوح ان الذي يود أن يصل الى الحكمة لا بد أن يلم بحقائق الأمور ومكنوناتها، وان يتصرف وفق تلك المعلومات الصادقة، ومن ثم يمكن أن يطلق على هذا الانسان بأنه تصرف بحكمة بخصوص هذا الأمر أو ذاك، اما في حالة نقص المعلومات الدقيقة عن مكنونات الأشياء وحقيقتها، فان الحكمة تكون صعبة المنال ولا يمكن أن يتصرف الانسان أو يتخذ رأياً في هذه الحالة، أو ينهج مسلكاً على أساس من الحكمة، لانه في هذه الحالة يمكن أن ينزلق، أو يتخذ مسرباً ورأياً خاطئاً. وهذا بالطبع يتنافى مع الحكمة. لان الحكمة كلها جميعاً خير، ولا يمكن أن يكتنفها أيُّ نوع من الزلل والخطأ.

وعلى هذا الأساس، فان الباري، عز وجل، بعث الانبياء والمرسلين بالكتاب والحكمة؛ ليكونوا بمثابة المبشرين والمنذرين والمعلمين للحكمة

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، بيروت، دار الشروق، ١٩٨٠، المجلد الاول ص ١٣٩.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي المجلد الثاني ١٩٧٢، ص٣٩٥.

(٣) تفسير القرآن، ابن كثير، الجزء الاول، بيروت، دار المعرفة ١٩٨٦ صفحة ١٩٠.

وهذا يعني أن الله سبحانه وتعالى، العالم بكل شيء، انزل الكتاب والحكمة على الانسان عن طريق الانبياء والمرسلين، حيث يتم ابلاغ الانسان عن طريق الكتاب وتعلم الحكمة لكل شيء يحتاجه الانسان؛ لتصبح جميع اعتقادته وتصرفاته سليمة وصحيحة؛ لانها تنبثق من الكتاب والحكمة. وهذه بعض الآيات البينات التي تدل بوضوح على بعث الانبياء والمرسلين بالكتاب والحكمة؛ بهدف توضيح المسار، وازالة الغموض والتنزيه، والتزكية.

قال تعالى

﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ (١)

قال تعالى

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ﴾ (٢)

أما بالنسبة الى سيدنا داوود عليه السلام، فأن الله سبحانه وتعالى أتاه الحكمة وفصل الخطاب، كما هو واضح في الآية التالية:

قال تعالى

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ (٣)

وأما بالنسبة الى جميع الانبياء، فيبدو ذلك بوضوح في الآية البينة الآتية:

قال تعالى

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾ (٤)

---

(١) سورة الزخرف آية ٦٣.
(٢) سورة المائدة آية ١١٠
(٣) سورة ص آية ٢٠
(٤) سورة آل عمران آية ٨١.

أما بالنسبة الى خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم فإن الآيات التالية تدل على ما آتاه الله سبحانه وتعالى من الكتاب والحكمة بهدف تزكية الانسان وتعليمه الكتاب والحكمة، وليتفقه في الأمور التي هو بأمس الحاجة اليها.

قال تعالى

﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ (٢)

وعلى هذا النهج الرسالي النبيل، يجب أن يسير كل انسان اراد أن يدعو الى سبيل الله، أي ان يكون متفقهاً بكتاب الله، وأوتي حكمه من الله سبحانه وتعالى لكي يكون قادراً على أن يدعو الناس على أسس سليمة صادقة، بعيدة عن الغموض والتناقض. واذا لم يتوفر هذا الفهم للكتاب والإلمام بالحكمة فانه سوف يأتي بالشيء ونقيضه، وتكون اغلب الاعمال التي يقوم بها مثار الجدل وزيادة الغموض في اذهان الناس؛ مما يؤدي الى زيادة الشقاق والابتعاد بين الناس.

كما أن الله سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء من عباده، حيث تعتبر من أفضل النعم والخيرات التي يهبها الله سبحانه وتعالى الى من يشاءُ من عباده.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٦٤.

(٢) سورة الجمعة آية ٢.

قال تعالى

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾﴾ (١)

قال الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلّمها» وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجة من طرق متعددة(٢).

لذلك فإن الدعوة الى سبيله، تعالت وجلت قدرته، قد بينها سبحانه وتعالى لكل من اراد ان يدعو الى هذه السبيل الكريمة قال تعالى :

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ (٣)

يقول العلّامة الطباطبائي في تفسير هذه الآية «والتأمل في هذه المعاني يعطي أن المراد بالحكمة ـ والله أعلم ـ الحجة التي تنتج الحق الذي لا مرية فيه ولا وهن ولا إبهام والموعظة هو البيان الذي تلين به النفس ويرق له القلب لما فيه صلاح السامع من العبر، وجميل الثناء، ومحمود الاثر ونحو ذلك.

والجدال هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصرّ عليه، وينازع فيه من غير ان يريد به ظهور الحق؛ بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو والناس، أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته.

فينطبق ما ذكره تعالى من الحكمة، والموعظة، والجدال، بالترتيب على ما اصطلحوا عليه في فن الميزان بالبرهان والخطابة والجدل، غير أنه سبحانه قيّد الموعظة بالحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ففيه دلالة على أنّ من

---

(١) سورة البقرة آية ٢٦٩

(٢) تفسير القرآن، ابن كثير، دار المعرفة بيروت، الجزء الاول ١٩٨٦ صفحة ٣٣٠

(٣) سورة النحل آية ١٢٥

الموعظة ما ليست بحسنة، ومن الجدال ما هو احسن وما ليس بأحسن ولا حسن، والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه . . .

إن الطرق الثلاث المذكورة في الآية، مترتبة حسب ترتب أفهام الناس في استعدادها لقبول الحق، فمن الناس الخواص، وهم أصحاب النفوس المشرقة، القوية الاستعداد لإدراك الحقائق العقلية، وشديدة الانجذاب الى المبادىء العالية، وكثيرة الالفة بالعلم واليقين، فهؤلاء يُدعون بالحكمة وهي البرهان. ومنهم عوام وهم أصحاب نفوس كدرة واستعداد ضعيف، مع شدة ألفتهم بالمحسوسات، وقوة تعلقهم بالرسوم والعادات، قاصرة على تلقّي البراهين، من غير ان يكونوا معاندين للحق، وهؤلاء يُدعون بالموعظة الحسنة. ومنهم اصحاب العناد واللجاج، الذين يجادلون بالباطل ليدحضوا به الحق، ويكابرون ليطفؤا نور الله بأفواهم، رسخت في نفوسهم الآراء الباطلة، وغلب عليهم تقليد اسلافهم في مذاهبهم الخرافية لا ينفعهم المواعظ والعبر، ولا يهديهم سائق البراهين وهؤلاء هم الذين أُمر بمجادلتهم بالتي هي أحسن»[1].

إن الانسان في حياته المحدودة يجب أن يكون له نهج يسلكه، حيث إن هذا النهج يؤثر ويعطي الطابع العام لاعتقاد الانسان وتصرفاته وسلوكه، ويشكل مجموعة من أهدافه التي يصبوا الى تحقيقها. واختلاف هذه الانواع من الاعتقاد والسلوك، والتصرف، وتشكيل الاهداف، يعود الى اختلاف في النهج الذي اختاره الانسان.

فالنهج المبني على معلومات وحقائق دقيقة وثابتة عن الأشياء وطبيعتها، ويتم التصرف فيه على أساس الحكمة، فإن هذا النهج يعود بالخير العام الشامل على كل السائرين على هذا النهج. وهذا النوع من السبل الذي اختاره الباري عز وجل للانسان، وبعث بخصوص ذلك جميع الانبياء والمرسلين، بهدف توضيح هذا النهج وارشاد الانسان اليه ليسعد في كلتا الدارين.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، المجلد الثاني عشر، الطبعة الثانية، ١٩٧٢، صفحة ٣٧١ - ٣٧٣

امـا بالنسبة الى السبل الاخرى، التي بنيت على مجموعة من التأملات والتكهنات والتخرصات، فهي بعيدة كل البعد عن الحقائق ومكنونات الأمور، لذلك ينقصها الحكمة بسبب فقدانها تلـك الحقائق، ومن ثمّ، فهي تؤدي بكل من يتنكب هذه السبل الى الزيف والضلال، والتخبط بين المتناقضات؛ ليجد نفسه في النهاية صاغراً ذليلاً في نار جهنم.

ويا له من شرف باسق ومجد مؤثل عظيم للمسلمين بعامة وللعرب منهم بخـاصة، ان يكون كتابهم العزيز الذي أراده الحق سبحانه وتعالى ان يكون مصدر النور المبين للبشر جميعاً لما يحتويه من حقائق ومعلومات تهم بني البشر في كل ما يتعلق بالوجود ومكنوناته وما لهذه الحقائق من آثار عظيمة على الانسان في كافـة مناحي وجوده الدنيوي والأخروي. لذلك فقد وصف الحق سبحانه وتعالى هذا الكتاب العربي الحكيم انه مصدر الحكمة والنور المبين. والآيات القرآنية المجيدة التالية تنطق بذلك:

قال تعالى

﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ (1)

قال تعالى

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾ (2)

قال تعالى

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ (3)

---

(١) سورة يونس آية -١-

(٢) سورة يس آية ١-٣

(٣) سورة لقمان آية ١، ٢

قال تعالى

﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [(١)]

قال تعالى

﴿الر ۚ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾﴾ [(٢)]

ومما يؤسف له جداً أن ينبو العرب والمسلمون عن هذا المصدر المعرفي الذي يزخر بالحكمة ومشاعل النور، متخذين من دونه ما جاء به الفكر الانساني من ترهات وأقاويل وأنظمة هابطة تتسق مع اهوائهم ورغباتهم الشهوية، بالرغم من تجانفها مع الحق والحقيقة والقائها الانسان في الهلاك والخسران المبين في اليوم الآخر.

---

(١) سورة آل عمران آية ٥٨

(٢) سورة هود آية ١

الفصل الرابع

الإنسان وعلاقته بالحقيقة

- مقدمة
- المفهوم الانساني للانسان
- سلوك الانسان نحو الحقيقة
- حب الشهوات
- الازدواجية والتناقض - الصدق والثبات
- التسرع في إصدار الأحكام
- انكار الحقيقة ومقاومة اتباعها

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

الكهف (٥٤)

زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾

آل عمران (١٤)

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

الأحزاب (٧٢)

وَيَدْعُ الْإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ ۖ وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾

الاسراء (١١)

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا

الاسراء (٨٩)

الإنسان وعلاقته بالحقيقة

مقدمة

في الوقت الذي سعى الإنسان فيه منذ فجر تاريخه للبحث عن الأمور التي تتعلق به، وترسم وتوجه حاضره ومستقبله، حاول الكشف عن الكون واسراره، وسر الالوهية ومكنوناتها، والروح وماهيتها، فانه في المقابل بحث بشكل جاد ومستفيض عن طبيعته من حيث الخلق، والسمات الاجتماعية، والطبيعية، والنفسية والسياسية والى غيرها من السمات التي لها علاقة بطبيعة وسجية هذا الكائن المعقد التركيب؛ بهدف إنارة وتسهيل سبل التعامل المختلفة مع الانسان.

وبما انه من المحال التعرف أو الوقوف على جميع ما كُتب أو ما تم بحثه حول هذا الموضوع، فاننا سوف نتطرق بشكل عام وموجز الى بعض هذه الدراسات والاقوال المتفاوتة، ومن ثم سوف نعرض بشكل موجز وجهة نظر أحد العلماء الافذاذ في هذا المجال حول النتائج التي تمخضت عنها الابحاث البشرية عن الانسان، وبعد ذلك نرى بوضوح وجلاء حقيقة الانسان كما وصفها خالق الانسان تبارك وتعالى أحسن الخالقين.

«إن في الانسان خاصية المعادن، وهي الكون والفساد، وخاصية النبات، وهي النمو والغذاء، وخاصية الحيوان، وهي الحس والحركة، وخاصية الانسان وهي الفكر والادراك وخاصية الملائكة، وهي الطاعة والحياة.

فالانسان يتملق كالكلب والهر، ويحتال كالعنكبوت، ويتسلح كالقنفذ،

ويهرب كالطير، ويتحصن كالحشرات، ويعدو كالغزال، ويبطىء كالدب، ويسرق كالفأرة، ويفتخر كالطاووس، ويحقد كالجمل ويتحمل كالبقرة، ويشمص كالبغل، ويغرد كالطير، ويخرص كالخنزير، ويصبر كالحمار، وينفع كالنحل، ويضر كالعقرب، وهو شجاع كالأسد، وجبان كالأرنب، وأنيس كالحمام، وخبيث كالثعلب، وسليم كالحمل، وأبكم كالحوت، وشؤم كالبوم»[1].

«وقد اختلفت النظرة الى الطبيعة الانسانية اختلافاً كبيراً. ونظر اليها الفلاسفة والمفكرون من زوايا متعددة، فهناك تصور الطبيعة الانسانية على أنها شيء واحد ثابت في جميع الأزمنة والعصور. وأن الانسان هو الانسان حيثما وجد، وهناك من نادى بأن الطبيعة الانسانية تختلف باختلاف الافراد انفسهم وباختلاف استعدادتهم وقدراتهم»[2].

«فذهب البعض الى أن الانسان ليس في حقيقته إلاّ ظاهرة مادية شديدة التعقيد، مركب من المواد الكيمائية التي نشأت بسبب تطور المادة»[3].

وهناك دراسات فرويد للانسان، التي بنيت على أساس الدافع الجنسي. ودراسات دارون التي بنيت علىٰ أسس واعتبارات حيوانية.

وملخص الابحاث الانسانية للانسان، وما افادت به الانسان، يبدو بوضوح في كتاب «الانسان. ذلك المجهول» حيث يقول الكسيس كاريل في هذا الكتاب «فالانسان كل لا يتجزأ، وفي غاية التعقيد، ومن غير الميسور الحصول على عرض بسيط له، وليست هناك طريقة لفهمه في مجموعه، أو في اجزائه،

---

(١) مصباح الانس، لابن حمزة في شرح «مفتاح الغيب» ص ٣١٥

(٢) سيد ابراهيم الجيار: التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨ ص٥٧

(٣) فيليب فينكس - فلسفة التربية - ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحي - دار النهضة العربية، ١٩٦٥ ص ٦٩٩

في وقت واحد، كما لا توجد طريقة لفهم علاقاته بالعالم الخارجي. وفي الحق لقد بذل الجنس البشري مجهوداً جباراً لكي يعرف نفسه. ولكن بالرغم من أننا نملك كنزاً من الملاحظة التي كدسها العلماء والفلاسفة والشعراء وكبار العلماء الروحانين في جميع الازمان، فاننا استطعنا ان نفهم جوانب معينة فقط من انفسنا. اننا لا نفهم الانسان ككل. اننا نعرفه على انه مكوّن من اجزاء مختلفة. وحتى هذه الأجزاء ابتدعتها وسائلنا. فكل واحد منّا مكوّن من موكب من الأشباح، تسير في وسطها حقيقة مجهولة... وواقع الأمر أن جهلنا مطبق. فأغلب الاسئلة التي يلقيها على انفسهم اولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب، لان هناك مناطق غير محدودة في دنياناالباطنية ما زالت غير معروفة... فمن الواضح ان جميع ما حققه العلماءُ من تقدّم فيما يتعلق بدراسة الانسان غير كافٍ. وأن معرفتنا بأنفسنا ما زالت بدائية في الغالب... إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب، لانها لا تلائمنا. لقد انشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية، اذ انها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية، وشهوات الناس، وأوهامهم، ونظرياتهم ورغباتهم. وعلى الرغم من أنها انشئت بمجهوداتنا، إلا انها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا... يجب أن يكون الانسان مقياساً لكل شيء. ولكن الواقع هو عكس ذلك. فهو غريب في العالم الذي ابتدعه، انه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه؛ لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته... ومن ثم فان التقدم الهائل الذي احرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو احدى الكوارث التي عانت منها الانسانية... إننا قوم تعساء، لاننا ننحط اخلاقياً وعقلياً»[1].

وبعد هذا العرض الموجز للدراسات الانسانية وما آلت إليه من نتائج غير مجدية في الكشف عن مكنونات الانسان وشمائله، لا بد من التوجه الى مصدر آخر في الكشف عن هذا الكائن الا وهو المصدر الإلٰهي.

---

(١) الانسان ذلك المجهول، الكسيس كاريل، تعريب شفيق اسعد فريد بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٨٣.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن هذا المصدر الإلهي لم يذهب الى ما ذهب إليه بعض الفلاسفة من أن النفس هي الانسان على حقيقته، وأما الجسم فإنّه آلة تستخدمه النفس ولا اعتبار له، وانما هو نتاج العقل. بل الطبيعة الانسانية تتكون من روح وبدن، بدن: له حاجاته التي يجب إشباعها بهدف حفظ الذات وبقاء النوع. وروح: وهي التي نفخها الله من روحه سبحانه وتعالى لتسكن في هذا الانسان لتمكنه من تحقيق غاياته العليا، والتحلي بأقدس الصفات وأطهرها وهي التي تؤهله للفوز العظيم في دخول دار السلام في اليوم الآخر.

قال تعالى ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾ (١)

«لا توجد الروح والمادة في الانسان منفصلتين أو مستقلتين احداهما عن الأخرى، وانما هما ممتزجتان معاً في وحدة متكاملة متناسقة، وتتكوّن من هذا مزيج المتكامل المتناسق ذات الانسان وشخصيته. ونحن لا نستطيع ان نفهم شخصية الانسان فهماً دقيقاً إلا بالنظر الى هذا الكيان الانساني بأكمله، المكوّن من امتزاج عنصري المادة والروح»(٢).

«قدم الإسلام مفهوماً للطبيعة الانسانية يختلف اختلافاً جوهرياً عن كل المفاهيم السابقة بكل ما انطوت عليه من تطرف ومغالاة، او تصور وخطأ... فالطبيعة الانسانية في الإسلام وحدة متكاملة، قائمة على تداخل وامتزاج، وتشابك دقيق الحبكة شديد التعقيد بين المادة والروح. وليس في الإسلام انفصال بين روح وجسد أو انشقاق بين عقل ومادة. وليس الانسان جسماً فقط كما رأى اصحاب الاتجاه المادي وليست الحياة الشعورية حركات بدنية وتغيرات فسيولوجية في المخ. انما الانسان جسم وروح، والروح ليست من طبيعة مادية، كما انها ليست مجرد أداء الجسم لوظائفه. وليست هذه الروح

(١) سورة ص آية ٧١-٧٢.

(٢) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، الطبعة الاولى، دار الشروق، بيروت - ١٩٨٢، ص ٢٠٢

موضوع ملاحظة حسية أو تحقيق تجريبي. وكذلك الحال بالنسبة للحياة العقلية»[1].

فما دام المصدر الذي يُعتمد عليه في الدراسات الإسلامية هو القرآن الكريم، الذي يمثل كلام الله، فمن الطبيعي آنئذ أن نجد الفرق الشاسع بين الدراسات الانسانية للانسان من جهة، والفكر الإسلامي حول الانسان من جهة أخرى. وينطوي سرّ الاختلاف بين المصدرين على الحقيقة التالية، وهي أن الذي خلق الانسان يعلم خفايا النفس البشرية ومكنوناتها، وعندما نقول: النفس البشرية، نقصد بهذا القول آدم وجميع ذريته، وليس كما يفعل الباحثون في مجال الدراسات الانسانية بأخذ بعض من العينات البشرية، واخضاعها للدراسة لمدة معينة، ومن ثم تطبيق ما تمَّ التوصل اليه على جميع البشر.

أما الأساسية الثانية فتمثُل بأن الباري عز وجل، أطلعنا من خلال القرآن الكريم على مكنونات وخفايا النفس البشرية، الكامنة والظاهرة، وفي جميع مراحل العمر. كما أن هذا المصدر الإلهي يخلو من أهواء الباحثين الشخصية، والنزعات النفسية الكامنة في النفس البشرية التي ترى في الجدال والمناورة مورداً فياضاً للإبتعاد عن الحقيقة.

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾[2]

---

(١) مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، دكتور حسن ابراهيم عبد العال، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ١٩٨٥، ص ٣٠-٣١

(٢) سورة ق آية ١٦-١٨

قال تعالى

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾[1]

واضح من الآيات البينات السابقة بأن الباري عز وجل، بعلمه الجم الوفير اللامتناهي، يعلم ماتوسوس به النفس أو يجول في الصدور لجميع الانفس البشرية، لذلك فان هذا العلم الصادق الثابت لا تضاهيه بأي شكل من الأشكال الدراسات البشرية مهما توسعت واتضحت قاعدة الانطلاق والسلوك العلمي الانساني.

وأخيراً فان هذا المصدر الإلهي محفوظ من أن تناله الأيدي الانسانية بالتحوير والتعديل بهدف ادخال الانحراف البشري في هذا الكتاب المكنون ليتناسب مع الاهواء والشهوات الانسانية المخالفة للفطرة الانسانية والعهد الذي قبله الانسان وهو في عالم الذر.

قال تعالى

﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾[2]

قال تعالى

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾﴾[3]

وفي ضوء المصدر الإلهي في التعرف على حقائق ومكنونات وسمات النفس الانسانية، فان **السمة الأساسية الأولى**: هي وجود ثلاثة انواع من الانفس البشرية في التعامل مع الحقائق أو الحقيقة التي تنبثق عنها بقية الحقائق.

---

(١) سورة الملك آية ١٣-١٤

(٢) سورة الواقعة آية ٧٧-٨٠

(٣) سورة الحجر آية ٩

امـا بالنسبة الى النوع الأول، فيشمل الانفس المطمئنة الصادقة المنيبة المستوسقة مع الحق والمتفيئة في ظلاله المتبعة لتعليماته السماوية الباسقة الغراء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ [1]

واضح من هذه الآيات البينات، أن هذا النوع من البشر يؤمن بالغيب كما جاء في الكتاب المبين كما أنهم موقنون باليوم الآخر. وهذا الايمان بالطبع، يمنعهم من رجم الغيب وتصديق التخرصات والتكهنات التي جاء بها الخراصون.

أما النوع الثاني من البشر فهي فئة المكابرين المعاندين للحقيقة جهراً. السـادرين في عنـادهم وجـدالهم وتغـطيتهم الحقائق مهما اتضحت الحقيقة امامهم لن تغير من موقفهم في مواجهة الحقيقة والقائمين عليها.

قال تعالى

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [2]

وأخيراً الفئة المبطنة التي تميّزت بالمرواغة والخداع حيث انها تظهر عكس ما تبطن. في الظاهر هذه الجماعة أو الفئة، تشهد على نفسها بأغلظ الأقوال

(١) سورة البقرة آية ١ـ٥

(٢) سورة البقرة آية ٦ـ٧

والايمان انها مع الحق. وفي الحقيقة، والباطن تعدُّ هذه الفئة من ألد اعداء الحق والحقيقة.

قال تعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝١١ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ۝١٣ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ۝١٤﴾ [(١)]

إن وجود هذه الانماط الثلاثة من الانفس البشرية، يمثل كيفية ونوعية سلوك الانسان نحو الحقيقة، أما من حيث الاعتقاد والتصديق ونهاية المصير، فإن الانفس البشرية تشكل نوعين من الانماط البشرية. فالنوع الأول هو الذي استجاب الى نداء السماء وصدّق وسلك في ضوء الهدى والنور المنبعث من السماء الى الأرض عن طريق الانبياء والمرسلين. وهذه الفئة أو الجماعة تدعى حزب الله حيث يؤول مصيرها في النهاية الى جنات النعيم خالدين فيها أبدا.

اما الفئة الثانية، وهي التي اعرضت وادبرت عن تعاليم السماء التي جاء بها الانبياء والمرسلون، دأبت إلّا ان تناهض الفطرة الانسانية، وتعطى الولاية والتبعية الى عدو البشرية الأشر. فاصبحت تدعى هذه الفئة بحزب الشيطان حيث يؤول مصيرها الى نار جهنم وبئس المصير.

---

(١) سورة البقرة آية ٨-١٤

قال تعالى

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]

فهذا النوع من البشر يحتل فئة حزب الله، بسبب التصاقهم التام والوثيق بتعليمات الله سبحانه وتعالى، حتى لو أدى ذلك بهم الى انكار جميع روابط الدم التي تعيق او تهز مصداقيتهم في الالتزام بتعليمات المولى عز وجل.

قال تعالى

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾[2]

أما حزب الشيطان، فهم الذين استكبروا عن آيات الله بعد أن كذبوها واستحوذ عليهم الشيطان بأحابيله المختلفة، وبهذا اصبحوا تبعاً لعدو البشرية الأول.

قال تعالى

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[3]

قال تعالى

﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[4]

---

(١) سورة الاعراف آية ٣٥

(٢) سورة المجادلة آية ٢٢.

(٣) سورة الاعراف آية ٣٦

(٤) سورة المجادلة آية ١٩.

السمة الثانية التي يمتاز بها الانسان :

هي حب الشهوات التي جُبلت عليها النفس الانسانية، كحب النساء وجمع المال بكافة انواعه وحب التملك.

قال تعالى

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ (١)

فالذي يحكم الانسان ويوجهه نحو هذه الشهوات، مدى صلته وتصديقه للهدى والنور، والطريق الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى للبشر جميعاً. فأما في حالة اتصال العبد بخالقه، فانه يلبي هذه الحاجات الشهوية بالطرق والوسائل التي أحلها الله سبحانه وتعالى. وبهذا تنكسر حدة هذه القوى الشهوية، ومن ثم يفوز في الدار الآخرة بما هو افضل واسمى من كل هذه الشهوات.

قال تعالى

﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ (٢)

اما بالنسبة للانسان الذي حاول ان يلبي هذه الشهوات المتعددة بدون ضوابط او حدود معينة كالتي بينها الله سبحانه وتعالى، فانه يصبح عبداً لهذه الشهوات ويصبح فريسة سهلة لعدو البشرية بأن يتمكن منه ويصبح له تبعاً. وبهذا يصدق عليه قول الشيطان عندما توعد ذرية آدم عليه السلام.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٤

(٢) سورة آل عمران آية ١٥

قال تعالى

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾[1]

إن هذه الشهوات وعلى رأسها الشهوة الجنسية، التي ركبها الله سبحانه وتعالى في النفس البشرية، ادت الى ظهور صفة الضعف عند الانسان لذلك فان الباري عز وجل أحل النكاح للانسان لإشباع هذه القوة الشهوية الكامنة في النفس، ويتم بذلك تغطية بعض من الضعف الذي وشج الانسان عليه بهدف اعداد الانسان وتأهيله للفوز في الحياة الدنيا.

قال تعالى

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾[2]

«كـون الانسان ضعيفاً لما ركب الله فيه من القوى الشهوية التي لا تزال تنـازعـه في ما تتعلق به من المشتهيات، وتبعثه إلى غشيانها فمنّ الله عليهم بتشريع حليّة ما تنكسر به سَورَةَ شهوتهم بتجويز النكاح[3].

(١) سورة الاسراء آية ٦٢ـ٦٥.

(٢) سورة النساء آية ٢٧ـ٢٨.

(٣) تفسير الميزان، الطباطبائي، الجزء الرابع، ١٩٧٤، ص٢٨٢.

السمة الثالثة التي تميز الانسان عن غيره:

هي صفة جهل الحقائق الأساسية بسبب عدم قدرته في التعرف والتبصر في مكنونات الاشياء وخفاياها مما حدا بهذا الانسان ان يظلم نفسه وغيره من البشر، فالجهل يكمن في اتباع عدو الانسانية الأول بل اعطائه الولاية من دون الله الذي خلق فسوى واكرم ووعظ وهدى وانار السبيل القويم لكل من توسم طريق الخير.

قال تعالى

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[1]

فهـذا النوع من التبعية لعدو الانسانية الأشر، يمثل الجهل المدقع عند الانسان؛ لأنه يدين بالولاء الى عدو آدم وذريته، فاذا كان الانسان يعلم هذه العـداوة، ومن ثم يُصرّ على أن يكون من اتباع عدوه الأسن، فهذا يعدُّ قمة السخف والسفـاهـة، والجهل والانحطاط. اما اذا كان لا يعلم هذه العداوة المتـأصلة بين الشيـطان والانسانية جمعاء، فهذا جرم اشد، حيث يدل على الجهل المستشري في النفس الانسانية، والظلام الدامس الذي تعج وتموج به العقول البشرية. هذا بالاضافة الى ان صفة الجهل والظلم تبدو بوضوح بقبول الانســان للامـانـة التي اشفقت من حملهـا السموات والارضين، وقبلها هذا المخلوق الضعيف الجاهل بمصائر الأمور وبما حجبت عنه أستار الغيب من حقائق.

قال تعالى

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾[2]

---

(١) سورة الكهف آية ٥٠ .

(٢) سورة الاحزاب آية ٧٢ .

بينما نجد في المقابل الانفس الصادقة المطمئنة السائرة على طريق الحق، والمستوسقة مع الفطرة الانسانية، أدانت بالولاء والتبعية الى الرحمٰن الرحيم خالق البشرية وجامعها الى يوم الحق.

هذا بالاضافة الى أن نتيجة اعمال هؤلاء المؤمنين بالله واليوم الآخر، والذين لم يحيدوا عن هذا السبيل القويم بسبب التصاقهم واتباعهم للنهج الرباني المنير، استحقوا التوبة والغفران من الله سبحانه وتعالى ويبدو ذلك بوضوح في تكملة آية الامانة السابقة بالآية التالية.
قال تعالى
﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾ (١)

السمة الرابعة:

فهي تمثل التذبذب والازدواجية في السلوك عند حزب الشيطان من البشر، وفي المقابل صفة الصدق والثبات واليقين عند حزب الله من البشر. فحالة التذبذب والمواربة تظهر في حالة تعرض الانسان الى بعض مايكره من الشرور، والمخاطر حيث يتوسل الى خالقه بالادعية المختلفة، مبدياً تقربه واعتماده على الله. وفي حالة تقشع وانتهاء هذه الحالات والخروج منها يعود الى المكابرة، والمنافحة، والمناكدة مبتعداً عن الله سبحانه وتعالى، وكانه نسي أو تناسى كل ما دعى اليه ربّه أثناء الشدائد والمخاطر. ودليل ذلك يظهر بجلاء في الآيات القرآنية الكريمة التالية:
قال تعالى
﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (٢)

---

(١) سورة الأحزاب آية ٧٣.

(٢) سورة يونس آية ١٢.

قال تعالى

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (٣)

قال تعالى

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ (٤)

وفي مقابل هذه الانفس المتذبذبة، نجد الانفس المطمئنة الصادقة، التي تعتمد وتتوكل على الرحمٰن جلت وتعالت قدرته، حيث الايمان الراسخ الثابت المبني على أسس قويمة في جميع الظروف والملابسات، في ساعة الرخاء، وساعات الشدّة نجد شدّة وقوّة العزيمة المنبثقة من ايمان هؤلاء النفر اليقيني بما وعدهم الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ

---

(١) سورة الروم آية ٣٣

(٢) سورة الزمر آية ٨.

(٣) سورة الزمر آية ٤٩

(٤) سورة فصلت آية ٥١.

﴿زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾ (1)

واضح من الآيات البينات ان تلاوة القرآن وزيادة الإطلاع على آياته البينات لن تزيد هذه القلوب المؤمنة إلا خشوعاً وتزيد ايمانهم ايماناً وتوكلاً على الله سبحانه وتعالى هذا الايمان واليقين الذي لا يتسلل الى داخله ريب أو شكٌّ حيث استعداد المؤمن للتضحية بالمال والنفس في سبيل الله، وهذه دلالة على درجة الوثوق والثبات واليقين التي يتصف بها المؤمنون.

قال تعالى

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝١٥﴾ (2)

إن الصدق واليقين اللتين امتازت بهما هذه الانفس الخيّرة، المنيبة لبارئها لا يمكن أن تتراجع أو يكتنفها الشك والريب في كلام الله وسوله، حتى في أشد المصاعب والأهوال التي يصل مداها وقوتها إلى زيغ الأبصار، وبلوغ القلوب الحناجر من شدة الهول والخوف، وهذا ما حصل مع المؤمنين في غزوة الخندق عندما هوجمت مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ۝٢٢﴾ (3)

---

(١) سورة الانفال آية ٢-٤

(٢) سورة الحجرات آية ١٥

(٣) سورة الاحزاب آية ٢٢.

السمة الخامسة التي يتصف بها الانسان:

هي سمة التسرع في اصدار الاحكام قبل التأكد من مدى صلاحيتها أو فسادها، وذلك يعود الى عدم قدرته على التمييز الواضح الى ما تؤول اليه الأمور من خير أو شر، فهو يدعو ويطلب الأمور التي تؤدي الى وقوع الشر تماماً كما يسعى في طلب الأمور التي توصل الى الخير.

قال تعالى

﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ۝١١﴾ [1]

«جنس الانسان عجول لا يفرق لعجلته بين الخير والشر، بل يطلب كل ما لاح له ويسأل كل ما بدا له فتعلق به هواه من غير تمييز بين الخير والشر، والحق والباطل، فيرد الشر كما يرد الخير ويهجم على الباطل كما يهجم على الحق»[2].

«ذلك انه لا يعرف مصائر الأمور وعواقبها. ولقد يفعل الفعل وهو شر، ويعجل به على نفسه وهو لا يدري أو يدري، ولكنه لا يقدر على كبح جماحه وضبط زمامه. فأين هذا من هدى القرآن الثابت الهاديء الهادي! ألا إنهما طريقان مختلفان، شتان شتان. هدى القرآن وهوى الانسان»[3].

إن الضعف الانساني في التمييز بين الأمور الناتج عن الهوى الانساني، المركب من ضغوط ودوافع الغرائز الشهوانية في النفس الانسانية، يجعل الانسان ينخدع بظواهر الأمور دون الإلتفات الى أصولها وبواطنها للتأكد من نهايات الأمور، إلّا مَن اتصل قلبه بالرحمن فأشرق واستنار بهدى الله سبحانه وتعالى الذي جاء به الانبياء والمرسلون. ودليل ذلك لجوء الانسان الى خالقه،

---

(١) سورة الاسراء آية ١١

(٢) تفسير الميزان، الطباطبائي. الجزء الثالث عشر، ١٩٧١، ص٤٩

(٣) ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء الرابع، ١٩٨١، ص ٢٢١٦

متضرعاً، متوسلاً في حالة تعرضه للخوف في عرض البحر أو أي مكان، حيث ينسى كل شيء ويبتعد عن كل شيء خلا صلته بالرحمٰن جلّ وتعالى شأنه. ولكن سرعان ما يُعرض الانسان وينبو عن خالقه سبحانه وتعالى في اللحظة التي تلمس فيهاقدماه ساحل البر، أو يزول عنه عامل الخوف.

يتصرف الانسان بهذه الصورة المزرية، بسبب جهله الصارخ بحقائق الأمور، ومنها جهله الفاضح بالذات الإلهيٰة، وقدرة الله سبحانه وتعالى القادر على ان يهلك الانسان في البر والبحر، وفي أي مكان في السموات والارضين، سواء أكان ذلك بخسف البر، أو بارسال الرياح العاتية، أو بأي طريقة يختارها الله سبحانه وتعالى. ومن الذي يستطيع ان يحول دون إرادة الله من أن تنفذ؟

قال تعالى

- ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ (١)

«إن البشر في قبضة الله في كل لحظة وفي كل بقعة. انهم في قبضته في البر كما هم في قبضته في البحر. فكيف يأمنون؟ كيف يأمنون أن يخسف بهم جانب البرّ بزلزال أو بركان، أو بغيرهما من الأسباب المسخرة لقدرة الله؟ أو يرسل عليهم عاصفة بركانية تقذفهم بالحمم، والماء، والطين، والأحجار، فتهلكهم دون أن يجدوا لهم من دون الله وكيلاً يحميهم ويدفع عنهم؟

أم كيف يأمنون أن يردهم الله الى البحر فيرسل عليهم ريحاً قاصفة، تقصف الصواري وتحطم السفين، فيغرقهم بسبب كفرهم واعراضهم، فلا يجدون من يطالب بعدهم بتبعة إغراقهم؟

---

(١) سورة الاسراء آية ٦٧-٦٩

ألا انها الغفلة أن يعرض الناس عن ربهم ويكفروا. ثم يأمنوا أخذه وكيده. وهم يتوجهون إليه وحده في الشدة ثم ينسونه بعد النجاه. كأنها آخر شدّة يمكن أن يأخذهم بها الله!»[1]

السمة السادسة التي وشج عليها اتباع الشيطان من الانس:

هي انكار الحق والحقيقة، والجحود والانكار، والاستهزاء بالحقيقة والانبياء والمرسلين الذين بعثهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا مبشرين ومنذرين للبشرية، ولكي لا يكون للناس على الله حجة يوم القيامة. وتاريخ البشرية مع الانبياء والمرسلين يغص بالقصص والاحداث المخجلة والمؤسفة، بالاضافة الى القتل والعذاب والتشريد لكل مَن آمن مِن الناس بهذا الحق المرسل من الله سبحانه وتعالى، كما أن أعواد المشانق وأقبية السجون تشهد بكل الأحداث المخزية التي تعرض لها أقطاب الحق الذين ليس لهم هدف سوى إنارة الطريق امام الناس بهدف الوصول الى سدرة الحق والصواب.

قال تعالى

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2]

هذا من باب تكذيب الانبياء، اما من ناحية الهجوم الشرس المتواصل المبني على التهم الواهية، فيبدو ذلك في الآيات التالية:

قال تعالى

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾[3]

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء الرابع، ١٩٨١، ص٢٢٤٠

(٢) سورة يس آية ٣٠

(٣) سورة الاعراف آية ٥٩ـ٦٠

اين الهدف السامي الذي يصبو اليه سيدنا نوح عليه السلام من الاجابة الجوفاء التي تفتقت عنها العقول السادرة في غيها وضلالها.

قال تعالى

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[1]

بهذه اللجاجة والصفاقة، كان الرد على سيدنا هود عليه السلام. يخاطبهم بالعقيدة والتوجه الى الله، ويكون الرد الذي ينمّ عن جهل مدقع بالتعرض الى شخص سيدنا هود عليه السلام. فأين العقيدة من شخص هود عليه السلام لو انهم كانوا يعقلون.

قال تعالى

﴿ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[2]

بهذا الانحلال وسفاهة التفكير يواجهون سيدنا لوط بأنهم لا يريدون الطهارة، بل يكرهونها، وجزاء من يكون طاهراً أن يتعرض الى الطرد من القرية التي يقطنها هؤلاء القوم الكارهون للطهارة وكل من يتطهر.

بهذا السخف والافتراء الذي لا يوجد نهما حد تمت مواجهة الانبياء والمرسلين الذين اختارهم الله سبحانه وتعالى ليكونوا المبشرين والمنذرين للناس، والمعلمين للحكمة، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. ومن

(١) سورة الاعراف آية ٦٥-٦٦

(٢) سورة الاعراف آية ٨٠-٨٢

جملة ما وصف به اصفياء البشر، الكهانة، والسحر، والسفاهة، والجنون، والكذب والى غيرها من الافتراءات البغيضة.

قال تعالى

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝٤١ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٤٢ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٤٣﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝٢٥﴾ (٢)

إن الايات الكريمة السابقة، ترد التهم التي وجهت الى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على انه شاعر، وكاهن، ومجنون، أو انه اصيب بمس شيطاني.

إن هذه المكابرة، والمنافحة، وجحود الحق وإنكاره بالرغم من وضوحه الساطع، وتوفر الادلة القاطعة والحجج والبراهين الدامغة على وجوده، وظهور الحق بكافة الطرق والأساليب المتعددة، يدل على الانحراف التام لهذه الانفس عن الفطرة الانسانية، هذا بجانب الارتكاس في الحضيض، والنزول الى مستوى أسفل سافلين.

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (٣)

إن الباري عز وجل الذي يعلم بمكنونات النفس البشرية، وبمدى الالتواء والاعوجاج فيها، اخبرنا بأن الأنفس المنحرفة عن جادة الصواب، والكارهة للحق والحقيقة ومن ينادي بهما، لو فُتح لها بابٌ من السماء لترى عين اليقين

---

(١) سورة الحاقة آية ٤٠-٤٣

(٢) سورة التكوير آية ٢٢ - ٢٥.

(٣) سورة الاسراء آية ٨٩.

بعض أو كل ما حجب الغيب عنها من حقائق الوحي والنبوّة، واطلاعها على مجريات الأمور وأسباب الخوارق، والسعادة والشقاء، ومحل صدور الاحكام والأمور الإلهية لما استقامت هذه الانفس أو سلمت للحق، بل على العكس تماماً فانها سوف تمارس مهنة وهواية الافتراء والكذب على الحق واتباعه.
قال تعالى

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾ (١)

يقول سيد قطب رحمه الله في هذا الخصوص:

«وليس الذي ينقصهم هو توافر دلائل الايمان، فهم معاندون ومكابرون، مهما تأتهم من آية بيّنة، فهم في عنادهم ومكابرتهم سادرون... ويكفي تصوّرهم يصعدون في السماء من باب يفتح لهم فيها. يصعدون بأجسادهم، ويرون الباب المفتوح امامهم، ويحسون حركة الصعود ويرون دلائلها.. ثم بعد ذلك يكابرون فيقولون: لا. لا. ليست هذه حقيقة. انما احدٌ سكّر ابصارنا وخدّرها فهي لا ترى انماتتخيّل... سكر ابصارنا مسكر وسحرنا ساحر. فكل ما نراه ونحسه وما نتحركه تهيؤات مسكر مسحور!

يكفي تصورهم على هذا النحو؛ لتبدو المكابرة السمجة، ويتجلى العناد المزري. ويُتأكد ان لا جدوى من الجدل مع هؤلاء. ويثبت أن ليس الذي ينقصهم هو دلائل الايمان. وليس الذي يمنعهم ان الملائكة لا تنزل. فصعودهم هم أشد دلالة والصق بهم من نزول الملائكة انما هم قوم مكابرون. مكابرون بلا حياء وبلا تحرّج وبلا مبالاة بالحق الواضح المكشوف!

(١) سورة الحجر آية ١١-١٥.

انـه نموذج بشري للمكابرة والاستغلاق والانطماس يرسمه التعبير، مثيراً لشعور الاشمئزاز والتحقير. . وهذا النموذج ليس محلياً ولا وقتياً، ولا هو وليد بيئـة معينة في زمان معين. . إنه نموذج للانسان حين تفسد فطرته، وتستغلق بصيرته، وتتعطل في كيانه اجهزة الاستقبال والتلقي. . . هذا النموذج يتمثل في هذا الزمان في الملحدين واصحاب المذاهب المادية التي يسمونها «المذاهب العلمية» وهي ابعد ما تكون عن العلم، بل ابعد ما تكون عن الإلهام والبصيرة.

إن أصحـاب المـذاهب المـادية يلحدون في الله، ويجادلون في وجوده سبحانه وينكرون هذا الوجود، ثم يقيمون على أساس إنكار وجود الله، والزعم بأن هذا الكون موجود هكذا بذاته، بلا خالق، وبلا مدبر، وبلا موجه. . يقيمون على أسـاس هذا الـزعم وذلـك الانكار مذاهب اجتماعية وسياسية واقتصادية واخلاقية. ويزعمون ان هذه المذاهب القائمة على ذلك الأساس علمية. . هي وحدها العلمية! . . . فالشواهد الكونية اظهر وأوضح من عروجهم الى السماء وهي تخاطب كل فطرة غير معطلة خطاباً هامساً وجاهراً، باطناً وظاهراً، بما لا تملك هذه الفطرة معه إلا المعرفة والاقرار»[1].

لذلك فإن الله سبحانه وتعالى، الذي خلق الانسان في هذه الصورة العجيبة المتناهية في الدقة والتعقيد، يخبرنا بأن هذا المخلوق متفوق على جميع الأشياء والموجودات في الجدل وإظهار الأسباب والاعذار غير المعقولة، بهدف الابتعاد عن الحقائق وعدم التسليم للحقيقة.

قال تعالى ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[2]

وهذا هو بعينه الجدل الذي ذهب اليه الفلاسفة ومن وشجت عروقه على طريقتهم عندما قالوا انهم ينشدون الحقيقة ولكن عن طريق العقل الانساني،

---

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، الجزء الرابع، ١٩٨١، ص٢١٢٩

(2) سورة الكهف آية ٥٤.

وأي طريق أخرى غير هذه الطريق فهي مرفوضة تماماً لو نطقت بالحق المبين الواضح لكل ذي لب وجنان. وافكارهم الفلسفية المتعددة المتضاربة التي تنكر وجود الله تارة، وتقرّه تارة أخرى، وتؤمن بالحشر تارة، وتنكره تارة اخرى، تؤمن بوجود عالم آخر غير هذا العالم المحسوس، وتنكره تارة أخرى، والى غيرها من الشطحات والفلتات الفكرية التي جاء بها هؤلاء من أجل الابتعاد عن الحقائق، ومن ثم طمسها بالطرق الجدلية المختلفة.

وخلاصة القول في هذا الموضوع إن الانسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم، وانار له سبل الهدى بعد أن وهبه حرية الاختيار، هو نفسه القادر على المحافظة على هذا المستوى من السموّ والرفعة، والمكانة الباسقة الوضاءة التي انعم الله عليه، والتحلي بالصفات السامقة المؤثلة. كما انه القادر على الانحدار من عليائه للارتكاس في الحضيض، والسقوط الى ادنى المستويات، والتحلي بالصفات الهابطة التي تؤهله ان يتبوأ اسفل المنازل والدرجات في سلم الرقي الحيواني لما يصدر عنه من شرور وآثام، وسلوك شاذ.

قال تعالى

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥﴾[1]

وفي ضوء ما تقدم، فاننا عندما نتحدث عن الانسان من ناحية اجتماعية وسلوكية، فاننا نقف امام فئتين متغايرتين، فالفئة الأولى هي التي استجابت الى النداء المنبعث من الله سبحانه وتعالى، وصدّقت بما جاء به الانبياءُ والمرسلون، والتزمت هذا النهج الرسالي الربّاني في كافة الأمور الحياتية بصدق واخلاص ويقين. وهذا النهج الرسالي الرباني بدوره الخاص والمتميّز، اضفى على هذه النوعية من البشر الصفات المجيدة المؤثلة من صدق، واخلاص، ومحبة، ومودة، وإيثار وحكمة، ووفاء بالعهود والمواثيق، ومصداقية وثبات، وعلم الأمور الغيبية التي يزخر بها الفكر الإسلامي. كل هذه

---

(١) سورة الانفال آية ٥٥.

الصفات الغرّاء هي التي يتحلّى بها الانسان العقيدي الذي تربى وترعرع على أسس التربية الإسلامية، وهذه الصفات بعينها هي صفات المجتمع الرسالي، مجتمع الفضيلة، الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، الذي صوره رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه الجسد الواحد من شدّة روح التعاون، والتماسك، والايثار، والتضحية، وإذا وجد في هذا المجتمع الرسالي الفاضل انسان يخلو من هذه الصفات المجيدة، ويتحلى بصفات غيرها، فانه يعد من الفئة المنافقة المناورة، التي تتصف بالرياء والمداهنة وتظهر عكس ما تبطن.

قال تعالى

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾[1]

اما الفئة الثانية من البشر، فهي التي ادبرت وانكرت الهدى الذي ارسله الله سبحانه وتعالى الى عباده، وآثرت اتباع الشهوات والملذات على الايمان والالتزام بالهدى والحكمة التي جاء بها الانبياء والمرسلون من عند الله سبحانه وتعالى ومضت هذه الفئة على اشباع الحاجات الحيوانية والقوى الشهوية بجميع الطرق والاساليب المتاحة دون ادنى اعتبار لأي ضابط داخلي أو معيار خُلقي.

لذلك اتسمت هذه الفئة بالصفات السيئة المتعددة، كما وصفها الله سبحانه وتعالى. وهذا بعينه هو الذي وصلت اليه ابحاث فرويد وداروين عن الانسان من صفات حيوانية شهوانية مفرطة. ومن أهم وأبرز الصفات التي يتحلى بها هؤلاء النفر من الناس، الكذب، والظلم، والاستكبار، والافتراء، والمراء والجهل، ورجم الغيب تارة وانكاره تارة اخرى، ومناهضة الفطرة الانسانية، ومناهضة الحق والسائرين عليه، ونقض العهود والمواثيق، واتباع سيد الاشرار ومنبع الشر المتمثل في الشيطان وقبيله. وهذه بعينها صفات المجتمع غير الرسالي.

---

(١) سورة البقرة آية ٨ ـ ٩.

الفصل الخامس

العقل ودوره في الوصول إلى الحقيقة

- مقدمة
- اهمية العقل
- المفهوم الفلسفي للعقل
- مفهوم علماء المسلمين للعقل
- طرق ومراحل مخاطبة الحق للعقل الانساني
  - مرحلة التبليغ والتجريب
  - المرحلة الحسية
  - مرحلة التفكير والتفكر
  - مرحلة الاستدلال والانتزاع
  - مرحلة الآيات والمعجزات
  - مرحلة تلبية الطلبات
  - مرحلة المقارنة
  - مرحلة التحدي
  - الخلاصة

بسم الله الرحمٰن الرحيم

وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾

المؤمنون (٦٢)

يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا
لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ
ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

الأعراف (٢٧)

وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾

الذاريات (٢٠ ـ ٢١)

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

يٰس (٦٨)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن
دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا
يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾

الحج (٧٣)

قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ
بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

الاسراء (٨٨)

العقل ودوره في الوصول إلى الحقيقة

إن الله سبحانه وتعالى خلق كلّ شيء في السموات والارضين بمواصفات معينة، وقدرات محدودة لكل خَلْقٍ من مخلوقاته، بحكمة يعلمها هو، تعالت قدرته سبحانه وتعالى. ولكل خَلْقٍ من هذه المخلوقات مزايا ومواصفات معينة تتشابه وتختلف مع بقية المخلوقات. ولكن هناك صفة مشتركة بين هذه المخلوقات وهي صفة التناهي أي أن لكل مخلوق قدرات محدودة لا يستطيع أن يتجاوزها. ففي الوقت الذي يستطيع فيه الشيطان بقدرته وأحابيله التي جسَّدها الله سبحانه وتعالى في ذات الشيطان أن يغوي، ويوسوس، ويسيطر على قسم كبير من البشر، تتهاوى قدراته وتضعف احابيله عن أن ينال من عباد الله المخلصين، لأنهم خارج حدود قدراته. لذلك فإننا نستطيع أن نقول بأن الشيطان له حدود يمكن ان يناور ويحاور داخلها ولا يستطيع أن يتعداها.

قال تعالى

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ (1)

ودليل آخر على محدودية الشيطان انه سينال جزاءه الموفور في نار جهنم خالداً فيها هو وحزبه من الانس والجن.

---

(1) سورة الاسراء آية ٦٢-٦٥.

ومن بين المخلوقات التي خلقها الله سبحانه وتعالى، الانسانُ بشكله المنظم الرتيب، المعقد التركيب، ميزه الله سبحانه وتعالى عن سائر المخلوقات بما وهبه من الملكة العقلية، التي مكنته من السيطرة والاستفادة من أغلب المخلوقات الأخرى. وبهذه الموهبة الإلهية للإنسان اصبح الانسان دون غيره من سائر المخلوقات يمتلك حرية الاختيار بين الايمان والكفر بالله سبحانه وتعالى.

قال تعالى

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ (٣)

وفي حالة تعرض هذه الملكة العقلية الى خلل معين تتعطل فيه الملكة عن العمل المراد فان الانسان يسقط عنه التكليف والامتثال الى الحساب يوم المعاد لان الباري عز وجل اذا أخذ ما وهب اسقط ما أوجب. لذلك ليس غريباً أن نجد الهالة العظيمة من الاراء والمؤلفات المختلفة للفلاسفة والمفكرين حول العقل الانساني؛ لما له من أهمية كبرى في حياة الانسان ومصيره. وجدير بالذكر أن الفلاسفة ومن نهج على طريقتهم تعاملوا مع العقل انه المصدر الوحيد للوقوف

(١) سورة النحل آية ٤٩.

(٢) سورة الحج آية ١٨.

(٣) سورة الكهف آية ٢٩.

على المعــرفــة سواء أكـانت تتعلق بالـطبيعـة، أو بالامـور الغيبية، او علم الميتافيزيقا. ويبدو ذلك بوضوح من خلال كتاباتهم ومؤلفاتهم المختلفة.

«أن العقل في مكنته أن يكتشف ما وراء الاعراض المحسوسة من حقائق، وان الحقائق موجودة. اذ ماهية كل شيء حقيقته، وقد تبنى هذه النزعة اليقينية سقراط وتلامذته. وان اختلفوا فيما بينهم في طبيعة معرفة هذه الحقائق الثابتة»[1].

«إن العقل الفعال في نظرية الفيض والصدور، يعدّ مصدراً للوجود ومصدراً للعلم والمعرفة»[2].

لذلك فان افلاطون يعد الفلسفة هي التشبه بالآلهة بقدر الطاقة الانسانية.

قال ارسطو.

«يجب ان يكون العقل بالضرورة من حيث انه يعقل جميع الاشياء، غير ممتزج، كما يقول انكسا جوراس حتى يستطيع أن يأمر، أي يعرف... ولهذا يجدر بنا الاّ نقول أن العقل يمتزج بالجسم اذ يصبح عندئذ ذا صفة محدودة؛ اما بارداً أو حاراً. بل قد يكون له عضو من الاعضاء مثل قوة الحس، ولكن في الواقع ليس له اي عضو»[3].

يقول الاسكندر الافرودويس «ان ارسطو لم يكن يقصد بالعقل الفعّال انه قوة من قوى النفس الانسانية وانما كان يقصد به الآلهة»[4].

«إن العقـل الفعـال عند الكندي واحد ووحيد، وكل العقول انما تحقق وجودها الفعلي عن طريقه وبواسطته»[5].

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، الطبعة الثالثة، ١٩٥٣، ص ٥٢.

(٢) الفلسفة الاسلامية في المشرق، ص١٧٥.

(٣) كتاب النفس، ارسطو، الكتاب الاول، الفصل الرابع ص ٢٧ـ٢٨.

(٤) الفلسفة الاسلامية في المشرق ص ١٧٥

(٥) المصدر السابق ص١٨٠

«إن الفلاسفة المسلمين القائلين بنظرية الاتصال بالعقل الفعال يسوون بين العقل الفعال وبين الوحي، فالعقل الفعال بلغة الفلسفة هو بعينه الوحي بلغة الدين»[1]

يقول الفارابي «إن العقل الفعال قد تلقى صورة من السبب الأول الذي هو العلة الرئيسية لصور العالم المعقول والمحسوس. وعلى ذلك فان دور العقل الفعال هنا هو دور الوسيط المكلف بتوصيل ما أمر به من جهة السلطة الحاكمة له. يمكن الاتصال بهذا العقل الفعال بطريقتين فقط: طريقة الفلاسفة وطريقة الانبياء»[2].

«ويذهب الفارابي الى ان المعرفة الحسية شرط أساسي ورئيسي للمعرفة العقلية. بحيث يمكن القول، مع ارسطو في هذا الصدد، إن من فقد حساً فقدْ فَقَدَ، بمعنى ما، علماً متعلقاً بهذا العضو المفقود»[3].

«والعقل الفعال عند ابن سينا ليس له قوة من قوى النفس الانسانية، بل هو خارج الانسان. ولذلك فليس ثمة عقول فعالة متعددة بتعدد النفوس البشرية بل يوجد عقل فعال واحد يشرق بعلمه ونوره على كل العقول البشرية المريدة التي تسعى نحوه وتطرق بابه ان جاز التعبير»[4].

«نادى ابن سينا، ومن جرى مجراه بالقول بنظرية الفيض، وبصدور الواحد عن الواحد. وفي هذا الصدد يرى أنّ العقل الأول كان أول موجودٍ صدر عن الله، وهو مشابه لله في وحدانيته، لكنه ليس مماثلاً له»[5].

«وغني عن البيان أن الفارابي قد فضل المعرفة الفلسفية على المعرفة النبوية؛ لأن الفيلسوف يدرك حقائق الأشياء كما هي، بينما المعرفة النبوية تعبر

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٣

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) المصدر السابق ص ٢٦٩

(٤) المصدر السابق ص ٣٦٠

(٥) المصدر السابق ص ٣١٠

عن حقائق الاشياء من خلال صور او مثالات محاكية لها. ومن هنا فان المعرفة النبوية تحتاج الى تأويل وتفسير. اضف الى ذلك ان المعرفة الفلسفية تعتمد اعتماداً رئيسياً على الجد، والاجتهاد، والمثابرة، والنظر العقلي الخالص. ومن هنا فان الانسان هو المسؤول عنها... بينما نجد أن العلم الحاصل للنبي لا دخل له فيه. اذ إن النبي ليس مسؤولاً عن مخيلته القوية التي منحه الله إياها»[1].

ولكنّ هناك عدداً من الفلاسفة اعترفوابأن العقل محدودٌ متنــاهٍ، فلا يمكنه التعرف أو الوقوف على حقائق الأشياء، بل هذه المهمة تفوق القدرة والطاقة الانسانية.

يقول الفارابي في كتاب التعليقات: «الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر. ونحن لا نعرف من الأشياء الاّ الخواص، واللوازم، والاعراض، ولا نعرف الفصول المقومة لكل منها، الدالة على حقيقته، بل انها اشياء لها خواص واعراض. فانا لا نعرف حقيقة الأول، ولا العقل، ولا النفس، ولا الفلك، ولا النار والهواء، والماء والارض، ولا نعرف حقائق الاعراض»[2].

ويضيف الفارابي في موضع آخر من رسالته قائلاً «الانسان لا يعرف حقيقة الشيء البته، لأن مبدأ معرفة الأشياء هو الحس. ثم يميز بالعقل المتشابهات والمتبائنات. ويعرف حينئذ بالعقل بعض لوازمه وذاتياته وخواصه، ويندرج من ذلك الى معرفة مجمله عن محققة»[3].

يقول ابن سينا في تعليقاته: «الوقوف على حقائق الأشياء ليس في قدرة البشر. ونحن لا نعرف من الأشياء إلا الخواص واللوازم والاعراض. ولا نعرف الفصول المقومة لكل واحد منها الدالة على حقيقته، بل نعرف انها اشياء لها خواص واعـراض، فاننـا لا نعـرف حقيقة الأول، ولا العقل ولا النفس، ولا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٧٧

(٢) صفحة ٤ من التعليقات من المجموع من مؤلفات الفارابي

(٣) التعليقات ص٣.

الفلك، والنار والهواء، والماء والارض، ولا نعرف أيضاً حقائق الاعراض،ومثال ذلك اننا لا نعرف حقيقة الجوهر، بل انما عرفنا شيئاً له هذه الخاصية وهو انه الموجود لا في موضوع، وهذا ليس حقيقته»[1].

يقول ديكارت: «. . . انما مرجع خطئي هذا الى ما منحني الله من قوة على تمييز الصواب من الخطأ، وهي عندي قوة متناهية محدودة. . . لا ريب انه ليس لدي من داعٍ للشكوى من أن الله يهبني ذكاء أوسع، أو نوراً فطرياً أكمل مما وهبني ما دام من طبيعة الذهن المخلوق ان يكون متناهياً»[2].

وعندما تحدث «كانت» عن الطائفة الثالثة من نظريته عن المعرفة الخاصة بالميتافيزيقا، «رأى كانت استحالة التوصل فيها الى معرفة عن طريق العقل النظري، وان أي محاولة لإقامة معرفة ميتافيزيقية على أساس فلسفي هي محاولة فاشلة ليست لهاقيمة، وذلك انه لا يصح في القضايا الميتافيزيقية شيء من الاحكام التركيبية الاولية والاحكام التركيبية الثانوية. . . ان موضوعات الميتافيزيقا لا يمكن أن توجد فيها معرفة عقلية صحيحة، لا على أساس الاحكام التركيبية الاولية ولا على أساس الاحكام التركيبية الثانوية»[3].

يبدو واضحاً جلياً من الأقوال السابقة وجود تفاوتٍ كبيرٍ بين الفلاسفة حول قدرة العقل الانساني في الوصول الى حقائق الامور ومصائرها. فمنهم من افصح عن قدرة العقل المطلقة، التي يستطيع العقل بها ان ينفذ الى عالم الغيب، بما يحتوي عليه من اسرار إلٰهية تدور حول الذات الإلهية، والروح، والمعاد، وطبيعة الكون والى غيرها من مكنونات الأمور. ومنهم من اعترف بقصور العقل في التعرف على الحقائق التي تتعلق بعلم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا) أو عالم الغيب.

---

(١) الفلسفة الاسلامية في المشرق، ص٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٢) التأملات، ديكارت، ترجمة د. عثمان امين، مكتبة القاهرة، ١٩٥٦

(٣) فلسفتنا، ص ١٤٨ـ١٤٩.

وخلاصة القول في هذا الموضوع إن الفلاسفة رجموا الغيب بلا هوادة، حيث تكلموا عن طبيعة الله، فنسبوا له صفاتٍ مختلفة، فمنهم من وصفه بأنه علة العلل، والعقل الفعال، ومنهم من وصفه بأنه زوج واسم زوجته هيرا، ومنهم من لصق به الابّوة، والى غيرها من التخرصات والتكهنات الجوفاء، التي تنم عن جهل هؤلاء القوم بقدرة العقل الانساني. هذا بالاضافة الى اقوالهم المتفاوتة والمتباينة عن المعاد، والروح، وطبيعة الكون.

أما بالنسبة للقسم الآخر من الفلاسفة الذين لم يرجموا الغيب فانهم انكروه بتاتاً، وهذا الذي ذهب اليه اقطاب الفلسفة البراجماتية، والشيوعية، والوجودية، والطبيعية.

وبهذا المفهوم، يكون الفلاسفة قد جاءوا بالشيء ونقيضه، وهذا ما يدل على بعدهم عن الحق والحقيقة، وهذا يعود الى اقحامهم العقل في امورٍ لا يقوى عليها.

وفي المقابل، نجد خالق الانسان سبحانه وتعالى يخاطب العقل الانساني بطريقة تختلف تماماً عما ذهب اليه الفلاسفة ومن نهج نهجهم. وسوف نتطرق بشيء من التفصيل الى هذه الطريقة بعد أن نلقي بعض الضوء على ما قاله بعض الكتاب المسلمين حول العقل البشري وخصائصه.

قال علي بن أبي طالب عليه السلام «لقد سبق الى جنات عدن اقوام ما كانوا بأكثر الناس صلاة، ولا صياماً، ولا حجاً، ولا اعتماراً، لكنهم عقلوا عن الله مواعظه، فوجلت منه قلوبهم واطمأنت اليه نفوسهم، وخشعت له جوارحهم، ففاقوا الناس بطيب المنزلة وعلو الدرجة عند الناس في الدنيا وعند الله في الآخرة»[1].

بيّن الغـزالي علاقة الشرع بالعقل قائلاً: «اعلم ان العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل. فالعقل كالأس، والشرع كالبناء، ولن

---

(١) مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، ص١١٧.

يغن أس ما لم يكن بناء، ولن يثبت بناء ما لم يكن اس. . . فالعقل كالبصر، ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر.

وأيضاً فالعقل كالسراج والشرع كالزيت الذي يمده، فما لم يكن زيت لم يحصل السراج، وما لم يكن سراج لم يضيء الزيت. . . فالشرع عقل من خارج، والعقل شرع من داخل، هما متعاضدان، بل متحدان. وفي موضع آخر يقول الداعي الى محض التقليد مع عزل العقل بالكلية جاهل، والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القرآن والسنة مغرور»[1].

قال أبو بكر الرازي: «إن الباري عز وجل انما اعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهر مثلنا نيله وبلوغه، وانه اعظم نعم الله عندنا، وانفع الأشياء لنا، واجداها علينا، فبالعقل فضلنا على الحيوان غير الناطق حتى ملكناها وسسناها وذللناها وصرفناها في الوجوه العائد منافعها علينا وعليها. وبالعقل ادركنا جميع ما يرفعنا، ويحس ويطيب به عيشنا، ونصل الى بغيتنا ومرادنا. . . فاذا كان هذا مقداره ومحله وخطره وجلالته، فحقه علينا ان لا نحطه عن رتبته ولا ننزله عن درجته. لا نجعله وهو الحاكم محكوماً عليه ولا هو الزمام مزموماً، ولا هو المتبوع تابعاً. بل نرجع في الامور إليه ونعتبرها به. ونعتمد فيها عليه فنمضيها على إمضائه، ونوقفها على إيقافه. . . اذا فعلنا ذلك صفا لنا العقل غاية صفائه، وأضاء لنا غاية إضاءته، وبلغ بنا غاية قصد بلوغنا به. وكنا سعداء بما وهب الله لنا ومنّ علينا به»[2].

قال عباس محمود العقاد: «القرآن الكريم لا يذكر العقل إلّا في مقام التنظيم والتنبيه الى وجوب العمل به، والرجوع اليه، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية. بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها

(١) معارج القدس، الغزالي ص٤٦.

(٢) دراسات في الفلسفة الاسلامية، عبد اللطيف محمد العبد، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٩، ص٢٤٨-٢٤٩.

مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة. وتتكرر في كل معرض من معارض الأمر والنهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله، أو يلام فيها المنكر على إهمال عقله وقبول الحجر عليه»[1].

«جـاء اهتمـام القـرآن وتـركيزه على الأمـر المميز للانسـان على سائـر المخلوقات، أي على العمليات العقلية العليا التي يقوم بها الانسان، فيعقل ويفكر ويتدبر ويتعلم العلم ويعلمه»[2].

«لهذا وردت في القرآن الالفاظ التي تدل على النشاط العقلي بصفة عامة مثل، التفكر والتدبر، والعلم، والنظر والتبصر مئات المرات»[3].

«جـاء الإسـلام ليقـوِّم هذه المناهج جميعاً، الحسي منها الذي رأى أن الاحسـاس هو المصـدر الـوحيد للمعرفة، والعقلي منها الذي انكر أن تكون الادراكـات الحسية أسـاسـاً للعلم. واعتبـر الإسـلامُ الحسّ والعقل وسيلتين متكاملتين لإدراك الحقائق وتحصيل المعارف المختلفة، ولا غنى للادراك عن تلازم الوسيلتين، فادراك الحقائق عملية لا تستطيع الحواس وحدها ان تقوم بها ولا يستطيع العقل بغير الحواس القيام بها»[4].

إن الله سبحانه وتعالى برحمته التي وسعت كلّ شيء لم يكلف الانسان إلاّ حسب قدرته وفي الأمور التي يقوى عليها اما بالنسبة للأمور التي تخرج عن طاقة الانسان، فهو غير مكلّف بها ولا يحاسب عليها.

---

(١) التفكير فريضـة اسـلامية، عبـاس محمود العقاد، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي - بيروت، ١٩٧١ صفحة ٧ـ٨.

(٢) الاصول التربوية في الاسلام، عبد الفتاح جلال، جمهورية مصر العربية ١٩٧٧، ص٤٥.

(٣) مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، ص١١٥.

(٤) المصدر السابق ص١٢٧.

قال تعالى

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ (٢)

وفي ضوء هذا النهج الإلهي المنير، فان القرآن الكريم قد أشار الى وظائف الانسان العقلية على اختلاف اعمالها وخصائصها، من تفكر، وتبصّر، وتعقّل، ضمن حدود القدرات العقلية للانسان. اما بالنسبة للآيات والمعجزات التي جاء بها الانبياء، فكانت بمثابة الاقناع التجريبي للعقل الانساني المخاطب بهذه الأمور، التي لا يقوى عليها العقل الانساني.

وهناك أيضاً، التحدي المباشر للعقل الانساني بأمور لا يقوى عليها العقل البشري؛ وذلك بهدف تبليغ الانسان بقصور قدراته العقلية امام هذا التحدي؛ ليسّلم امره لله سبحانه وتعالى.

لذلك فان النهج الإلٰهي في مخاطبة العقل الانساني يمكن تقسيمه الى عدة مراحل، رغم تداخلها واتحادها في المضمون والهدف، ولكن بهدف توصيل المراد بأسهل الطرائق المتاحة وأنجعها، فاننا نرى بأن هذا النهج الرباني يحتوي على ثماني مراحل وهي:

مرحلة التبليغ والتجريب، والمرحلة الحسية، ومرحلة التفكير والتفكر، ومرحلة الاستدلال والانتزاع، ومرحلة الآيات والمعجزات، ومرحلة تلبية الطلبات، ومرحلة المقارنة، ومرحلة التحدي. وسوف نتطرق بعون الله لكل مرحلة من هذه المراحل مستشهدين بالآيات القرآنية الكريمة التي تدل على كل واحدة.

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٢.

(٢) سورة المؤمنون آية ٦٢.

١ ـ مرحلة التبليغ والتجريب:

عاش هذه التجربة آدم وحواء عليهما السلام عندما رفض ابليس السجود لآدم عليه السـلام واستحق لذلك غضب الرحمٰن سبحانه وتعالى. فقد توعد الشيطان بإغواء آدم وذريته وبابعادهم عن الصراط المسقيم وأن يحول بينهم وبين طاعة الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾[1]

ولكن آدم عليه السـلام لم يذعن الى توجيهات الخالق سبحانه وتعالى، حيث استطاع الشيطان بأحابيله وطرقه البراقة أن يستدرج آدم عليه السلام وزوجه الى أن يأتيا ما نهيا عنه. ومن ثم تبين لهم بالتجربة والبرهان العقلي والحسي مدى مصداقية كلام الرحمٰن جلّت وتعالت قدرته، عندما طلب من آدم وزوجه ان لا يقربا الشجرة التي نهيا عنها.

قال تعالى

﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2]

---

(١) سورة الاعراف آية ١٦-١٧.

(٢) سورة الاعراف آية ١٩-٢٣.

وبما أن حكمة الله سبحانه وتعالى تتنافى مع تكرار هذه المرحلة مع بقية البشر، فان الله سبحانه وتعالى برحمته وعطفه على الانسان حذّره ونبهّه من عدوّه الأول من أن يكرر عملية الافتتان والاغواء له بهدف ابعاده عن النهج الإلهي وإخراجه عن طاعة الله.

قال تعالى

﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (١)

٢ ـ المرحلة الحسية:

إن الله سبحانه وتعالى خاطب الانسان من خلال الآيات الكريمة طالباً منه أن يستخدم جميع حواسه في التعرف على الآيات المختلفة في السموات والارضين، فأمره أن ينظر ويتبصّر في جميع الآيات التي تدل على الخالق وقدرته تعالت وجلّت قدرته.

وبما أن الآيات الكريمة التي تدعو الانسان لاستخدام حواسه كثيرة جداً، فاننا سوف نكتفي بعرض ومضةٍ من الآيات الكريمة التي توضح لنا المراد.

قال تعالى

﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾﴾ (٢)

---

(١) سورة الاعراف آية ٢٧.

(٢) سورة الاعراف آية ١٨٥.

قال تعالى

وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحي إليهم من أهل القرى أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون ﴿١٠٩﴾ (١)

قال تعالى

أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴿٢٧﴾ (٢)

قال تعالى

أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج ﴿٦﴾ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج ﴿٧﴾ تبصرة وذكرى لكل عبد منيب ﴿٨﴾ ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد ﴿٩﴾ والنخل باسقات لها طلع نضيد ﴿١٠﴾ رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج (٣)

قال تعالى

وفي الأرض آيات للموقنين ﴿٢٠﴾ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴿٢١﴾ (٤)

قال تعالى

فلينظر الإنسان إلى طعامه ﴿٢٤﴾ أنا صببنا الماء صبا ﴿٢٥﴾ ثم شققنا الأرض شقا ﴿٢٦﴾ فأنبتنا فيها حبا ﴿٢٧﴾ وعنبا وقضبا ﴿٢٨﴾ وزيتونا ونخلا ﴿٢٩﴾ وحدائق غلبا ﴿٣٠﴾ وفاكهة وأبا ﴿٣١﴾ متاعا لكم ولأنعامكم (٥)

قال تعالى

فلينظر الإنسان مم خلق ﴿٥﴾ خلق من ماء دافق ﴿٦﴾ يخرج من بين الصلب والترائب (٦)

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٩ .

(٢) سورة السجدة آية ٢٧ .

(٣) سورة ق آية ٦ـ١١ .

(٤) سورة الذاريات ٢٠ـ٢١ .

(٥) سورة عبس آية ٢٤ـ٣٢ .

(٦) سورة الطارق آية ٥ـ٧ .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ (١)

واضح من الآيات السابقة ان الدعوة موجهة للانسان لينظر ويتبصّر في جميع الأمور المحيطة به من حيث دلالتها على قدرة الخالق سبحانه وتعالى ؛ ليعقل ويتفكّر في هذه الآيات بهدف التسليم للخالق سبحانه وتعالى. وهذا يمثل المرحلة الثالثة، وهي مرحلة التفكير والتفكر. اما بالنسبة للذين ينظرون الى هذه الآيات ولا يعتبرون منها، فان الله سبحانه وتعالى خاطبهم كأنهم فاقدوا الوسائل الحسية، أو انهم يستخدمونها بصورة غير سليمة، مما أدى بهم الى الابتعاد عن جادة الطريق.

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (٣)

٣ ـ مرحلة التفكير والتفكر:

ان الله سبحانه وتعالى قد صرّف للناس في كتابه الكريم من كل مثل،

(١) سورة الغاشية آية ١٧-٢٢.

(٢) سورة الأعراف آية ١٧٩.

(٣) سورة هود آية ٢٠.

لعلهم يتفكرون في هذه الامثال ويعقلونها، ليسلموا انفسهم للباري عز وجل، رحمة منه بعباده ليجّنبهم دار البوار والهلاك. لذلك فإن القرآن الكريم قد خاطب العقل الانساني بشتّى السبل، واختلاف الامثلة لتشكل مادة التفكير في العقل الانساني. بهدف ايضاح الرؤية والاختيار امام الانسان. وسوف نستشهد بعدد محدودة من الآيات القرآنية الكريمة فقط لكثرة الآيات في هذا الموضوع.

قال تعالى

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ (٢)

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٤.

(٢) سورة النحل آية ١٠-١٧

قال تعالى

وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ [1]

قال تعالى

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ [2]

قال تعالى

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ [3]

---

(١) سورة النحل آية ٦٥-٦٩

(٢) سورة الروم آية ٢٠-٢٤

(٣) سورة غافر آية ٦٧

قال تعالى

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ (٢)

قال تعالى

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ (٣)

أما بالنسبة للذين يصدفون عن هذه الآيات ولا يتفكرون فيها، رغم وجودها باستمرار وفي مختلف امور الحياة، فانهم يسلبون العقل الانساني الخاصية الأولى التي وهبها الله للانسان، وهي استخدام العقل للوصول الى سدرة الصواب، فانهم بهذا العمل المشين، اما ان يقحموا العقل الانساني في امور لا يقوى عليها بهدف الالتفاف حول الطريق القويم، أو أن يحددوا الأطر الفكرية للعقل الانساني لكي لا تتعدى الأمور الطبيعية المادية الملموسة. وكلتا الطريقين توصلان الانسان الى مرتبة دنيا في سلم الرقي الحيواني، حيث يستحق بهذا العمل ان ينحدر الانسان من عليائه ليتبوأ المكانة السفلى بين ما يدب على الأرض.

---

(١) سورة يس آية ٦٨

(٢) سورة العنكبوت آية ٤١-٤٣

(٣) سورة الحج آية ٤٦

قال تعالى

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣ ﴾[1]

قال تعالى

﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٥٥ ﴾[2]

نعم انهم بمقياس السماء وضعوا انفسهم في هذه المرتبة الوضيعة بسبب جحودهم وانكارهم الآيات السامقة الغراء، التي تطرق اسماعهم، وابصارهم، وافكارهم، وأبوا إلا أن يعطّلوا حاسة السمع، وحاسة البصر، وملكة العقل التي وهبها الله سبحانه وتعالى للانسان الذي خلقه في احسن تقويم. ودليل ذلك انهم سيشهدون على انفسهم بهذه الأعمال المزرية في اليوم الذي لا ينفع فيه توبة ولا ندم.

قال تعالى

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١ ﴾[3]

٤ ـ مرحلة الإستدلال والانتزاع:

تعد هذه المرحلة همزة الوصل بين الأمور والأشياء الملموسة وغير الملموسة. لذلك فان الباري عز وجل حثّ الانسان في مواطن كثيرة على أن ينظر، ويتبصّر ويفكر في جميع الآيات التي يغص بها هذا الكون، ليرى انها تدل على وجوده سبحانه وتعالى، وتلقي بعض الظلال على جزءٍ من قدرته سبحانه وتعالى.

---

(١) سورة الانفال آية ٢٢-٢٣

(٢) سورة الانفال آية ٥٥

(٣) سورة الملك آية ١٠-١١

قال تعالى

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾(1)

قال تعالى

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾(2)

٥ ـ مرحلة الآيات والمعجزات :

إن من دلائل سعة رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنه لم يكل الانسان الى مراحل: التبصر، والتفكر، والاستدلال، بل انه ارسل الانبياء والمرسلين بآيات ومعجزات تفوق قدرة العقل البشري وتصوره، هذا بجانب المعجزات المتعددة التي حققها الله سبحانه وتعالى على أيدي انبيائه لتكون الدليل الباسق السامق لكل ذي لب وجنان، لأن يفوِّض ويسلم أمره لله. ولكثرة هذه الآيات والمعجزات، وخوفاً من الاسهاب والاطناب في هذا الصدد، فإننا سوف نكتفي بذكر بعض من هذه الآيات والمعجزات.

قال تعالى

﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾(3)

«فيالها من آلهة ينصرها عبادها، وهي لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً، ولا تحاول لها ولا لعبادها نصراً! «قالوا: حرِّقوه» ولكن كلمة أخرى قد قيلت..

---

(١) سورة ق آية ٣٦ـ٣٧.

(٢) سورة الزمر آية ٢١.

(٣) سورة الانبياء آية ٦٨ـ٦٩.

فأبطلت كل قول، وأحبطت كل كيد. ذلك انها الكلمة العليا التي لا ترد. «قلنا: يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم»... فكانت برداً وسلاماً على ابراهيم... كيف؟

ولماذا نسأل عن هذه وحدها. و«كوني» هذه هي الكلمة التي تكون بها أكوان، وتنشأ بها عوالم، وتُخلق بها نواميس: «انما أمره اذا اراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون».

فلا نسأل: كيف لم تحرق النار ابراهيم، والمشهود المعروف أن النار تحرق الاجسام الحية؟ فالذي قال للنار: كوني حارقة. هو الذي قال لها كوني برداً وسلاماً. وهي الكلمة الواحدة التي تنشىء مدلولها عند قولها كيفما كان هذا المدلول. مألوفاً للبشر وغير مألوف. إن الذين يقيسون اعمال الله سبحانه وتعالى باعمال البشر هم الذين يسألون: كيف كان هذا؟ وكيف أمكن أن يكون؟ فأما الذين يدركون اختلاف الطبيعتين، واختلاف الأداتين، فانهم لا يسألون اصلاً، ولا يحاولون أن يخلقوا تعليلاً: علمياً أو غير علمي. فالمسألة ليست في هذا الميدان اصلاً، ليست في التعليل والتحليل بموازين البشر ومقاييس البشر. وكل منهج في تصور مثل هذه المعجزات غير منهج الإحالة الى القدرة المطلقة هو منهج فاسد من أساسه، لأن أعمال الله غير خاضعة لمقاييس البشر وعلمهم القليل المحدود.

... وما كان تحويل النار برداً وسلاماً على ابراهيم إلّا مثلاً تقع نظائره في صور شتى. ولكنها قد لا تهز المشاعر كما يهزها هذا المثل السافر الجاهر. فكم من ضيقات وكربات تحيط بالاشخاص والجماعات من شأنها أن تكون القاصمة القاضية، وإن هي إلا لفتة صغيرة، فإذا هي تحيي ولا تميت، وتنعش ولا تخمد، وتعود بالخير وهي الشر المستطير. إن « يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم» لتتكرر في حياة الاشخاص والجماعات، وفي حياة الافكار والعقائد والدعوات وإن هي إلاّ رمز للكلمة التي تبطل كل قول، وتحبط كل كيد، لأنها

الكلمة العليا التي لا ترد»[1].

قال تعالى

﴿وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾﴾[2]

«لا عجب من أمر الله. فالعادة حين تجري بأمر لا يكون معنى أنها سنة لا تتبدل. وعندما يشاء الله ـ لحكمة يريدها ـ وهي هنا رحمته باهل هذا البيت وبركاته المدعوة للمؤمنين فيه ـ يقع ما يخالف العادة، مع وقوعه وفق السنة الإلهية التي لا نعلم حدودها، ولا نحكم عليها بما يجري به العادة في أمر هو على كل حال محدود، ونحن لا نستقريء جميع الحوادث في الوجود.

نعم، إن الله سبحانه يجري هذا الكون وفق النواميس التي قدرها له... ولكن هذا شيء، والقول بتقيد إرادته بهذه النواميس بعد وجودها شيء آخر! إن الناموس يجري وينفذ بقدر من الله في كل مرة ينفذ فيها. فهو لا يجري ولا ينفذ آلياً. فاذا قدر الله في مرة أن يجري الناموس بصورة أخرى غير التي جرى بها في مرات سابقة، كان ما قدره الله ولم يقف هذا الناموس في وجه هذا القدر الجديد... ذلك أن الناموس الذي تندرج تحته كل النواميس هو طلاقة المشيئة بلا قيد على الإطلاق، وتحقق الناموس في كل مرة يتحقق فيها بقدر خاص طليق»[3].

---

(١) ظلال القرآن الجزء الرابع، ص٢٣٨٧-٢٣٨٨

(٢) سورة هود، آية ٧١-٧٣.

(٣) في ظلال القرآن، الجزء السابع، ص١٩١٢

قال تعالى

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٠٥ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝١٠٦ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ۝١٠٧ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٠٨﴾[1]

«إنها المفاجأة! إن العصا تنقلب ثعباناً لا شك في ثعبانيته . . . «مبين . . وكما قيل في سورة اخرى: ﴿فإذا هي حية تسعى﴾ . . . ثم إن يده السمراء ـ وقد كان موسى عليه السلام «أدم» أي مائلاً الى السمرة ـ يخرجها من جيبه فاذا هي بيضاء من غير سوء، بيضاء ليست عن مرض، ولكنها المعجزة، فاذا اعادها الى جيبه عادت سمراء»[2].

قال تعالى

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝١٣٣ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝١٣٤ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝١٣٥﴾[3]

«انه الجموح الذي لا تروضه تذكرة، ولا يرده برهان، ولا يريد أن ينظرولا أن يتدبر، لأنه يعلن الإصرار على التكذيب قبل أن يواجه البرهان ـ قطعاً للطريق على البرهان! ـ وهي حالة نفسية تصيب المتجبرين حيث يدفعهم الحق، وتجبيهم البيئة، ويطاردهم الدليل . . . ولقد جمع السياق هنا تلك الآيات

---

(١) سورة الاعراف، آية ١٠٤ـ١٠٨

(٢) في ظلال القرآن، الجزء الثالث، ص ١٣٤٧

(٣) سورة الاعراف آية ١٣٢ـ١٣٥

المفصلة، التي جاءتهم مفرقة. واحدة واحدة. وهم في كل مرة يطلبون الى موسى تحت ضغط البلية ان يدعوا لهم ربه لينقذهم منها، ويعدونه أن يرسلوا معه بني اسرائيل اذا انجاهم منها. . . وفي كل مرة ينقضون عهدهم، ويعودون الى ما كانوا فيه قبل رفع العذاب عنهم، وفق قدر الله في تأجيلهم الى أجلهم المقدور لهم»[1].

قال تعالى

﴿وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[2]

«الرعاية واضحة في هذا كله، ولكن هذه الجبلة ما تزال بعدُ عصيةً على الهدى والاستقامة كما يبدو من ختام هذه الآية التي تذكر كل هذه النعم وكل الخوارق: من تفجير العيون لهم من الصخر بضربة من عصا موسى، ومن تضليل الغمام لهم في الصحراء الجافة. ومن تيسير الطعام الفاخر المن والسلوى»[3].

قال تعالى

﴿۞ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾[4]

«انه ميثاق لا ينسى. . . فقد أخذ في ظرف لا ينسى! أخذ وقد نتق الله

---

(١) في ظلال القرآن، الجزء الثالث، صفحة ١٣٥٨

(٢) سورة الاعراف آية ١٦٠

(٣) في ظلال القرآن الجزء الثالث، صفحة ١٣٨١

(٤) سورة الاعراف آية ١٧١

الجبل فوقهم كأنه ظلة، وظنوا انه واقع بهم! ولقد كانوا متقاعسين يومها عن اعطاء الميثاق، فأعطوه»[1].

قال تعالى

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾[2]

«إن موسى الذي تلقى الوحي من ربه، لا يشك لحظة وملىء قلبه الثقة بربه، واليقين بعونه، والتأكد من النجاة، وان كان لا يدري كيف. فهي لا بد كائنة والله هو الذي يوجهه ويرعاه. . . ووقعت المعجزة، وتحقق الذي يقول عنه الناس مستحيل. لأنهم يقيسون سنة الله على المألوف المكرور. والله الذي خلق السنن قادر على أن يجريها وفق مشيئته عندما يريد. وقعت المعجزة وانكشف بين فرقتي الماء طريق. ووقف الماء على جانبي الطريق كالطود العظيم. واقتحم بنو اسرائيل. ووقف فرعون مع جنوده مبغوتاً مشدوهاً بذلك المشهد الخارق وذلك الحادث العجيب»[3].

قال تعالى

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[4]

---

(١) في ظلال القرآن، الجزء الثالث، صفحة ١٣٨٩
(٢) سورة الشعراء آية ٦٣-٦٧
(٣) في ظلال القرآن، الجزء الخامس، ص ٢٥٩٩
(٤) سورة مريم آية ١٦-٢١

«فهـذا الامر الخارق الذي لا تتصور مريم وقوعه، هين على الله؛ فامام القـدرة التي تقـول للشيء كن فيكون، كل شيء هين، سواءً جرت به السنة المعهـودة أم جرت بغيره. . . . وأنه أراد ان يجعل هذا الحادث العجيب آية للنـاس، وعـلامة على وجوده وقدرته وحرية ارادته. ورحمة لبني اسرائيل أولاً وللبشرية جميعاً، بابراز هذا الحادث الذي يقودهم الى معرفة الله وعبادته وابتغاء رضاه»[1].

قال تعالى

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ﴿٢٦﴾﴾[2]

«يا الله! طفل ولد اللحظة يناديها من تحتها. يطمئن قلبها ويصلها بربها، ويرشدها الى طعامها وشرابها ويدلها على حجتها وبرهانها»[3].

قال تعالى

﴿فَأَشَارَتۡ إِلَيۡهِۖ قَالُواْ كَيۡفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلۡمَهۡدِ صَبِيّٗا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ﴿٣١﴾﴾[4]

«فمـاذا نقـول في العجب والغيظ الذي ساورهم وهم يرون عذراء تواجههم بطفـل، ثم تتبجـح فتسخر ممن يستنكرون فعلتها فتصمت وتشير الى الطفل ليسألوه عن سرها! . . . ولكن ها هي ذي الخارقة العجيبة تقع مرة اخرى. . .

---

(١) في ظلال القرآن. الجزء الرابع، ص ٢٣٠٦

(٢) سورة مريم آية ٢٤-٢٦

(٣) في ظلال القرآن ، الجزء الرابع ص٢٣٠٧

(٤) سورة مريم آية ٢٩-٣١

حيث يعلن عيسى ـ عليه السلام ـ وهو في المهد ـ عبوديته لله»[1].

قال تعالى

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾[2]

قال تعالى

﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾[3]

«هذه المعجزات في عمومها تتعلق بانشاء الحياة اوردّها، أو ردّ العافية وهي فرع عن الحياة، ورؤية غيب بعيد عن مدى الرؤية... وهي في صميمها تتسق مع مولد عيسى، ومنحه الوجود والحياة على غير مثال الآ مثال آدم ـ عليه السلام ـ واذا كان الله قادراً ان يجري هذه المعجزات على يد واحد من خلقه، فهو قادر على خلق ذلك الواحد من غير مثال. ولا حاجة اذن لكل الشبهات والاساطير التي نشأت عن هذا المولد الخاص متى رُدَّ الامر الى مشيئة الله الطليقة ولم يقيد

---

(١) في ظلال القرآن، الجزء الرابع، ص ٢٣٠٨

(٢) سورة آل عمران آية ٤٩.

(٣) سورة المائدة آية ١١٠

الانسان الله ـ سبحانه ـ بمألوف الانسان»[1].

ان هذا النموذج من الآيات والمعجزات التي جاء بها الانبياء والمرسلون من عند ربهم تشكل الدليل الساطع على قدرة الله التي لا تحدها حدود ولا تبالي بمألوف، ولا يقف امامها مستحيل، جاءت هذه الآيات الباسقة لتصرخ في وجه الانسان بأعلى صوت وتقول له اين انت وقدرة عقلك ان تستوعب هذه الخوارق والمعجزات، نعم، جاءت لتقول له انت انسان عاجز عن كل هذه المعجزات والخوارق، فلا يوجد لك بُدّ من التسليم للخالق سبحانه وتعالى، هذا اذا اردت ان تسلك طريق النجاة، ولكن الانسان تعامل مع هذه المعجزات بطرق مختلفة. منهم من قال عنها بأنها سحر مبين حيث ادبر واستكبر عن هذه الآيات، ومنهم من طالب الله وانبياءه آيات اخر بهدف الاطمئنان والتسليم. وهنا تأتي مرحلة تلبية الطلبات.

٦ ـ مرحلة تلبية الطلبات:

يالها من رحمة الهية واسعة! العبد يطلب البرهان، والخالق سبحانه وتعالى يستجيب، مدللاً على وجوده، وقدرته اللامحدودة، ليضيء السبيل امام الانسان ليفوض أمره لخالقه عن قناعة وطمأنينة. وسوف نورد بعضاً من الآيات التي توضح استجابة الرحمن سبحانه وتعالى لعباده.

قال تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾[2]

(١) في ظلال القرآن، المجلد الثاني، ص ٩٩٧-٩٩٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٦٠

«إنه التشوف إلى ملابسة سر الصنعة الإلهية. وحين يجيء هذا التشوف من ابراهيم الأواه الحليم، المؤمن الراضي الخاشع العابد القريب الخليل... حين يجيء هذا التشوف من ابراهيم فانه يكشف عما يختلج احياناً من الشوق والتطلع لرؤية الصنعة الإلهية في قلوب اقرب المقربين!... لقد كان ينشد اطمئنان الانس الى رؤية يد الله تعمل، واطمئنان التذوق للسر المحجب وهو يجلّي ويتكشف. ولقد كان الله يعلم ايمان عبده وخليله. ولكنه سؤال الكشف والبيان، والتعريف بهذا الشوق وإعلانه، والتلطف من السيد الكريم الودود الرحيم، مع عبده الأوّاه الحليم! ولقد استجاب الله لهذا الشوق والتطلع في قلب ابراهيم، ومنحه التجربة الذاتية المباشرة... لقد أمره أن يختار أربعة من الطير، فيقربهن منه ويميلهن إليه، حتى يتأكد من شياتهن ومميزاتهن التي لا يخطيء معها معرفتهن. وأن يذبحهن ويمزق أجسادهن، ويفرق اجزاءهن على الجبال المحيطة، ثم يدعوهن. فتتجمع اجزاؤهن مرة اخرى، وترتد إليهن الحياة، ويعدن إليه ساعيات... وقد كان طبعاً... ورأى ابراهيم هذا السر يقع بين يديه... طيور فارقتها الحياة، وتفرقت مزقها في اماكن متباعدة. تدب فيها الحياة مرة اخرى، وتعود إليه سعياً!... هذا هو السر الذي يعلو على التكوين البشري إدراكه. انه الشأن الخاص للخالق. الذي لا تتطاول إليه اعناق المخلوقين، فاذا تطاولت لم تجد إلا الستر المسدل على السر المحجوب، وضاعت الجهود سدى، جهود مَنْ لا يترك الغيب المحجوب لعلّام الغيوب»[1].

قال تعالى

﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ

(١) في ظلال القرآن، الجزء الاول، ص٣٠١-٣٠٢

﴿نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [1]

قال تعالى

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾﴾ [2]

وقال تعالى

﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [3]

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٩

(٢) سورة مريم آية ٢-٩

(٣) سورة المائدة آية ١١٢-١١٥

«انهم الحـواريون الـذين الهمهم الله الايمان به وبرسوله عيسى فآمنوا، واشهدوا عيسى على إسلامهم. . . ومع هذا فهم بعدما رأوا من معجزات عيسى ما رأوا، يطلبون خارقة جديدة. تطمئن بها نفوسهم ويعلمون منها أنه صدقهم. ويشهـدون له لمن وراءهم. . فهم يريدون أن يأكلوا من هذا الطعام الفريد، الـذي لا نظير له عند أهل الارض. وتطمئن قلوبهم برؤية هذه الخارقة وهي تتحقق أمام اعينهم، ويستيقنوا أن عيسى عليه السلام قد صدقهم، ثم يكونوا شهوداً لدى بقية قومهم على وقوع هذه المعجزة. . . واستجاب الله دعاء عبده الصـالح عيسى بن مريم، ولكن بالجد اللائق بجلاله سبحانه. . . لقد طلبوا خارقـة واستجاب الله. على أن يعذب من يكفر منهم بعد هذه الخارقة عذاباً شديداً بالغاً في شدّ ته لا يعذبه احداً من العالمين. . . حتى لا يصبح طلب الخوارق تسليةً ولهواً. وحتى لا يمض الذين يكفرون بعد البرهان المفحم دون جزاء رادع»[1].

٧ ـ مرحلة المقارنة:

إن الله سبحانه وتعالى قد خاطب الانسان في هذه المرحلة بما يتناسب مع عقله وقـدراتـه. فطلب من الانسـان وهـو أحـد مخلوقاته، ان يقارن بين الله سبحانه وتعالى وهو الخالق لكل شيء، وبعض مخلوقاته التي اتخذها الانسان وجرى نحوها من دون الله، سواء اكان هذا المُتّبع شيطاناً مارداً، أم جماداً أصمّ، ام انسـانـاً جاحداً للحق والحقيقة. وهذه دلالة كبرى على رحمة الله سبحانه وتعـالى بعبـاده بأنه سمح للإنسان أن يقارن بين الخالق تعالت وجلّت قدرته ومخلوقـاتـه! هيهات ـ هيهات ـ ان يفقه الإنسان هذه الرحمة، وهذا اللطف الكريم من خالق الانس والجن وجامعها الى يوم الدين. وسوف نورد عدداً من الآيات القـرآنية الكـريمـة التي تدعـو الانسان الى هذه المقارنة لعله يتعظ، ويعقل، ويسلم امره للباري سبحانه وتعالى.

---

(١) في ظلال القرآن، الجزء الثاني، ص ٩٩٨ـ١٠٠٠

قال تعالى

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾(١)

قال تعالى

﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ ﴾(٢)

قال تعالى

﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ ﴾(٣)

قال تعالى

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(٤)

---

(١) سورة الحج آية ٧٣

(٢) سورة لقمان آية ١٠-١١

(٣) سورة الفرقان آية ٢-٣

(٤) سورة العنكبوت آية ٤١-٤٢

قال تعالى

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِي بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (٤) وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ (٥)﴾ (١)

قال تعالى

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا (٤٠)﴾ (٢)

قال تعالى

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾ (٣)

قال تعالى

﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ (١٦)﴾ (٤)

قال تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ (١٩٤) أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ

---

(١) سورة الاحقاف آية ٤-٥

(٢) سورة فاطر آية ٤٠

(٣) سورة الروم آية ٤٠

(٤) سورة الرعد آية ١٦

بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِـِّۧيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ (١)

قال تعالى

أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ (٢)

قال تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا (٣)

٨ ـ مرحلة التحدي:

إن الله سبحانه وتعالى بلطفه ورحمته لعباده، قد بيَّن وفصَّل وضرب لهم من جميع الامثال والدلائل الموصلة للايمان بالحجج والبراهين القاطعة، والمعجزات المتعددة، ليعقلوا تلك الامثال والاحداث، ويعترفوا بعجزهم امام قدرة الخالق تعالت وجلّت قدرته، ليسلموا للباري عز وجل ويفوزوا بنعيم الدارين. ولكن اكثر الناس اختاروا طريق الضلالة على طريق الهدى، ودار البوار والهلاك على دار الخلود والسلام، واتباع الشيطان واوليائه دون اتباع الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٤)

---

(١) سورة الاعراف آية ١٩٤-١٩٧

(٢) سورة النحل آية ١٧-٢٠

(٣) سورة الكهف آية ٥٠

(٤) سورة الاسراء آية ٨٩

فذهبوا لانكار وجحود آيات الله سبحانه وتعالى رغم وجودها الساطع، ونصبوا العداء لكل من يؤمن بها. إن اصحاب هذه القلوب العصية والعقول المستغلقة خاطبهم الباري سبحانه وتعالى في هذه المرحلة بطريقة مختلفة تماماً عن المراحل السابقة. ففي هذه المرحلة تبرز سمة التحدي لكل من انكر واستكبر، ورفض الحقيقة والتسليم لها. وعندما يأتي هذا التحدي من الله سبحانه وتعالى لبعض ما خلق بخصوص التصديق بأمر يستطيع ان يفرضه عليهم، فهذا هو الاجلال بعينه والاكرام جميعه للانسان، أن يختار كما يشاء ويتحمل تبعة اعماله.

قال تعالى

﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ۝٤﴾ (1)

لذلك فإن هذه المرحلة تضع الذين يصدفون عن آيات الله سبحانه وتعالى امام اختيارين لا ثالث لهما، هذا اذا ما اراد الانسان ان يرفض البديهيات وابسط قواعد العقل والمنطق ـ فإما الفوز في هذا التحدي ـ وإمّا التسليم للباري عز وجل. وسوف نورد بعضاً من الآيات الدالة على طبيعة ونوع هذا التحدي، ونرى سوياً كيف تعامل الانسان المنافح والمكابر مع هذا التحدي في نهاية هذه المرحلة.

قال تعالى

﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ .....

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ

(1) سورة الشعراء آية ٣-٤

﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾[1]

«إن هذا الأمر أمر النشأة الاولى ونهايتها. أمر الخلق وأمر الموت. إنه امر منظور ومألوف وواقع في حياة الناس. فكيف لا يصدقون أن الله خلقهم؟ إن ضغط هذه الحقيقة على الفطرة أضخم وأثقل من أن يقف له الكيان البشري او يجادل فيه... إن دور البشر في امر هذا الخلق لا يزيد على أن يودع الرجل ما يمني رحم امرأة. ثم ينقطع عمله وعملها. وتأخذ يد القدرة في العمل وحدها في هذا المـاء المهين. تعمـل وحدها في خلقه وتنميته، وبناء هيكله، ونفخ الروح فيه. ومنذ اللحظة الأولى وفي كل لحظة تالية تتم المعجزة، وتقع الخارقة التي لا يصنعها الاّ الله. والتي لا يدري البشر كنهها وطبيعتها، كما لا يعرفون كيف تقع... وهذا القدر من التأمل يدركه كل انسان. وهذا يكفي لتقدير هذه المعجزة والتأثر بها، ولكن قصة هذه الخلية الواحدة منذ أن تمنى الى أن تصير خلقـاً، قصـة أغرب من الخيال. قصة لا يصدقها العقل لولا أنها تقع فعلاً، ويشهد وقوعها كل انسان... هذه هي البداية. اما النهاية فلا تقل عنها اعجازاً ولا غرابةً. وان كانت مثلها من مشاهدات البشر لمألوفة... هذا الموت الذي ينتهي اليه كل حي... انه قدر الله الذي لا يفلت منه أحد، ولا يسبقه فيفوته أحد... ويستقر به الامر في ذلك العالم المغيب المجهول، الذي لا يدري عنه البشر الاّ ما يخبرهم به الله... فلو كان الأمر كما تقولون: إنه لا حساب ولا جزاء. فأنتم اذن طلقاء غير مدينين ولا محاسبين. فدونكم اذن فلترجعوها - وقد بلغت الحلقوم - لتردوها عما هي ذاهبة اليه من حساب وجزاء. وأنتم حولها تنظرون وهي ماضية الى الدينونة الكبرى وأنتم ساكنون عاجزون! هنا تسقط كل تعلة. وتنقطع كل حجة. ويبطل كل محال. وينتهي كل جدال. ويثقل ضغط هذه الحقيقة على الكيان البشري، فلا يصمد له، إلا وهو يكابر بلا حجة ولا دليل»[2].

---

(١) سورة الواقعة آية ٥٧-٦٢، ٨٣-٨٧

(٢) في ظلال القرآن، الجزء السادس، ص ٣٤٦٧-٣٤٧٢

قال تعالى

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (٢)

«وهذا التحدي ظل قائماً في حياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعدها، وما يزال قائماً الى يومنا هذا وهو حجة لا سبيل الى المماحكة فيها، وما يزال القرآن يتميز عن كل كلام يقوله البشر تميزاً واضحاً قاطعاً. . . فإن كانوا يرتابون في تنزيله، فدونهم فليأتوا بسورة من مثله، وليدعوا من يشهد لهم بهذا ـ من دون الله. . . والتحدي هنا عجيب، والجزم بعدم امكانه أعجب، ولو كان في الطاقة تكذيبه ما توانوا عنه لحظة. وما من شك في أن تقرير القرآن الكريم أنهم لن يفعلوا، وتحقق هذا كما قرره هو بذاته معجزة لا سبيل الى المماراة فيها. ولقد كان المجال امامهم مفتوحاً، فلو انهم جاءوا بما ينقض هذا التقرير القاطع لانهارت حجية القرآن ولكن هذا لم يقع ولن يقع. كذلك فالخطاب للناس جميعاً، ولو أنه كان في مواجهة جيل من أجيال الناس، وهذه وحدها كلمة الفصل التاريخية. . . وكل من له خبرة بتصورات البشر للوجود وللأشياء، وكل من له خبرة بالنظم والمناهج والنظريات النفسية أو الاجتماعية التي ينشئها البشر. لا يخالجه شك في أن ما جاء به القرآن في هذه المجالات كلها شيء آخر ليس من مادة ما يضعه البشر. والمراءُ في هذا لا ينشأ إلا عن جهالة لا تميز،

---

(١) سورة هود آية ١٣-١٤

(٢) سورة البقرة آية ٢٣-٢٤

أو غرض يلبس الحق بالباطل»[1].

قال تعالى

﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾﴾[2]

قال تعالى

﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[3]

يا لها من ضلالة عاتية ولجاجة ماكرة، أن يخرج الانسان من مرحلة التحدي السافرة عاجزاً أن يأتي أو يعمل أي شيء من مادة التحدي ويترك أرض المعركة مهزوماً صاغراً، ويدعي بعد انكاره لكل الحجج والبراهين القاطعة التي تنطق وتفوح بالحق والحقيقة، وهزيمته النكراء في مرحلة التحدي، إنه يود ان يبحث عن الحقيقة عن طريق العقل الذي تبين بوضوح إشراقة الشمس في المراحل السابقة مدى قصوره وهزيمته امام المعجزات المتتالية والانسحاب من أرض المعركة ذليلاً صاغراً من مرحلة التحدي.

ذهب الانسان بعد هذه المراحل المتتالية والمتداخلة التي خاطب من خلالها الباري عز وجل الانسان بجميع الامثال والمفاهيم، ومن مختلف المداخل لينيب الى خالقه سبحانه وتعالى، ولكن الذين لا يناسبهم الحق والحقيقة لإصطدامها بالقوى الشهوية التي انقاد لها هؤلاء النفر من الناس، ذهبوا الى المناورة والجدال للأفتئات على الحق واهله ليضلوا انفسهم ومن وشجت عروقه على طريقتهم. فقسم منهم رجم الغيب بلا هوادة، دون ادنى دليل او برهان على مدى صدقهم، وسموا انفسهم بالحكماء بالرغم من هزيمتهم

(١) في ظلال القرآن: الجزء الاول ص ٤٨-٤٩

(٢) سورة يونس آية ٣٧-٣٨.

(٣) سورة الاسراء آية ٨٨.

النكـراء امـام الحقـائق الساطعة التي يعجّ بها الفكر الإسلامي على مختلف مراحله. رغم ان كل ما جاءوا به عن الأمور الغيبيةيمثل مجموعة من التخرصات والتخيلات عن مكنونات الغيب. واما القسم الآخر من الذين ولوّا الادبار للحق والحقيقة، فذهبوا الى انكار الغيب وجحوده بالكامل، والايمان والتسليم فقط لكـل ما هو محسـوس، أي للعـالـم المـادي. وهـذا بعينـه الـذي ذهب اليه الـطبيعيون، والـوجـوديون، والنفعيون (الرأسماليون)، والشيوعيون. والشيء العجيب أن هؤلاء الذين اقحموا العقل الانساني في امور لا يقوى عليها في التحذلق والتخيل، والتكهن في الغيب ومكنوناته، وهؤلاء الذين حددوا العقل الانساني بالعالم المادي الحسي فقط - جميعهم - يدّعون بأنهم اكرموا الانسان وعقله بهذه الأعمال المتضادة التي تفوح بنسائم الزيف والضلال لما فيها من مكابرة، وعناد، وافتئات على الحق والحقيقة.

الفصل السادس

مَصَادِر المَعرفة

- مقدمة
- المصادر الفلسفية للمعرفة
  - نظرية الاستذكار الأفلاطونية
  - النظريات العقلية
  - النظرية الحسية
  - نظرية الانتزاع
- المصادر الاسلامية للمعرفة
  - نظرية العهد والتذكر
  - النظرية الحسية
  - النظرية العقلية
  - نظرية الانتزاع والاستدلال
  - الوحي والتبليغ

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾

سورة الأعراف (١٧٢)

۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

سورة الأنعام (٥٩)

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

سورة الكهف (١٠٩)

وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

سورة لقمان (٢٧)

مصادر المعرفة

«تدور حول المعرفة الإنسانية مناقشات فلسفية حادة، تحتل مركزاً رئيسياً في الفلسفة وخاصة الفلسفة الحديثة، فهي نقطة الانطلاق الفلسفي لاقامة فلسفة متماسكة عن الكون والعالم، . . . وإحدى تلك المناقشات الواسعة هي المناقشة التي تتناول مصادر المعرفة ومنابعها الأساسية بالبحث والدرس»[1].

«لقد تعددت أقوال الفلاسفة حول منابع المعرفة ومصادرها، فمن قائل بأنه لا مصدر للمعرفة أبداً، حيث لا يمكن الوثوق بشيء يحصل منه العلم الصحيح، وهؤلاء هم السفسطائيون. ومن قائل بأن مصدر المعرفة الاتصال المباشر فقط، كما ذهب اليه المتصوفة. ومن قائل بأنه العقل دون سواه، وهم المثاليون، وقائل بأنه العقل. إلى غير ذلك من المذاهب»[2].

يقسم الغزالي المعرفة إلى ثلاثة أقسام: المعرفة الحسية، والمعرفة العقلية، ثم المعرفة الصوفية. التي يرى أن وسيلتها التصفية والزهد والورع والتقوى[3].

وقبل أن نوجز القول عن مصادر المعرفة ونظرياتها، نرى أن لا بد من الإشارة إلى الخطأ الجسيم الذي وقع فيه الفلاسفة والمتكلمون حول موضوع

---

(١) فلسفتنا، محمد باقر الصدر. دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٠، ص٥٧.

(٢) معالم الفلسفة الإسلامية، محمد جواد مغنية، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت ـ لبنان.

(٣) الفلسفة الإسلامية في المشرق، الدكتور فيصل بدير عون، مكتبة الحرية الحديثة، القاهرة ١٩٨٢، صفحة ٤٤٠.

المعـرفة . وهو تطبيق النظريات المعرفية التي جاء بها الفكر البشري في هذا العالم المحسوس، في الوصول إلى أمور تتعلق بعالم الغيب الذي لا يعلم سره وحقائقه إلاّ الله سبحانه وتعالى . فقد أطلعنا الباري عز وجل عن طريق رسله على بعض تلك الحقائق الغيبية؛ ويبدو ذلك بوضوح في قوله سبحانه وتعالى .

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾ لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾ (١)

ففي الوقت الذي نجحت فيه النظريات المعرفية البشرية في دفع عجلة التقدم العلمي والحضاري للانسان على مستوى العالم المادي، فانها قد فشلت فشلاً وخيماً على مستوى العالم الغيبي؛ لذلك فإن مصدر المعرفة بشكل عام يقسم إلى شطرين. الشطر الأول يمثل النور والهدى الإلهي الذي جاء به الأنبياء والمرسلون من قبل الباري عزوجل. ليشمل المعارف والحقائق التي يحتاجها الانسان لتضيء له السبيل في الوصول إلى الصراط المستقيم.

قال تعالى

﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (٣)

---

(١) سورة الجن آية ٢٦ ـ ٢٨ .

(٢) سورة البقرة آية ٣٨.

(٣) سورة الاعراف آية ٣٥.

ويمتاز هذا المصدر بالصدق والثبات والكمال على مستوى عالم الغيب وعالم الحس .

أما بالنسبة إلى الشطر الثاني ، فيشمل جميع النظريات البشرية التي حاول اقطابها الوصول إلى بواطن الأمور ومكنوناتها المتعلقة بعالم الحس وعالم الغيب .

ومن هذه النظريات :

١ ـ نظرية الاستذكار الأفلاطونية :

وهي النظرية القائلة بأن الإدراك عملية استذكار للمعلومات السابقة ، وقد ابتدع هذه النظرية أفلاطون ، وأقامها على فلسفته الخاصة عن المثل ، وقِدم النفس الانسانية ، فكان يعتقد أن النفس الانسانية موجودة بصورة مستقلةعن البدن قبل وجوده ، ولما كان وجودها هنا متحرراً من المادة وقيودها تحرراً كاملاً ، اتيح لها الاتصال بالمثل ـ أي بالحقائق المجردة عن المادة ـ وأمكنها العلم بها ، وحين اضطرت إلى الهبوط من عالمها المجرد للاتصال بالبدن والارتباط به في دنيا المادة ، فقدت بسبب ذلك كل ما كانت تعلمه من تلك المثل والحقائق الثابتة ، وذهلت عنها ذهولاً تاماً ، ولكنها تبدأ باسترجاع ادراكاتها عن طريق الاحساس بالمعاني الخاصة والأشياء الجزئية ، لأن هذه المعاني والأشياء كلها ظلال وانعكاسات لتلك المثل والحقائق الأزلية الخالدة في العالم الذي كانت تعيش النفس فيه . فمتى أحسّت بمعنى خاص انتقلت فوراً إلى الحقيقة المثالية التي كانت تدركها قبل اتصالها بالبدن ، وعلى هذا الأساس يكون ادركنا للانسان العام ، أي لمفهوم الانسان بصورة كلية ، استذكار لحقيقة مجردة كنا قد غفلنا عنها ، وإنما استذكرناها بسبب الاحساس بهذا الانسان الخاص أو ذاك من الأفراد التي تعكس في عالم المادة تلك الحقيقة المجردة . فالتصورات العامة سابقة على الاحساس ، ولا يقوم الاحساس إلا بعملية استرجاع واستذكار لها ، والادركات العقلية لا تتعلق بالأمور الجزئية التي تدخل في نطاق الحس ، وإنما تتعلق بالحقائق الكلية المجردة . وهذه النظرية ترتكز على قضيتين فلسفيتين : أحداهما أن النفس موجودة قبل وجود البدن في عالم أسمى من المادة ،

والاخرى أن الادراك العقلي هو ادراك الحقائق المجردة الثابتة في ذلك العالم الأسمى والتي يصطلح عليها أفلاطون بكلمة (المثُل)[1].

٢ ـ النظريات العقلية:

وهي لعدد من كبار فلاسفة أوروبا أمثال ديكارت وكانت وغيرهما.

وتتلخص هذه النظرية في الاعتقاد بوجود منبعين للتصورات: أحدهما: الاحساس، فنحن نتصور الحرارة والنور والطعم والصوت لأجل إحساسنا بذلك كله، والآخر: الفطرة، بمعنى أن الذهن البشري يملك معاني وتصورات لم تنبثق عن الحس، وإنما هي ثابتة في صميم الفطرة، فالنفس تستنبط من ذاتها، وهذه التصورات الفكرية عند (ديكارت) هي فكرة (الله والنفس والامتداد والحركة)، وما إليها من أفكار تتميز بالوضوح الكامل في العقل البشري. وأما عند (كانت) فالجانب الصوري للادراكات والعلوم الانسانية كلها فطري، بما يشتمل عليه من صورتي الزمان والمكان... فالحس، على أساس هذه النظرية، مصدر فهم للتصورات والأفكار البسيطة، ولكنه ليس هو السبب الوحيد، بل هنالك الفطرة التي تبعث في الذهن طائفة من التصورات[2].

٣ـ النظرية الحسّيّة

وهي النظرية القائلة: أن الإحساس هو الممون الوحيد للذهن البشري بالتصورات والمعاني، والقوة الذهنية هي القوة المعاكسة للاحسسات المختلفة في الذهن. فنحن حين نحس بالشيء نستطيع أن نتصوره ـ أي أن نأخذ عنه في ذهننا ـ وأما المعاني التي لا يمتد إليها الحس، فلا يمكن للنفس ابتداعها وابتكارها ذاتيا وبصورة مستقلة... ولعل المبشر الأول بهذه النظرية الحسية هو (جون لوك) الفيلسوف الانجليزي الكبير، الذي بزغ في عصر فلسفي زاخر

---

(١) فلسفتنا، محمد باقر الصدر. دار التعارف للمطبوعات، بيروت، الطبعة العاشرة، ١٩٨٠، ص٥٩ ـ ٦٠.

(٢) المصدر السابق صفحة ٦١.

بمفاهيم (ديكارت) عن الأفكار الفطرية، فبدأ في تفنيد تلك المفاهيم، ووضع لأجل ذلك دراسة مفصلة للمعرفة الانسانية في كتابه (مقالة في التفكير الانساني)، وحاول في هذا الكتاب إرجاع جميع التصورات والأفكار إلى الحس، وقد شاعت هذه النظرية بعد ذلك بين فلاسفة أوروبا وقضت إلى حد ما على نظرية الافكار الفطرية، وانساق معها جملة من الفلاسفة إلى أبعد حدودها، حتى انتهت إلى فلسفات خطرة جداً كفلسفة (باركلي) و (دفيد هيوم)[1].

٤ـ نظرية الانتزاع:

«وهي نظرية الفلاسفة الاسلاميين بصورة عامة. وتتلخص هذه النظرية في تقسيم التصورات الذهنية إلى قسمين: تصورات أولية، وتصورات ثانوية. فالتصورات الأولية هي الاحساس التصوري للذهن البشري، وتتولد هذه التصورات من الاحساس بمحتوياتها بصورة مباشرة. فنحن نتصور الحرارة لأننا أدركناها باللمس ونتصور اللون لأننا أدركناه بالبصر، ونتصور الحلاوة لأننا أدركناها بالذوق، ونتصور الرائحة لأننا أدركناها بالشم. وهكذا جميع المعاني التي ندركها بحواسنا فإن الاحساس بكل واحد منا هو السبب في تصوره ووجود فكرة عنه في الذهن البشري وتتشكل من هذه المعاني القاعدة الأولية للتصور وينشىء الذهن بناء على هذه القاعدة، التصورات الثانوية، فيبدأ بذلك دور الابتكار والانشاء، وهو الذي تصطلح عليه هذه النظرية بلفظ (الانتزاع) فيولد الذهن مفاهيم جديدة من تلك المعاني الاولية، وهذه المعاني الجديدة خارجة عن طاقة الحس وإن كانت مستنبطة ومستخرجة من المعاني التي يقدمها الحس إلى الذهن والفكر. وهذه النظرية تتسق مع البرهان والتجربة ويمكنها أن تفسر جميع المفردات التصورية تفسيراً متماسكاً. ففي ضوء هذه النظرية، نستطيع أن نفهم كيف انبثقت مفاهيم العلة والمعلول، والجوهر والعرض، والوجود والوحدة، في الذهن البشري. انها كلها مفاهيم انتزاعية يبتكرها الذهن في

---

(١) المصدر السابق صفحة ٦٤ـ٦٥.

المعاني المحسوسة، فنحن نحس مثلا بغليان الماء حين تبلغ درجة حرارته مائة، وقد يتكرر إحساسنا بهاتين الظاهرتين: ـ ظاهرتي الغليان والحرارة ـ آلاف المرات ولا نحس بعلية الحرارة للغليان مطلقاً وإنما الذهن هو الذي ينتزع مفهوم العلية من الظاهرتين اللتين يقدمهما الحس إلى مجال التصور»[1].

بعد أن فرغنا من التحدث عن الشطر الثاني لمصدر المعرفة المتمثل في النظريات البشرية الاربعة، الاستذكار، النظريات العقلية، الحسية، ونظرية الانتزاع، لا بد من الاشارة إلى أن هذه النظريات جميعها لا تتمكن من أن تؤدي بأي حال من الاحوال الوصول إلى منابع المعرفة، ولا في التعرف على ما يود الانسان أن يعرفه من أمور تتعلق بكيانه، ووجوده ومستقبله، وإلى جميع ما يمت له بصلة، سواء أكان ما يدور حول العالم المحسوس، أم حول اليوم الآخر، حيث تاريخ البشرية يشهد بذلك.

ولكن جميع هذه النظريات، قد تساعد الانسان وتقنعه بأن يصل إلى المورد الرئيسي للمعرفة، وهو التصديق والتسليم للحق المملوء بالحقائق الوفيرة الجمة الناصعة البياض، التي جاء بها الانبياءُ والمرسلون بإذن ربهم، منذرين ومبشرين، حيث أراد الله، جلت وتعالت قدرته، أن يساعد هذا الانسان المخلوق الضعيف في عدم ابتعاده عن فطرته والعمل بموجب الميثاق والعهد الذي أُخذ منه وهو في عالم الذر. أما بالنسبة إلى هذه النظريات البشرية، فان المتدبر آيات القرآن الكريم يجد جميع هذه النظريات مع وجود بعض الفروق من حيث الهدف والمضمون.

أما من حيث الهدف لنظرية الاستذكار المتواجدة في القرآن الكريم، فهو الوصول عن طريق التذكر إلى مصدر المعرفة المتمثل في تذكر الله سبحانه وتعالى، والتسليم له، والتصديق بما أرسله للانسان عن طريق الانبياء والمرسلين. وكذلك الأمر بالنسبة إلى النظريات العقلية والحسية الموجودة في

(١) المصدر السابق صفحة ٦٨-٦٩.

القرآن الكريم. أضف إلى ذلك بأن النظريات العقلية والحسية، تدفع الانسان إلى أن يستدل على الله سبحانه وتعالى عن طريق استخدام التبصر والتفكر في ملكوت الخالق عز وجل، وهذه العملية بحد ذاتها تعدّ بمثابة الانتزاع أو الاستدلال على الخالق سبحانه وتعالى عن طريق استخدام الحس والعقل.

أما بالنسبة إلى نظرية الاستذكار الموجودة في القرآن الكريم، فتبدو بوضوح في الآية التالية:

قال تعالى

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ۝١٧٢﴾ (1)

«تعرض هذه الآية قضية التوحيد من زاوية جديدة عميقة. تعرضها من زاوية الفطرة التي فطر الله عليها البشر، وأخذ بها عليهم الميثاق في ذات أنفسهم، وذات تكوينهم، وهم بعد في عالم الذر. إن الاعتراف بربوبية الله وحده فطرة في الكيان البشري. فطرة أودعها الخالق في هذه الكينونة وشهدت بها على نفسها بحكم وجودها ذاته، وحكم ما تستشعره في أعماقها من هذه الحقيقة. أما الرسالات فتذكير وتحذير لمن ينحرفون عن فطرتهم الأولى، فيحتاجون إلى التذكير والتحذير. إن التوحيد ميثاق معقود بين فطرة البشر وخالق البشر منذ كينونتهم الأولى، فلا حجة لهم في نقض الميثاق - حتى لو لم يبعث إليهم بالرسل يذكرونهم ويحذرونهم - ولكن رحمته وحدها اقتضت ألا يكلهم إلى فطرتهم هذه فقد تنحرف، وألا يكلهم كذلك إلى عقولهم التي أعطاها لهم فقد تضل، وأن يبعث إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. . . . إنها قضية الفطرة والعقيدة يعرضها السياق القرآني في صورة مشهد فريد. . مشهد الذرية المكنونة في عالم الغيب السحيق، المستكنة في

(1) سورة الاعراف آية ١٧٢.

ظهور بني آدم قبل أن تظهر إلى العالم المشهود، تؤخذ في قبضة الخالق المربي، فيسألها: «ألست بربكم؟». . فتعترف له ـ سبحانه ـ بالربوبية، وتقر له سبحانه بالعبودية، وتشهد له سبحانه بالوحدانية. وهي منثورة كالذر، مجموعة في قبضة الخالق العظيم»[1].

«ثم أن الله سبحانه ردهم بعد أن أخذ الميثاق إلى مواطنهم من الاصلاب حتى اجتمعوا في صلب آدم، وهي على حياتها ومعرفتها بالربوبية، وإن نسوا ما وراء ذلك مما شاهدوه عند الاشهاد وأخذ الميثاق، وهم بأعيانهم موجودون في الاصلاب حتى يؤذن لهم الخروج إلى الدنيا فيخرجون وعندهم ما حصلوه في الخلق الأول من معرفة الربوبية، وهي حكمهم بوجوب ربّ لهم من مشاهدة انفسهم محتاجة إلى من يملكهم ويدبر أمرهم»[2].

وفي الدر المنثور أخرج عبد بن حميد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وأبو الشيخ في العظمة وابن مردوية عن أبي أمامة: أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الخلق وقضى القضية، وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه، وأخذ أهل الشمال بيده الأخرى وكلتا يدي الرحمن يمين فقال: يا أصحاب اليمين فاستجابوا له فقالوا: لبيك ربنا، وسعديك. قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى قال: يا أصحاب الشمال فاستجابوا له فقالوا: لبيك ربنا وسعديك قال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم: ربّ لم خلطت بيننا؟ قال: ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ثم ردهم في صلب آدم فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها.

---

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٠، المجلد الثالث، ص١٣٩١-١٣٩٢.

(٢) الميزان في تفسير القرآن، العلامه الطباطبائي، المجلد الثامن، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١، صفحة ٣١٥.

فقال قائل: يا رسول الله فما الأعمال؟ قال: يعمل كل لمنازلهم. فقال عمر ابن الخطاب: إذا نجتهد»[1].

أما بالنسبة إلى تذكر هذه المعلومات. فإن الانسان عندما يتعرض إلى بعض الشدائد والأهوال، فإنه يتذكر حاجته الماسة إلى خالقه، هذه الحاجة والربوبية التي فطر عليها ويبدو ذلك بجلاء ووضوح في قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[2]

وقال تعالى

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[3]

وقال تعالى

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾[4]

---

(١) نفس المصدر السابق صفحة ٣٢٧.

(٢) سورة يونس آية ١٢.

(٣) سورة الروم آية ٣٣.

(٤) سورة الزمر آية ٨.

يتضح من الآيات السابقة أن الانسان إذا تعرض إلى هول أو مصيبة فإنه يتذكر خالقه سبحانه وتعالى، وعندما يزول عنه عامل الخوف ويعود إلى وضعه الطبيعي، فإن فريقا من الناس يعود إلى ما كان عليه قبل التذكر والتوجه إلى الله، كما أن هناك قسما من الناس تنفعه عملية التذكر، حيث إنّهم لا يعودون إلى ما كانوا عليه (إذ فريق بربهم يشركون).

وإيماءة إلى النظريات العقلية، فإن الباري عز وجل خاطب الانسان وحثه على أن يتفكر وأن يستخدم عقله في الوصول إلى حقيقة الله كما جاء بها الأنبياء والمرسلون، ومن ثم التسليم والإنابة إلى تعليمات الخالق سبحانه وتعالى والمضي قدما على صراطه المستقيم بهدف الفوز العظيم في دخول جنات النعيم في اليوم الآخر.

قال تعالى

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ (١)

وقال تعالى

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (٣)

وقال تعالى

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ (٤)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٠.

(٢) سورة يس آية ٦٨.

(٣) سورة الزمر آية ٢٧.

(٤) سورة الزمر آية ٤٢.

قال تعالى

﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾ (٢)

وقال تعالى

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (٣)

كذلك فإن الله سبحانه وتعالى حث الانسان في مواطن كثيرة في القرآن الكريم على أن يستخدم حواسه في التبصر في ملكوته سبحانه وتعالى من الوسائل التي قد تقود الانسان إلى التسليم والاعتقاد بخالق هذا الكون، والتصديق للحق الذي أرسله للانسان عن طريق المبشرين والمنذرين من الرسل.

قال تعالى

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ

---

(١) سورة الجاثية آية ٣ـ٥.

(٢) سورة الجاثية آية ١٢ـ١٣.

(٣) سورة المؤمن (غافر) آية ٦٧.

﴿لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ۝٨ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ۝٩ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ الْخُرُوجُ ۝١١﴾ (١)

وقال تعالى

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۝١٥ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ۝١٦ وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ۝١٨ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ۝١٩ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ۝٢٠﴾ (٢)

وقال تعالى

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۝٢٠﴾ (٣)

أما بالنسبة إلى نظرية الانتزاع والاستدلال، فهي تعتبر محصلة التفكر والتبصر الذي حث عليه الله سبحانه وتعالى؛ ليصل به إلى الاستدلال على جبروته وعظمة خلقه والتسليم له وللحق الذي أرسله عن طريق الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٧﴾ (٤)

وعندما يصل الانسان إلى مرحلة التسليم للباري عز وجل فإنه ينعم بالاتصال بمصدر المعرفة، والحكمة والنور المبين التي تتجسد جميعها في القرآن العربي الحكيم. وهذا ما تم تبليغه الى البشرية بالوحي.

---

(١) سورة ق آية ٦-١١.

(٢) سورة نوح آية ١٥-٢٠.

(٣) سورة الغاشية آية ١٧-٢٠

(٤) سورة ق آية ٣٦-٣٧.

الفصل السابع

تحديد الخير والشر

- مقدمة.
- المفهوم الانساني الفلسفي للخير والشر.
- المفهوم الاسلامي للخير والشر.
  - بذرة الشر.
  - طريق الشر ونهجه.
  - منبع الخير.
  - طريق الخير ونهجه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ

سورة طه (١١٦-١١٧)

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾

سورة الإسراء (٦١-٦٤)

يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

سورة الأعراف (٢٧)

لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

سورة البقرة (٢٥٦)

تحديد الخير والشر

يعد هذا الموضوع من أبرز الموضوعات التي شغلت الانسان بحثاً وتفكيراً، لما له من أثر مباشر على تشكيل الأنماط السلوكية للانسان بما يتصل في إرضاء ذاته ونسج خيوط التعامل الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي مع الآخرين سواء أكانوا أفرادا أم جماعات.

وقد غصت بطون الكتب بالمعلومات المتعددة المتباينة بشكل يتناسب مع الاختلاف الطبيعي الذي وشجت عليه النفس الانسانية في نظرتها للحق والحقيقة. وسوف نتناول بعض الآراء المختلفة التي تمثل وجهة نظر الانسان في عدة حقب تاريخية قبل أن نتطرق إلى الخير والشر في المفهوم الاسلامي.

يعتقد السوفسطائيون أن الخير كله يكمن في إشباع الشهوات الانسانية دون الالتفات إلى أي قانون يحول دون تلبية وإشباع الشهوات الانسانية.

«يرى السوفسطائيون أن القانون سنة الضعفاء والسواد الأعظم من الناس الذين ذهبوا إلى تخويف الأقوياء وصدهم عن التفوق عليهم، وذهبوا إلى أن الظلم بالذات في إرادة التسامي على الآخرين. ولكن الطبيعة تقدم الدليل على أن العدالة الصحيحة تقضي بأن يتفوق الأحسن الأقدر. إن هذا الواقع في كل موطن: في الحيوان والانسان، في الاسر والمدن، وإن علامة العدالة سيادة القوي على الضعيف، وإذعان الضعيف لهذه السيادة. . . . . ومن ناحية أخرى الكل يطلب السعادة، فكيف يستطيع أن يعيش سعيداً من يخضع لأي شيء كان، قانوناً أم إنساناً؟ إلّا أن العدالة، والفضيلة، والسعادة بحسب الطبيعة أن

يتعهد في نفسه أقوى الشهوات، ثم يستخدم ذكاءه، وشجاعته لإرضائها مهما تبلغ من قوة. . . . .ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوي. لذا نرى العامة تعنِّف الـذين تعجـز عن مجـاراتهم لتُخفي بهـذا التعنيف ضعفها وخجلها من هذا الضعف. . . . .وتشيد بالعفة لقصورها عن إرضاء شهواتها الإرضاء التام وتطلب العدالة لجُبنها وقعودها عن عظائم الأمور. ولو صح أن السعادة في الخلو من الحاجات والرغائب، لوجب أن ندعو الاحجار والاموات سعداء»[1].

أما سقراط فيرى أن الانسان يُحب الخير الذي يتجسد في القوانين العادلة المطابقة للعقل والنظام الإلهي.

«يرى سقراط أن الانسان روح وعقل يسيطر على الحس ويدبره، والقوانين العادلة صادرة عن العقل، ومطابقة للطبيعة الحقة، وهي صورة من قوانين غير مكتوبة رسمها الآلهة في قلوب البشر. فمن يحترم القوانين العادلة يحترم العقل والنظام الإلهي. . . . .والانسان يريد الخير دائماً، ويهرب من الشر بالضرورة، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أراده حتماً. أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره. . . . وعلى ذلك فالفضيلة علم والرذيلة جهل»[2].

يرى زعيم الفلسفة المثالية (أفلاطون) أن الشر بذاته هو عالـم الحس، كما أن الخير كله يتجسد في عالـم المثل والافكار. أما بالنسبة إلى الخير في عالـم الحس فيرى أفلاطون أنه يتحقق في اتباع النظام وعدم الإسراف والتعامل مع الأشياء حسب حقـائقهـا دون الانتقـاص منهـا. ويبرز رأيه هذا في رده على السوفسطائيين: «لا تقل أن السعادة تقوم في الشهوة القوية وفي اللذة بالاطلاق، وإنما قل الانسان أسعد حالاً في النظام منه في الإسراف. ولو اتبعنا حساب أصحاب اللذة بشرط أن تضبط الحساب، لوجدنا أن الحياة الفاضلة هي ألذ حياة. . . . .تمتاز بخفة الانفعال وضعف اللذة والألم، واللذة فيها أغلب وأدوم.

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٩٣-٩٤.

(٢) المصدر السابق ص ٥٣.

في حين إن الألم أغلب وأدوم في حياة الرذيلة. فالقائلون باللذة لا يُقدرون مرمى قولهم، ولا يدرون ما يريدون..... إن اللذات والآلام الحسنة هي التي تُطلب، واللذات والآلام الرديئة هي التي تُجتنب؛ وإن النافع ما يجلب الخير، والضار ما يجلب الشر، والمنفعة التي توسم بالخير هي التي تكمّل الشيء وفق حقيقة هذا الشيء، والضرر الذي يُوسم بالشر هو الذي ينتقص الشيء أو يقضي عليه..... فليس الأخيار أخياراً باللذة، بل بالخير، وليس الأشرار أشراراً بالألم بل بالشر»[1].

إن الفيلسوف بروتاغوراس (Protagoras) يعتقد أن لكل إنسان الحق في أن يحدد لنفسه ما هو خير، وما هو شر. وفي ضوء هذا الاعتقاد، قد يكون الخير بالنسبة لإنسان ما، شراً إلى إنسان آخر.

وقد رأى لفيف من الفلاسفة أنه لا يوجد بذور للخير أو للشر، حيث إن الانسان يستطيع أن يحصل على ما يريد بأي وسيلة ممكنة لديه، وأنه لا وجود للقوانين الاخلاقية. ومن جملة من نادى بهذا الاعتقاد: كاليكلس (Callicles)، واشيديمس (Esthydemus)، وثراسيماجاس (Thrasymachas).

وهنـاك بعض من الفلاسفة ذهب إلى الاعتقاد بأن ما هو خير في بعض الـظروف، قد يكـون شرا في ظروف أخرى، أي إنه لا يوجد فصل تام بين ما هو خير، وما هو شر، ولكن الظروف، أو طبيعة الظرف هي التي تحدد ذلك ـ وليس نوعية العمل أو السلوك ـ. ومن أبرز من نادى بهذا التوجه الفيلسوف الأمريكي جون ديوي.

وهنـاك من اعتقد بوجود الوسائل الثابتة، والمعتمدة والصالحة لكل زمان ومكان في قياس كل من الخير والشر بدقة كاملة؛ ويشيرون بذلك إلى التوصيات العشرة الموجودة في كتاب التوراة المقدس.

---

(١) المصدر السابق ص ٩٤ـ٩٥.

وفي خضمّ تلك الملابسات، والتأملات، والتكهنات، والتخرصات، والمعلومات المتغايرة والمتباينة التي جاء بها الفكر الانساني حول هذا الموضوع بالغ الأهمية، لما يترتب عليه من انعكاسات نفسية، واجتماعية، وفكرية ومصيرية في حياة الانسان، فإننا لا بد أن نعطف بنظرنا إلى النور السماوي المبين لنرى حقيقة بذور الخير والشر، وجميع ما يؤدي إلى منابعهما من أجل نبذ الشر وجذوره، والالتفاف حول الخير وأجناده.

إن الحق تبارك وتعالى أخبرنا في كتابه الحكيم أن بداية نشوء الشر بالنسبة للانسان ظهرت إلى حيز الوجود عندما رفض الشيطان أن يسجد لسيدنا آدم عليه السلام، وخالف أوامر الجبار سبحانه وتعالى متذرعاً بأسباب واهية تنمّ عن جهله بحقائق الأمور بشكل عام، وعدم فهمه لحقيقة الله سبحانه وتعالى بشكل خاص. ودليل ذلك يبدو واضحاً في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (٢)

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عبده آدم عليه السلام بالعداوة العاتية التي يُكنها الشيطان لآدم وذريته من بعده لكي لا يكون هدفاً هو وذريته للشيطان وجنده. ويبدو ذلك في قوله عز من قائل:

---

(١) سورة الاعراف آية ١١-١٢.

(٢) سورة البقرة آية ٣٤.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ (1)

وقد استطاع الشيطان بطرقه وأساليبه المتنوعة أن يغوي سيدنا آدم وزوجه ويكون سبباً في إخراجهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض. ولم يكتف عدو البشرية بذلك بل أخذ يتوعد ويتهدد أن يغوي ذرية آدم ويسوقهم إلى طرق الضلال والهلاك، بعد أن طلب من الله سبحانه وتعالى أن يجعله من المنظرين.

وتبدو أنواع وصور التهديد التي أطلقها الشيطان لآدم وذريته في الآيات التالية:

قال تعالى

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ (2)

قال تعالى ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾ (3)

قال تعالى

﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ

---

(1) سورة طه آية ١١٦-١١٧. (2) سورة الاعراف آية ١٦-١٧ (3) سورة الاسراء آية ٦١-٦٤

﴿مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾[1]

يبـدو بوضـوح من الآيات السابقة التهديد والوعيد الذي أطلقه الشيطان لذريـة آدم مدلـلاً بذلـك على عداوتـه الأبـدية للانسان في مختلف العصور والأزمان، وأنه سيتّبعُ كل ما في وسعه، وما عنده من أساليب ليجنّبهم طريق الحق والخيـر المتمثل في اتباع الصراط المستقيم، ويزين لهم الحياة الدنيا بجميع محاسنها وزخرفها ليكونوا من الضالين عن الحق والخير.

إن الرحمن الرحيم، برحمته الواسعة بعباده لم يكلهم لأنفسهم أن يتعرفوا على بذرة الشر، ومصدر العداوة للانسانية، ودروب الشر المتجسدة في الشيطان ونهجـه وطـرقه، بل إنه خاطب الانسان في أكثر من موقع في كتابه المكنون موضحـاً عداوة الشيطان السـرمدية للانسان، وكشف طرقه وأحابيله في إغواء الإنسان ويتضح ذلك في الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى

﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾[2]

قال تعالى

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[3]

---

(١) سورة الحجر آية ٣٢-٤٠

(٢) سورة الاعراف آية ٢٧

(٣) سورة فاطر آية ٦

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ (٣)

قال تعالى

﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾﴾ (٤)

قال تعالى

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ (٥)

ومما يؤسف له، والذي تشيب له النواصي، ويندى له جبين البشرية أسفاً وخجلاً، أن يجهل هذه العداوة المتأصلة بين الشيطان والانسان أغلب الناس،

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٨

(٢) سورة البقرة آية ٢٠٨

(٣) سورة الاسراء آية ٥٣

(٤) سورة الانعام آية ١٤٢

(٥) سورة يس آية ٦٠

وبالذات الذين وصفوا أنفسهم، ونعتهم الناس بأنهم حكماء البشر وأكيسهم، وفي الواقع إنهم ساعدوا بشكل قوي ومباشر الشيطان وجنده ومكّنوهم من أن يسيطروا على عقول البشر، ليصبحوا تبعاً للشيطان، وجندا في حزبه ليؤول مصيرهم إلى الدمار والهلاك.

قال تعالى

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا

وهناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها في هذا المقام، وهي أن الشيطان وقبيله ليس لهم سلطان وقوة تأثير إلّا على الذين استجابوا لهمزاتهم في تزيين الحياة الدنيا في أعينهم، وأقدامهم على اقتراف الذنوب والخطايا، واجتياز الحدود الاخلاقية والضوابط الاجتماعية التي خطها الحق سبحانه وتعالى من أجل إشباع رغباتهم وأهوائهم الدنيوية. ومن هذه الشهوات استطاع الشيطان أن يحتنكهم ويضمهم إلى حزبه، ويصبحوا فئة ضالة مضلة من جنده. أما الذين استجابوا للنور السماوي المبين، وأخلصوا نياتهم وأعمالهم للحق سبحانه وتعالى، فليس للشيطان عليهم أي سبيل ودليلنا لذلك يتجسد في قوله عز من قائل في الآيات التالية:

قال تعالى

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ [٢]

---

(١) سورة الكهف آية ٥٠

(٢) سورة الحجر آية ٣٩-٤٣

قال تعالى

﴿قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ (١)

وحسبنا أن نعلم قبل فوات الأوان، في يوم لا ينفع فيه توبة ولا ندم أن المداهنة، والمراوغة، ونقض العهود والمواثيق، والتخلي عن لحظة الشدّة، جميعها من خصائص وصفات عدو البشرية الآسن إبليس عليه لعنة الله ولعنة اللاعنين. إن القرآن الحكيم يقص علينا تخلي الشيطان عن المشركين في يوم بدر، كما أنه سوف يتخلى عن جميع أتباعه وأجناده من الإنس والجن في اليوم الآخر. وأنه سوف يعترف لهم بالحقيقة، وهي أن الله سبحانه وتعالى وعدهم وعد الحق، بينما وعده لهم كان باطلاً أما بالنسبة إلى تخليه عن مشركي معركة بدر فيبدو ظاهراً في قوله تعالى:

قال تعالى

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ (٢)

أما تخليه عن أتباعه وجنده في اليوم الآخر فيظهر في قوله عز من قائل في الآية الكريمة التالية:

---

(١) سورة الاسراء آية ٦٢-٦٥

(٢) سورة الانفال آية ٤٨.

قال تعالى

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [1]

وأي شر هذا الذي يفوق اتباع سيد الأشرار وما تؤدي إليه هذه التبعية، حيث سيكون المصير في نار جهنم والخلود فيها!

بعد أن عرفنا أن بذرة الشر وجميع سبله وأنواعه تكمن في الابتعاد عن الصراط المستقيم، والاعراض عن النور السماوي المبين، واتباع عدو الانسانية الأشر الذي قطع عهدا على نفسه أن يبذل قصارى جهده مستخدماً في ذلك كافة أحابيله الشيطانية ليحول بين الانسان والصراط المستقيم. لأن الصراط المستقيم يمثل الخير جميعه بالنسبة للانسان. لذلك فإن الشيطان حريص على بذل ما في وسعه بهدف إبعاد الانسان عن الخير ومنابعه.

إن الحق تبارك وتعالى عندما أمر بهبوط آدم وحواء إلى الأرض، لم يكل الانسان في التعرف على حقائق الأمور، وبذور الخير والشر، لأنه خلق الانسان ويعلم علم اليقين قدرات هذا المخلوق الضعيف أنها لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تصل به إلى سدرة الصواب دون المدد الإلهي. لذلك فإن الرحمن الرحيم وعد سيدنا آدم وذريته أنه سيبعث لهم الهدى السماوي المبين الذي يقودهم إلى طريق الحق والسؤدد الذي يفوح بنسائم الخير، والبركة، والأمن، والطمأنينة. ودليل ذلك يبدو جلياً مشرقاً في قوله تعالى:

---

(١) سورة ابراهيم آية ٢٢.

قال تعالى

﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (١)

قال تعالى

﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ (٢)

أما بالنسبة إلى كيفية وطرق وصول هذا النور السماوي المبين إلى الانسان، فإن الباري سبحانه وتعالى بعث المرسلين تترا لتبليغ الناس رسالات ربهم وإقامة الحجة عليهم، لكي لا يكون لهم على الله حجة في يوم البعث والحساب.

قال تعالى

﴿يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (٣)

وبعد أن انتهى المدد الرسالي بخاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله ﷺ، فإن الحق سبحانه وتعالى قد أتم نعمته على البشرية جمعاء عن طريق تكملة الدين الاسلامي ليغدو ديناً شاملاً للخير، والرشد، والهدى، وصالحاً للناس في كل زمان ومكان, ويبدو ذلك جلياً مشرقاً في الآيات التالية:

قال تعالى

﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾ (٤)

---

(١) سورة البقرة آية ٣٨

(٢) سورة طه آية ١٢٣

(٣) سورة الاعراف آية ٣٥

(٤) سورة البقرة آية ١-٢

قال تعالى ﴿الر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ (١)

وحسبنا أن نعلم أن مصير أولئك الذين أنابوا واستقاموا على الصراط المستقيم في اتباعهم ما أُوحي اليهم من عند ربهم عن طريق رسله، سيكون لهم الفوز العظيم في دار السلام والخلود.

وهناك حقيقة سامقة لا بد من الإشارة إليها في هذا المقام، وهي أن الحق سبحانه وتعالى لو أراد لجمع كافة الناس على الهدى ودروبه قصراً، ولكن الحق تبارك وتعالى وضّح الخير وسبله، وأعطى الانسان حرية الاختيار في دار الابتلاء والفناء ليؤول مصيره في دار الخلود في ضوء ما قدمت يداه في دار الاختيار والفناء.

قال تعالى

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٣٥﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٩٩﴾ (٣)

---

(١) سورة ابراهيم آية ١

(٢) سورة الانعام آية ٣٥

(٣) سورة يونس آية ٩٩.

أما بالنسبة إلى توضيح الخير وسبله، والشر وطرقه، فيبدو واضحاً منيراً في قوله عز من قائل:

قال تعالى

لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ [1]

قال تعالى

قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ﴿١٠٤﴾ [2]

والذي يؤجج اللوعة، ويثير الأسى، ويهيج الأحزان أن يرى الانسان أبناء جنسه قد آثروا الحياة الدنيا على الآخرة عن طريق انغماسهم في ملذات الحياة الدنيا وإشباع رغباتهم الشهوانية دون أية كوابح أو ضوابط تحد من اندفاعهم الجارف وراء ملذاتهم ليغدوا تبعاً وجنداً إلى عدو الانسانية، مبتعدين كل البعد عن الرحمن الرحيم الذي خلق وسوى، وبعث بنوره المبين للانسان، وفتح باب توبته ورحمته للناس أجمعين حتى للذين أسرفوا على أنفسهم في عمل المعاصي والآثام. ولا حول ولا قوة إلا بالله إنا لله وإنا إليه راجعون.

قال تعالى

۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ [3]

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٢) سورة الانعام آية ١٠٤.

(٣) سورة الزمر، آية ٥٣.

«إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية، كائنة ما كانت وإنها الدعوة للاوبة، دعوة العصاة المسرفين الشاردين المبعدين في تيه الضلال، دعوتهم إلى الأمل والرجاء والثقة بعفو الله، إن الله رحيم بعبادة، وهو يعلم ضعفهم وعجزهم، ويعلم العوامل المسلطة عليهم من داخل كيانهم ومن خارجه، ويعلم أن الشيطان يقعد لهم كل مرصد، ويأخذ عليهم كل طريق، يجلب عليهم بخيله ورجله، وأنه جاد كل الجد في عمله الخبيث ويعلم أن بناء هذا المخلوق الانساني بناء واهٍ، وأنه مسكين سرعان ما يسقط إذا افلت من يده الحبل الذي يربطه والعروة التي تشده، وإن ما ركب في كيانه من وظائف ومن ميول ومن شهوات سرعان ما ينحرف عن التوازن فيشط به هنا أو هناك، ويوقعه في المعصية وهو ضعيف عن الاحتفاظ بالتوازن السليم . .

يعلم الله ـ سبحانه ـ عن هذا المخلوق كل هذا فيمد له في العون، ويوسع له في الرحمة، ولا يأخذه بمعصيته حتى يهيء له جميع الوسائل ليصلح خطأه ويقيم خطاه على الصراط، وبعد أن يلج في المعصية، ويسرف في الذنب، ويحسب أنه قد طرد وانتهى أمره، ولم يعد يُقبل ولا يُستقبل، في هذه اللحظة لحظة اليأس والقنوط، يسمع نداء الرحمة الندي اللطيف:

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم﴾.

وليس بينه ـ وقد أسرف في المعصية، ولجّ في الذنب، وابق عن الحمى، وشرد عن الطريق ـ ليس بينه وبين الرحمة الندية الرخية، وظلالها السمحة المحيية، ليس بينه وبين هذا كله إلا التوبة، التوبة وحدها، الاوبة إلى الباب المفتوح الذي ليس عليه بواب يمنع، والذي لا يحتاج من يلج فيه إلى استئذان»[1].

(١) في ظلال القرآن، الجزء الخامس، ص ٣٠٥٨.

الفصل الثامن

مكانة الإنسان في الكون

- مقدمة .
- المفهوم الانساني الفلسفي للانسان ومكانته .
- المفهوم الاسلامي للانسان ومكانته .
- المكانة السامقة وكيفية الحفاظ عليها .
- المكانة السفلى وسبب الارتكاس فيها .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

سورة البقرة (٣٠)

لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

سورة التين (٤-٦)

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

سورة الأحزاب (٥٦)

مكانة الإنسان في الكون

اهتم الانسان منذ فجر التاريخ بهذا الموضوع اهتماماً بالغاً لما له من آثار واسعة على الانسان في مختلف جوانب حياته وأوجهها. لذلك ليس غريباً أن نجد جميع الفلاسفة على اختلاف نهجهم الفسلفي قد أدلوا برأيهم حول مكانة الانسان في الكون.

يرى الفيلسوف ثالس (Thales) أن الانسان بمثابة كل شيء في هذا الكون وأنه خُلق من الماء، وأن عملية التطور حصلت للانسان بطريقة طبيعية، وأنه سيعود إلى طبيعته الأصلية التي خلق منها بعد مرور الأيام. كما ترى مجموعة من فلاسفة اليونان القدماء أن الانسان يُعدّ المركز الاساسي للكون حيث إنه قادر على تحديد مصيره وسد حاجاته ورغباته.

بينما يعتقد زعيم الفلسفة المثالية (أفلاطون) أن الانسان في هذا الكون مثل الحيوان ولكنه يتميز بصفات تجعله يختلف بقدر بسيط عن الحيوان. هذا في الوقت الذي يعتقد فيه تلميذه «أرسطو» أن الانسان يشبه أي كائن حيّ. فعلى سبيل المثال إنه يشبه الحيوان من حيث القدرة على التخيل، والتذكر، والتعايش مع السرور والألم. ولكن يختلف الانسان بقدرته على التفكير.

وأخيراً، إن أحد زعماء الفلسفة البراجماتية «ديفيد هيوم» يعتقد أن الانسان هو المركز الاساسي وهو كل شيء في هذا الكون، وهذا الرأي هو الذي ذهب إليه أقطاب الفلسفة الطبيعية والوجودية.

وفي مقابل هذه الاقوال والتأملات المتباينة التي جاء بها الفكر الانساني

حول الانسان ومكانته في الكون، فاننا نجد الفكر الاسلامي الذي يتجسد في قول الحق سبحانه وتعالى ينظر إلى الانسان ومكانته بصورة أخرى تختلف تماماً عما جاء به الفكر الانساني. إن الحق سبحانه وتعالى كرّم الانسان في أربعة أمور أساسية جعلته يتبوأ مكانة سامقة تتسم بطابع السموّ، والرفعة والكرامة دون سائر مخلوقاته.

وإشارة إلى الاساسية الأولى، إن الباري عز وجل خلق الانسان في أحسن تقويم حيث نفخ فيه من روحه وجعله على هذه الهيئة البالغة في الدقة والجمال والكمال.

قال تعالى

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾﴾[1]

يقول سيد قطب رحمه الله بخصوص هذه الآيات الكريمة «تبدو عناية الله بخلق هذا الانسان ابتداء في أحسن تقويم. والله سبحانه أحسن كل شيء خلقه. فتخصيص الانسان هنا وفي مواضع قرآنية أخرى بحسن التركيب، وحسن التقويم، وحسن التعديل. . . . . فيه فضل عناية بهذا المخلوق. وأن عناية الله بأمر هذا المخلوق ـ على ما به من ضعف وعلى ما يقع منه من انحراف عن الفطرة وفساد ـ لتشير الى أن له شأناً عظيماً عند الله، ووزناً في نظام هذا الوجود. وتتجلى هذه العناية في خلقه وتركيبه على هذا النحو الفائق، سواء في تكوينه العقلي الفريد، أم في تكوينه الروحي العجيب.

والتركيز في هذا المقام على خصائصه الروحية. فهي التي تنتكس إلى أسفل سافلين حين ينحرف عن الفطرة ويحيد عن الإيمان المستقيم معها. إذ إنه من الواضح أن خلقته البدنية لا تنتكس إلى أسفل سافلين. وفي هذه الخصائص الروحية يتجلى تفوق التكوين الانساني فهو مهيأ لأن يبلغ من الرفعة

---

(١) سورة التين آية ٤ـ٦

مدى يفوق مقام الملائكة المقربين كما تشهد بذلك قصة المعراج. حيث وقف جبريل عليه السلام - عند مقام، وارتفع محمد بن عبد الله - الانسان - إلى المقام الاسمى.

بينما هذا الانسان مهيأ - حين ينتكس - لأن يهوي إلى الدرك الذي لا يبلغ إليه مخلوق قط: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾. حيث تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، لاستقامتها على فطرتها، وإلهامها تسبيح ربها، وأداء وظيفتها في الأرض على هدى. بينما هو المخلوق في أحسن تقويم، يجحد ربه، ويرتكس مع هواه، إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه.

﴿لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم﴾. فطرة واستعداداً.. ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾... حين ينحرف بهذه الفطرة عن الخط الذي هداه الله إليه، وبيّنه له، وتركه ليختار أحد النجدين....، فأما الذين يرتكسون بفطرتهم إلى أسفل سافلين، فيظلون ينحدرون بها في المنحدر، حتى تستقر في الدرك الأسفل. هناك في جهنم حيث تهدر آدميتهم»(١).

إن الانسان الذي يرتضي بنهج عدا الفكر الاسلامي ينحدر من عليائه، وسموّه، ورفعته ليغدوا أقل الحيوانات الأرضية رتبةً وأكثرها شراً، لما تنطوي عليه سريرته من ظلم، وانحراف، وفجور، وحيوانية مفرطة.

قال تعالى

إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ (٢)

وإيماءة إلى الأساسية الثانية التي تدل على أهمية الانسان، إن الحق سبحانه وتعالى خلق الموت والحياة فقط من أجل أن يمتحن ويختبر هذا الانسان وماذا سيفعل في الحياة الدنيا، وماذا يختار لنفسه من سبل وأطر منهجية في هذه الحياة. فالذي يرتضي أن ينيب ويستقيم على النهج الإلهي، فيعدُّ من

---

(١) ظلال القرآن، الجزء السادس، ص ٣٣٩٣-٣٣٩٤

(٢) سورة الانفال آية ٥٥

الفائزين، أما الذين يرتضون بأي نهج خلا النهج الإلٰهي فهم الخاسرون.

قال تعالى

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ (١)

ومما يؤسف له كثيراً، ويؤجج اللوعة، ويثير الأحزان أن أغلب الناس تناسوا أو جهلوا هذه الحقيقة، وذهبوا ينسجون أنماطاً سلوكية وأطراً فكرية تتناسب مع مفهومهم الساذج السطحي لهذه الحياة الدنيا، فقد شيدوا كل شيء وفق هذا المفهوم الهابط للحياة، وغدوا ضحايا لزخرفها وفتنتها، ليكونوا من الاخسرين أعمالاً.

أما الاساسية الثالثة التي تدل على سمو الانسان وجلاله ورفعته، أن الحق سبحانه وتعالى جعل الانسان خليفته في الأرض. فهذا الشرف الباسق والمجد المؤثل للانسان أنه استحق خلافة الأرض بعد أن سجدت له الملائكة جميعها سوى الشيطان الذي تكبّر على الانسان ورفض السجود واستحق على ذلك لعنة الله، ولعنة اللاعنين. وأي شرف، وإجلال، وتكريم يود أن يصل إليه الانسان أبعد من هذا!

قال تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٣٠﴾ (٢)

إن الانسان يستطيع أن يحافظ على هذا الشرف الساطع والمجد المؤثل عن طريق اتباع النور السماوي المبين الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى لكافة الناس، وبهذه التبعية للهدى والنور المبين يغدو الانسان خليفة الله في أرضه، بل يصبح منضويا تحت راية حزب الله. وأي شرف أعظم من هذا ـ أن يكون

---

(١) سورة الملك آية ٢

(٢) سورة البقرة آية ٣٠

الانسان من حزب الحق تبارك وتعالى ـ.

أضف إلى ذلك أن الحق سبحانه وتعالى وملائكته يصلون على محمد ﷺ ـ ومحمد كما نعلم جميعاً إنه إنسان ـ فماذا يريد الانسان شرفاً ومكانةً أعظم من هذا الشرف وهذه المكانة.

قال تعالى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[1]

ولكن الانسان إذا ابتعد عن الصراط المستقيم واتخذ نهجاً غير النهج الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى لعباده، فإنه ينحدر من هذه المكانة السامقة، ويسلخ نفسه من حضيرة الله سبحانه وتعالى وحزبه ليغدو تبعاً لعدو الانسانية، وعضواً في حزب الشيطان. وللاسف إن أغلب الناس ذهبوا إلى هذه التبعية، وارتضوا أن يكونوا في حزب الشيطان.

قال تعالى

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾[2]

نعم إن الانسان عندما يبتعد عن النهج الإلهي المبين، ويرضى لنفسه أن يتفيأ نهجاً بشرياً في حياته، فإنه ينحدر بنفسه من المكانة السامقة التي وهبها الله لعباده المنيبين، إلى الارتكاس دون الحضيض، في الأذلين، وبهذا العمل الهابط يغدو الانسان في حزب الشيطان، الذي يدعوا حزبه ليكونوا من أصحاب السعير وروّاد جهنم.

---

(١) سورة الاحزاب آية ٥٦ (٢) سورة المجادلة آية ١٩-٢٠.

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ (١)

أما الأساسية الأخيرة التي تشير إلى الانسان وأهميته، فهي تتجسد في حرية الاختيار التي وهبها الحق سبحانه وتعالى للإنس والجن دون سائر مخلوقاته. فهذه الحرية التي وهبها الباري عز وجل للانسان، جعلت الانسان في مكانة تسمح له أن يختار ما يريد، فإذا أرادأن يتبع النهج الإلهي فله ذلك. وإن الحق سبحانه وتعالى سيأخذ بيده طالما اختار هذا النهج وسلك في ضوئه. كما أن له الحق في أن يختار الطريق المغايرة للنهج الإلهي ويكفر بخالقه، ويلحد به كيفما شاءَ، وسيمدُّ له الرحمن سبحانه وتعالى في هذه السبيل طالما أن الانسان ارتضاه لنفسه وأراد أن يسلك في ضوئه. ولكن الانسان سوف يتحمل تبعة اختياره وما يترتب عليه مستقبله في الآخرة، يوم يمثل أمام الحق سبحانه وتعالى ليحاسب ويجزى على ما قدمت يداه في الحياة الدنيا. فالذي ارتضى بالنور السماوي نهجاً له في الحياة الدنيا، فالجنة هي المأوى. أما الذي أدبر واستكبر عن النهج السماوي فيكون موئله في نار جهنم، ساءَت مستقراً ومقاماً. وحرية الاختيار التي وهبها الباري عز وجل للانسان تبدو جلية في الآيات الكريمة التالية:

قال تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢)

قال تعالى ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾ (٣)

قال تعالى ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ (٤)

---

(١) سورة فاطر آية ٥-٦

(٢) سورة البقرة آية ٢٥٦

(٣) سورة الكهف آية ٢٩

(٤) سورة الانسان آية ٣

الفصل التاسع

علاقة الفرد بالجماعة

- مقدمة .
- المفهوم الانساني الفلسفي للعلاقة بين الفرد والجماعة .
- المفهوم الاسلامي للعلاقة بين الفرد والجماعة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

سورة التوبة (٢٣)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا

سورة النساء (٥٩)

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾

سورة المائدة (٥٥-٥٦)

علاقة الفرد بالجماعة

تعدُّ علاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالجماعة «الدولة» من الموضوعات التي حظيـت باهتمام بارز منذ القدم. حيث إن الانسان القديم كان يعتقد أن وجود فردين مع بعضهما البعض من حيث الحماية، والطمأنينة، والإنتاجية الاقتصادية أفضـل بكثير من وجـود الفـرد لوحده. لذلك كان من الطبيعي آنئذ أن يسعى الانسان في البحث عن حياة التعاون مع الآخرين ليقوى على حماية نفسه في الظروف الطبيعية الصعبة وما تفرزها من مشاكل مختلفة للانسان. هذا بجانب تسهيل مهامه الحياتية.

ولكن في حالة وجود أكثر من فرد في مكان ما فإن الاختلافات الطبيعية فيما بينهم تبرز إلى حيز الوجود، وذلك يعود إلى الاختلاف في أهدافهم، وأمنياتهم، ورغباتهم الشخصية. وقد يؤدي هذا الخلاف إلى تهتك الوشائج وسبل التعاون بين الأفراد مما يؤدي إلى ظهور مشاجرات وحروب داخلية بين الأفراد قد تضر بمصلحـة الجمـاعـة وأفـرادهـا. ومن أجل تحاشي هذه الخلافات بين أفراد الجماعة، أو التقليل من ظهورها، فإنه لا بد من وجود معتقدات عامة، وأطر فلسفية مشتركة، وقوانين وأنظمة متسقة مع بعضها البعض لكي تضبط وتسهل عملية التفاعل الاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي، والثقافي، والعسكري، وإثارة روح التعاون بين الأفراد على المستويين الداخلي والخارجي.

وقد كان المسؤل في العهد القديم عن تنفيذ الأنظمة والقوانين التي كانت تتجسـد في العـادات والتقاليد في ذلك الوقت، هو شيخ العشيرة أو القبيلة. ولكن مع التقدم الحضاري والعلمي للانسان على مرّ التاريخ، ظهرت الحاجة

الماسة لوجود مؤسسات وحكومات تتولى على عاتقها مسؤلية تحقيق الأهداف والأمنيات لتلك الأمة أو الجماعة التي تمثلها المؤسسة أو الدولة . وفي هذا القرن زاد هذا الاهتمام في هذا الموضوع اهتماماً بالغاً ليتجاوز علاقة الفرد بالدولة إلى علاقـة أحـلاف دولية سواء أكانت هذه الأحلاف تتسم بالطابع الاقتصادي أو السياسي أو الأيدولوجي ، أو العرقي .

ولما لهذا الموضوع من أهمية في حياة الانسان ، فقد حاول الانسان منذ القدم أن يضع مفهوماً للعلاقة بين الفرد والجماعة . وقد ظهرت الآراء المتباينة للفلاسفة حول هذا الموضوع . فمنهم من وضع الدولة وأهدافها في المقام الأول وطلب من الفرد أن يتعايش مع ظروف الدولة وأهدافها ، ومنهم من ذهب إلى وضع الفرد وأهدافه في المقام الأول.

يرى الفيلسوف ديموكريتوس (Democritus) أن السعادة الحقيقية لأي فرد لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق سعادة الجماعة أو الدولة ، لذلك فإنه يرى التركيز على متطلبات الدولة وأهدافها . ومن زعماء هذه الفكرة ودعاتها أو التوجه إليهـا أفـلاطـون وتلميذه أرسـطو، والـزعيم الألمـاني هتلر، وزعماء الفلسفة الشيوعية . وفي المقابل، نجد زعماء الفلسفة الطبيعية والوجودية يعتقدون في تغليب أهمية المصالح والأهداف الفردية للانسان على مصلحة وأهداف الدولة .

وهناك رأي آخر لزعيم الفلسفة البراجماتية «جون ديوي» حيث حاول جاداً أن يضـع علاقـة تبادلية بين الفرد والجماعة ، حيث إن الفرد يستطيع أن يفيد الجماعة ويستفيد منها . كما أنه يرى أن شخص الانسان يجب أن يحترم ، وأن وجود الجماعات الاجتماعية هو فقط من أجل إضفاء جو السعادة والسرور على الفـرد. هذا مع العلم أن الانسان يمكن أن ينمو ويتطور بفعالية فقط إذا كان عضواً في جماعة .

من الجدير ذكره في هذا المقام أن الفلاسفة نسجوا آراءهم واعتقاداتهم حول هذا الموضوع في ضوء مفهومهم للوجود الانساني الذي لا يتعدى حياة الانسان منذ ولادته حتى وفاته .

وفي مقابل هذا الأقوال البشرية الفلسفية حول هذا الموضوع، نجد الحق سبحانه وتعالى في هذا الموضوع، الذي يتجسد في الفكر الاسلامي الذي يحتوي على معلومات أشمل وأدق لأنه ينظر إلى الانسان وأهدافه، وأمنياته، ورغباته في وجود أشمل وأعم، يتعدى الحياة الدنيا ليشمل الانسان وطموحاته في كلا الدارين «الأولى والآخرة».

إن الحق سبحانه وتعالى أطلع الانسان في كتابه العزيز على كُنه الوجود الانساني وأسراره لَعَلّهُ ينيب وجهه لبارئه ويستقيم على صراطه المستقيم. لقد علم الانسان من القرآن الحكيم الهدف الذي خلق من أجله، كما عرف الهدف من خلق الموت، والحياة، والكرة الأرضية وما عليها من زينة ومتاع. وأيضاً عرف الانسان أن حسابه في اليوم الآخر سيكون على ما قدمت يداه فرداً. وأن جميع المعلومات تبدو بوضوح وجلاء ساطع في الآيات القرآنية التالية:

قال تعالى

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾[1]

قال تعالى

﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾[2]

قال تعالى

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾[3]

---

(١) سورة الذاريات آية ٥٦-٥٧.

(٢) سورة الملك آية ٢

(٣) سورة الكهف آية ٧-٨

قال تعالى

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾[1]

قال تعالى

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾[2]

لذلك فإن الانسان خُلق من أجل عبادة الرحمنْ سبحانه وتعالى، وأن الموت، والحياة، والأرض وما فيها من ملذات، وشهوات وقناطير من الذهب والفضة، والمال، والبنين، وجميع ما احتوى عليها زخرفها يُعدُّ بمثابة الاختبار والابتلاء للانسان في الحياة الدنيا. كما أن الانسان سيحاسب على ما قدّمت يداه من خير أو شر، ليؤول مصيره في اليوم الآخر، إما إلى دار السلام، وإما إلى جهنم وبئس المهاد.

وفي ضوء هذه الأساسيات السامقة فإن الانسان المنيب، الذي ارتضى بالله رباً، وبالاسلام ديناً، فإنه سوف يسعى إلى تحقيق الغاية الكبرى التي خلق من أجلها، كما أنه سوف ينظر إلى الحياة الأولى على أنها دار الاختبار والفناء، فلا يمكن أن تستدرجه بزينتها وزخرفها ويغدو إنساناً شهوانياً من جند الشيطان. أضف إلى ذلك أن الحق سبحانه وتعالى أنار إلى هؤلاء السبيل في كيفية إرضائه، واتباع أوامره، واجتناب نواهيه، وتحقيق أهدافهم الدنيوية والآخروية عن طريق اتباع القرآن الحكيم وسنة سيد المرسلين. وهذا الشرع الذي ارتضاه الحق سبحانه وتعالى للناس كافة يوضح كافة ما يحتاج إليه الانسان من أمور

---

(١) سورة الزلزلة آية ٧ـ٨

(٢) سورة القارعة آية ٦ـ٩

اجتمـاعيـة وسيـاسيـة، ودنيوية، وأخروية. هذا بجانب أن الأهداف الفردية والجماعية لهذا التجمع الرسالي لا يوجد بينهما تعارض، لأن الجماعة والأفراد يحتكمون إلى نفس المصدر الإلهي التشريعي، الذي يخلو من التناقض والازدواجية.

لذلك فإن الفرد المسلم في المجتمع الرسالي الاسلامي يجب أن يقدم الـولاء، والـطاعة، والتبعية، في كافة الأمور إلى الجماعة وإمامها طالما ان الجماعة بزعامة إمامها تسير في ضوء النهج الإلهي. وإذا ظهر أي خلاف في هذا التجمع الرسالي، فيجب أن يُحلّ هذا الخلاف في ضوء النهج الإلهي.

قال تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ٥٩﴾ (1)

وإذا لم تتـوفـر شروط الاستقامة للجماعة على النهج الإلهي، ورفضت الامتثال إلى شرع الله وسنة نبيه ﷺ، فإن الفرد يكون في حلٍ من هذه الطاعة والتبعية لها، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ويبدو ذلك بجلاء في قوله عز من قائل:

قال تعالى

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (2)

قال تعالى

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمٗا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ

(1) سورة النساء آية ٥٩

(2) سورة التوبة آية ٢٣

وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ [١]

وفي ضوء النهج الاسلامي، فإن علاقة الفرد مع الجماعة مشروطة بطريقة سير الجماعة ونهجها. في الوقت الذي تكون فيه الجماعة سائرة على الخط الاسلامي المنير كما بينه الباري عز وجل في كتابه الحكيم واتباع سنة نبيه الأمين محمد ﷺ، فإنه لا بديل عن تقديم الولاء والطاعة للجماعة، ولا يحيد عنها إلا هالك.

وبهذا المفهوم السامق للجماعة، فإنها تكون المُعين القويّ للفرد في تحقيق أهدافه الدنيوية والأخروية، كيف لا؟ وكلاهما يسعى بكل ما أُعطي من مواهب وقوى إلى إرضاء الحق سبحانه وتعالى. وبهذا المفهوم الجليل للوجود الانساني من وجهة نظر الفرد والجماعة، تكون غاية الفرد من هذا الوجود الانساني هي بعينها غاية الجماعة، أي تنفيذ الشرع الإلهي في الدنيا للفوز بالآخرة.

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢

الفصل العاشر

الغَيب : مَاهيتهُ وأنواعُـه

- مقدمة
- المفهوم الفلسفي للغيب
  - التحذلق في الغيب ورجمه
  - انكار الغيب وجحوده
- الغيب في ضوء النهج الالٰهي
  - الله وحده عالم الغيب
  - علاقة الانبياء والرسل بالغيب
  - الايمان بالغيب
- انواع الغيب
- الغيب المتصل بعالم الشهادة
  - غيب الماضي
  - غيب الحاضر
  - غيب المستقبل
- الغيب المتصل بالعالم العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾

سورة الجن (٢٦-٢٧)

وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

سورة هود (١٢٣)

۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾

سورة المائدة (١٠٩)

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ

سورة لقمان (٣٤)

الغيب

مقدمة :

بعـد أن أدبـر الانسان وتولى عن النور السماوي المبين، الذي بعثه الله سبحانه وتعالى عن طريق الانبياء والرسل رحمة وتلطفا منه بعباده، ذهب ليبحث عن نهج آخر بواسطة العقل الانساني بما يتناسب مع القوى الشهوية التي تنازعه على غشيانها. حيث إن هذه القوى الكامنة في النفس البشرية هي التي حالت دون انـابـة الانسـان واستقامته مع النور السماوي الذي يفوح بنسائم الرحمة وشآبيب البركات، طالما لن يسمح هذا النور المبارك لهذه القوى الشهوية ان تنطلق من عقالها وتمارَس دون ضابط خُلقي وقانون اجتماعي ثابت.

لذلك فان الانسان قد يعلم علم اليقين مستوى انحرافه عن جادة الصواب عندما يبتعد عن النور السماوي السامق، ولكنه يماري في القول ظاهريا مبررا سلوكه المجافي للحق والحقيقة، مدعيا بأنه يريد أن يصل الى سدرة الصواب عن طريق العقل البشري فقط دون الالتفات الى الطرق الاخر.

وبهذا الادعاء، يكون الانسان قد جادل وناور ليلتف على الحقائق ممارسا هواية الجـدل التي تميّز بها عن سائر المخلوقات. لذلك ليس غريبا ان نجد الاختـلافـات الجلّية عنـد هؤلاء الـذين انحرفوا عن الحق في تبرير انماطهم السلوكية التي اتبعوها بدلا من النور السماوي الباسق.

إن من أبرز المواضيع التي دار البحث حولها عند هؤلاء الذين ولوا الدبر للحق، هو موضوع الغيب (الميتافيزيقا). فقد تناول هؤلاء هذا الموضوع بعد

أن رفضوا كل ما جاءَ به الانبياء والمرسلون حول موضوع الغيب عن عالم الغيب بطريقتين متضادتين ؛ فمنهم من اتبع طريق رجم االغيب بلا هوادة ، حيث انهم تعاملوا مع العالم الآخر وكأنه صورة أخرى عن عالم الشهادة ، أو بداية منسجمة ، ومتسقة ، ومماثلة له . لذلك فانهم استخدموا جميع الفرضيات العقلية والقوانين الطبيعية لهذا الكون المادي المحسوس لتقودهم الى معرفة ما حَجبت عنهم استار الغيب ، ظنا منهم بأن ذلك العالم لا يوجد له راعٍ يحفظه ويرعاه ، وانه مشاع لكل من اراد ان يغزوه أو يجتاز حدوده .

قال تعالى

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ۝٢٧﴾ (1)

اما تعاملهم مع عالم الغيب وكأنه صورة مماثلة لعالم الحس ، او حسب القوانين التي الفوها وابتكروها في عالم الشهادة ، فهذا ينمّ عن جهلهم بالفروق الجوهرية بين العالمين . واحدى هذه الفروق الجوهرية اختلاف الوحدة الزمنية لليوم الواحد في عالم الغيب عنه في عالم الشهادة .

قال تعالى

﴿وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلۡعَذَابِ وَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥۚ وَإِنَّ يَوۡمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلۡفِ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (2)

قال تعالى

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (3)

---

(1) سورة الجن آية ٢٦-٢٧ .

(2) سورة الحج آية ٤٧ .

(3) سورة السجدة آية ٥ .

أما القسم الآخر من المدبرين للحق، فقد انكروا الغيب تماما، وهذا الذي ذهب اليه الطبيعيون، والوجوديون، والشيوعيون، والنفعيون (البراجماتيون) في فلسفاتهم المتعددة.

ان الشيء المذهل العجيب أن كلا الطرفين لم يأتيا بأية أدلة واضحة او براهين قاطعة حول دعواهم سواء بانكارهم الغيب أو حول مجموعة التأملات والتخرصات عند الذين رجموا الغيب. والأغرب من هذا كله أن أتباع كلا الفريقين لم يسألوا عن مدى مصداقية كل فريق عما ادّعي، ولا عن الادلة الموجبة لتصديقهم كما كان الانسان يفعل مع الانبياء والمرسلين.

ان تاريخ الانسانية مع انبياء الله ورسله يغص بالمطالبات المتتالية، والتساؤلات المتعددة، والمناورات المختلفة، والتحديات الجازمة، بالرغم من وضوح الأدلة والبراهين الدامغة، والحجج القاطعة، والآيات والمعجزات الوفيرة التي تفوح بنسائم الحق الذي جاءوا به من عند ربهم رحمة وهداية لكل من أناب واستقام للحق. **والسلوك بهذه الطريقة يعد من أشد الأدلة وضوحا ونقاءا على أن الانسان لا يسأل عن مدى مصداقية أي توجه أو اعتقاد طالما كان يتمشى مع ما يجول في النفس من أهواء، ونزوات، وقوى شهوية. لهذا السبب لم يسأل الانسان الذين ابتعدوا عن النور الالهي عن ادلتهم والتأكد من مدى صدقهم قبل أن يؤمنوا بما ابتدعوه من دروب، وتوجهات، وانماط سلوكية واعتقادية.**

بينما نجد الانبياء والمرسلين قد تعرضوا لكل دروب المحاورات، والمناورات، والمضايقات، وجميع انواع التهم والتكذيب، والمطاردة والتعذيب لهم ولمن سلك نهجهم لعدم انسجام الحق الذي أتوا به من عند ربهم مع ما تنطوي عليه صدورهم وسرائرهم من ملذات، وشهوات، ونزوات كامنة في نفوسهم تدفعهم للاعراض عن النور المبين. والانغماس في اشباع تلك الغرائز والشهوات بكل السبل والطرائق المتاحة لديهم.

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ (1)

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (2)

تبين الآيات السابقة اصرار الانسان على تغطيته الحقائق الواضحة التي يفوح بها النور السماوي المبين واتباعه الطرق الجدلية المتعددة لطمس هذا النور والابتعاد عنه، ليس لأنه لا يمثل الحق والحقيقة، ولكن لأنه يتجافى مع مطالبه الشهوية التي تدفعه الى غشيانها دون أية ضوابط. وبهذا العمل يغدو الانسان أشد قسوة وصلدا من الجبال الصماء بسبب تعطل ملكة العقل، والقلب، والاحاسيس، والمشاعر عن رؤية الحق المبين.

قال تعالى

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (3)

وهذه الآية تمثل الدلالة الكبرى على أن الجمادات لو أنزل عليها هذا القرآن فلن يكون لها الا أن تخشع وتتصدع له لما يحتوي عليه من آيات مباركة تدل على قدرة الله سبحانه وتعالى وما ينطوي عليه من حقائق سامقة في حين ادبر الانسان واستكبر عن هذا القرآن وتعاليمه جملة وتفصيلا.

---

(1) سورة الاسراء آية ٨٩.

(2) سورة الكهف آية ٥٤

(3) سورة الحشر آية ٢١.

ـ المفهوم الفلسفي للغيب ـ

يعتقد سقراط (٤٦٩-٣٩٩ قبل الميلاد) «ان لكل شيء طبيعة أو ماهية هي حقيقته، يكشفها العقل وراء الاغراض المحسوسة، ويعبر عنها بالحدّ؛ وان غاية العلم ادراك الماهيات، اي تكوين معان تامة الحد»[1]

«تتجه الفلسفة خصوصا في جزئها المسمى«ما بعد الطبيعة» الى البحث في اكثر الموضوعات ألوهية فتبحث في الله وصفاته وافعاله وكيف انه علّة جميع الاشياء والمبدأ الاول للوجود. . فالله «مثال الخير» عند افلاطون، و«المحرك الاول» عند ارسطو، و«الواحد» عند افلوطين و«المطلق» عند هيجل»[2]

يرى الفارابي «ان معرفتنا لله من الموجودات التي تصدر عنه، ويصدر بعضها عن بعض أوثق من معرفتنا له في ذاته، فمن الله الواحد يصدر الكل وعلمه هو قدرته العظمى؛ ومن تعقله لذاته يصدر العالم. وعلة الاشياء جميعا ليست هي ارادة الخالق القادر على كل شيء، بل علمه بما يجب عنه. وعند الله منذ الازل، صور الاشياء ومُثُلها. ويفيض عنه منذ الأزل مثاله، المسمى الوجود الثاني، او العقل الاول، وهو الذي يحرك الفلك الاكبر. وتأتي بعد هذا العقل عقول الافلاك الثمانية تباعا؛ يصدر بعضها عن بعض؛ وكل واحد منها نوع على حدة. وهذه العقول هي التي تصدر عنها الاجرام السماوية، وللعقول التسعة مجتمعة ـ وهي التي تسمى ملائكة السماء ـ هي عبارة عن مرتبة الوجود

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٥٢

(٢) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، د. علي عبد المعطي، دار المعرفة الجامعية ـ الاسكندرية، ١٩٨٤، ص٤١٣.

الثانية. وفي المرتبة الثالثة يوجد العقل الفعال في الانسان؛ وهو المسمى أيضا روح القدس، وهو الذي يصل العالم العلوي بالعالم السفلي»[1]

يعتقد ابن سينا «ان واجب الوجود واحد، لا كثرة في ذاته بوجه، ولا يمكن ان تصدر عنه كثرة؛ هذا الواجب الأول هو الله ابن سينا. ويجوز ان تضاف اليه صفات كثيرة، كالقول بأنه عقل ونحو ذلك؛ غير انه لا يوصف بها الا على سبيل السلب، والاضافة، حتى لا تتعارض مع وحدة الذات. فالواحد الأول لا يصدر عنه الا واحد، هو العقل الأول. والكثرة انما تبدأ في هذا العقل، فبتعقله لعلته يصدر عنه ثالث، هو عقل يدبر الفلك الاقصى؛ وبتعقله لذاته تصدر عنه نفس، يفعل عقل الفلك فعلَه بتوسُّطها؛ ثم ان العقل الاول، من حيث هو ممكن الوجود، يصدر عنه جرم الفلك الاقصى ويستمر الصدور على هذا النحو؛ فعن كل عقل تصدر ثلاثة أشياء: عقل، ونفس، وجسم»[2]

اما فلاسفة الاسلام فقد ذهبوا الى رأي مخالف لجمهور المسلمين. فقد قرروا أن الاعادة روحية فقط وليست مادية. وهذا راجع الى انهم ميزوا بين النفس والبدن او بين الروح والجسم، على أساس أن الروح هي الجوهر والبدن هو العرض اللاحق له. ونحن نعلم أن الاعراض تزول أما الجوهر فلا. اذاً المعاد هنا ليس الا عودة الجوهر الروحي، اما البدن، او ان شئت، مجموعة الاعراض، فلن تعاد لانها تحللت وفسدت، ولا يمكن اعادة ما قد تحلل وفسد»[3]

يقول ابن خلدون «الفلسفة، كما يقول الفلاسفة هي علم الموجود من حيث صدوره عن علله؛ ولكن ما يقولونه عن عالم العقل العلوي، وعن الذات

---

(١) تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة د. محمد ابو ريده، بيروت، ١٩٨١ ص ٢٠٩ - ٢١٠

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام، صفحة ٢٥٥.

(٣) الفلسفة الاسلامية في المشرق، ص ٣٤٣.

الالهية لا يتفق مع ذلك؛ وهم يقولون في هذا الصدد اقوالا لا يمكنهم البرهان عليها»[1]

«وجه الغزالي اكبر عنايته لابطال ثلاث نظريات فلسفية من بين نظريات الطبيعة والالٰهيات وهي : نظرية قدم العالم؛ والقول بأن الله لا يعلم الا الكليات، فلا يعنى بالجزئيات؛ وانكار بعث الأجساد والقول بأن الأرواح وحدها هي التي لا يجوز عليها الفناء»[2]

ويبدو بوضوح من خلال الاقتباسات التي اوردناها في الصفحات السابقة ان الغيب الذي تعرض له الانسان هو كل ما يدور حول العالم العلوي؛ او ما يسمى علم ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا). وقد تركز اهتمام الانسان حول ثلاثة مواضيع اساسية؛ الالوهية، والمعاد، وطبيعة الكون. وقد اقتصر الانسان البحث على هذا النوع من الغيب دون غيره من الانواع الأخر التي تخص عالم الحس، لسهولة الجدال والمناورة حول هذا النوع، وصعوبة اثبات عكس التأملات والتخرصات التي الصقت بعالم الغيب العلوي. ولو تطرق هؤلاء الى انواع الغيب الاخرى التي تتصل بالعالم السفلي او عالم الشهادة لانكشفت سوأتهم، وبطلت حججهم، وأصبح من اليسير على كل انسان ان يثبت تخبطهم وابتعادهم عن جادة الصواب. وسوف نتطرق الى اقوالهم عن الغيب بما يتصل بالعالم العلوي في الفصول القادمة بعون الله.

---

(١) المقدمة ابن خلدون، فصل إبطال الفلاسفة، ص ٥٩٣

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام، ص ٣٣١

الغيب في ضوء النهج الالهي

في الوقت الذي انحصر فيه المفهوم الانساني للغيب على الامور المتعلقة بالعالم العلوي؛ او ما يسمى علم ما وراء الطبيعة (بالميتافيزيقا)، فان الباري سبحانه وتعالى، قد اطلعنا من خلال كتبه وعن طريق رسله على المفهوم الشامل للغيب سواء ما يتصل بعالم الغيب، او ما يتصل بعالم الشهادة (عالم الحس).

وحري بنا قبل أن نتطرق الى الغيب وانواعه المتعددة، أن ننوه الى ثلاثة معالم اساسية حول موضوع الغيب بشكل عام. فالاساسية الاولى تدور حول من هو الذي يعلم الغيب؟

للاجابة على هذا السؤال، فلا مندوحة لنا من ان نلم بالحقيقة التالية؛ وهي أن الغيب لم يسدل على نفسه حجابا أو سترا ليصبح غيبا بذاته. ولكن هناك قوة المدبر والخالق للسموات والارضين، وكل ما فيهما من مخلوقات قد خلقت بمواصفات وقدرات معينة محدودة. لذلك فان طبيعة هذه المخلوقات وما وشجت عليه من قدرات محدودة جعلتها عاجزة عن الوصول الى ما حُجب عنها من مكنونات الغيب. ومن ناحية اخرى فان اختلاف القدرات الطبيعية التي جسدها الله سبحانه وتعالى في كل مخلوق من مخلوقاته، جعل هذه المخلوقات تتفاوت في نظرتها للغيب. فالغيب عند الجن يختلف عنه عند الانس؛ فقد يكون الغيب بالنسبة للانس في بعض الامور حاضرا مشهودا بالنسبة للجن، وكذلك الحال بالنسبة للملائكة المقربين، فقد يكون ما هو معلوم لديهم بحكم قدراتهم الطبيعية التي وهبها الله لهم ودورهم الذي انيط بهم غيبا بالنسبة للانس والجن.

وفي ضوء ما تقدم فان علم الغيب بشكله التام بما يتعلق بعالم الغيب وعالم الشهادة لن يعلمه سوى خالق الغيب والشهادة، وتشهد بهذا التصريح الآيات القرآنية التالية:

قال تعالى

﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ (٢)

فالمتأمل في تركيب هذه الآية يرى ان الله سبحانه وتعالى قد خص نفسه بعلم الغيب، مستحوذا عليه لا يشاركه فيه أحد. فاذا ظهر مَن له بعلم الغيب صلة وان كان رسولا مقربا او نبيا، فانه لا يعلم منه شيئا ولا يدرك منه صغيرة او كبيرة الا اذا ارتضى له ربه ذلك «فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول». وهذه وظيفة القصر والحصر لاستخدام«الا» في كثير من الآيات التي عبر بها رب العزة في كتابه الحكيم. وهذا ما يظهر بجلاء ووضوح في الآيات التالية:

---

(١) سورة آل عمران آية ١٧٩.

(٢) سورة الجن آية ٢٦-٢٧.

قال تعالى

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ (١)

قال تعالى

﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾ (٢)

قال تعالى

﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ (٣)

والله سبحانه وتعالى قد أكد اسناد علم الغيب الى نفسه ، ثم زاد الأمر توكيدا مرة أخرى فقال: ان الله عالم غيب السموات والارض، وفي هذا شمول في التعبير لا يستثنى منه شيء، ثم زاده توكيدا بذكر«إنه» ثانية وهي أداة توكيد، ثم ذكر علمه بما في الصدور، وما في الصدور قسم مما شمله القول السابق بأنه عالم غيب السموات والارض ويظهر ذلك في قوله تعالى :

قال تعالى

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ (٤)

---

(١) سورة الانعام آية ٥٩

(٢) سورة النمل آية ٦٥

(٣) سورة هود آية ١٢٣

(٤) سورة فاطر آية ٣٨ .

قال تعالى

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾(١)

وفي هذه الآية نرى ان الحق تعالى قد أكد المضمون الذي يعني اسناد علم الغيب اليه سبحانه باستعمال الضمير العائد عليه ذاته، فقال «هو» وهو ضمير عائد على «الله»، اللفظة التي جاء ذكرها بعد الضمير مباشرة، «هو الله . . .» ثم كررها ثانية في قوله: «هو الرحمن الرحيم». وقد كان ذكر اسناد علم الغيب له وحده جلت قدرته بعد هذا التوكيد بذكر اسمه مقدما له بالضمير «هو» وبعده نص الحق بوحدانية «لا اله الا هو» وكأن من اهم ما اراد سبحانه ان يخبرنا في هذا السياق من خصائص وحدانيته انه عالم الغيب والشهادة.

اما بالنسبة للاساسية الثانية؛ فهي تكمن في اعتراف الانبياء والمرسلين بأنهم يجهلون الغيب ولا يعلمون عنه الا بقدر ما أطلعهم الله سبحانه وتعالى. وتشهد الآيات القرآنية بلسان حالهم في اعترافهم الصريح بأن الذي يعلم الغيب هو الله، وقد اختص بهذا العلم لذاته.

قال تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾(٢)

---

(١) سورة الحشر آية ٢٢.

(٢) سورة المائدة آية ١١٦.

ولعل ما يشد الانتباه في هذه الاية ان الله سبحانه وتعالى عندما ذكر اسناد علم الغيب له قد أكد بطريقة يعرفها العرب الذين كانوا يتحدثون العربية سليقة، فاثبت له: «تعلم ما في نفسي»، ثم نفاه عن غيره، وغيره هذا هو نبيه عيسى عليه السلام «ولا أعلم ما في نفسك»، ثم أتى بالجملة رفيعة التوكيد بأن ملتصقاً بها الضمير العائد على رب العزة «انت» وبعدها جاء بالصيغة المطلقة في الدلالة على علمه «علام الغيوب» مستعملا صيغة علّام التي تفيد المبالغة في دلالتها على ما هو لها. ومثلها الآيات التالية:

قال تعالى

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ (١)

قال تعالى

﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢)

قال تعالى

﴿ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِىٓ أَنفُسِهِمْ إِنِّىٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٣)

قال تعالى

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ

---

(١) سورة المائدة آية ١٠٩.

(٢) سورة الانعام آية ٥٠.

(٣) سورة هود آية ٣١.

﴿لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾(١)

امـا الاساسية الثالثة والأخيرة، فهي تكمن في الايمان المطلق لكل من أناب واستقـام على النـور السماوي بالغيب كما وردنا من خلال الكتب السماوية الغـراء، وعن طريق الانبياء والرسل دون زيادة او نقصان. هذا بجانب عدم البحث في مكنونات الغيب للايمان الثابت الذي لا يشوبه تردد بأن هذا العلم قد قصره الله سبحانه وتعالى على نفسه، وليس بامكان الانسان تحدي الذات الالهية والنفاذ الى ما حجبت عنه استار الغيب.

قال تعالى

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾(٢)

وايماءة الى وجوب الايمان بالغيب كما هو، فتشهد بذلك الآيات القرآنية التالية:

﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾(٣)

قال تعالى

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٤)

---

(١) سورة الاعراف آية ١٨٨.

(٢) سورة الجن آية ٢٦-٢٧.

(٣) سورة البقرة آية ١-٣

(٤) سورة المائدة آية ٩٤

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ (1)

قال تعالى

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾ (2)

قال تعالى

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ (3)

قال تعالى

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾ (4)

«هذا الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه، وعلم بحكمته ان لا جدوى للبشر في معرفة كنهه وطبيعته، فلم يهب لهم القدرة على ادراكه والاحاطة به، بالاداة التي وهبهم اياها لخلافة الارض، وليس من مستلزمات الخلافة ان نطلع على هذا الغيب، وبقدر ما سخر الله للانسان من النواميس الكونية وعرفه بأسرارها، بقدر ما حجب عنه اسرار الغيب، فيما لا جدوى له في معرفته، وما يزال الانسان مثلا على الرغم من كل ما فتح له من الاسرار الكونية يجهل ما وراء اللحظة الحاضرة جهلا مطلقا، ولا يملك بأي أداة من ادوات المعرفة المتاحة

---

(1) سورة الانبياء اية ٤٨-٤٩

(2) سورة فاطر آية ١٨

(3) سورة يس آية ١١

(4) سورة الملك آية ١٢

له ان يعرف ماذا سيحدث له بعد لحظة، وهل النَفَس الذي خرج من فمه عائد ام هو آخر أنفاسه؟ وهذا مثل من الغيب المحجوب عن البشر، لأنه لا يدخل في مقتضيات الخلافة، بل ربما كان معوقا لها لو كشف للانسان عنه.. واذا كان العقل البشري لم يوهب الوسيلة للاطلاع على هذا الغيب المحجوب فليس سبيله اذاً أن يتبجح فينكر. فالانكار حكم يحتاج الى المعرفة. والمعرفة هنا ليست من طبيعة العقل، وليست في طوق وسائله....

ان الاستسلام للوهم والخرافة شديد الضرر بالغ الخطورة. ولكن أضر منه وأخطر، التنكر للمجهول كله وانكاره، واستبعاد الغيب لمجرد عدم القدرة على الاحاطة به.. انها تكون نكسة الى عالم الحيوان الذي يعيش في المحسوس وحده، ولا ينفذ من أسواره الى الوجود الطليق. فلندع هذا الغيب اذاً لصاحبه، وحسبنا ما يقص لنا عنه، بالقدر الذي يصلح لنا في حياتنا، ويصلح سرائرنا ومعاشنا[1]

(١) في ظلال القرآن، الجزء الأول، ص ٥٩.

ـ أنواع الغيب ـ

بعد أن فرغنا من الحديث عن الغيب بالمنظار الفلسفي ومفهوم الغيب في ضوء النهج الإلهي، انه حقيق علينا ان نطلع القاريء الكريم على انواع الغيب المختلفة كما تعلمناها من القرآن المجيد.

إن الله سبحانه وتعالى عالم الغيب والشهادة اطلعنا من خلال كتابه المنير بأن هناك نوعين اساسيين للغيب هما: عالم الغيب (العالم العلوي)، والغيب الذي يتصل بعالم الشهادة (عالم الحس).

اما بالنسبة الى عالم الغيب فيجدر بنا نحن البشر، بعد أن عرفنا بأن علم الغيب لله فقط ان نعلم الحقيقة التالية؛ وهي ان المقربين في السموات العلى والذين يعتبرون جزءً من الغيب بالنسبة للانسان إنهم لا يعلمون بمكنونات الامور الغيبية سواء اكان ذلك الغيب متصلاً بعالم الغيب ام بعالم الشهادة.

ودليلنا لهذا الموضوع يكمن في قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم

بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ (1)

هذا بجانب ان قصة الاسراء والمعراج تشهد بأن جبريل عليه السلام قد رافق سيدنا محمداً في تلك القصة ولكنه لم يستطع ان يكمل مع سيدنا محمد ﷺ حيث التـزم عنـد حد معين وترك سيدنا محمداً ﷺ يكمل حادثة الاسراء والمعراج وحيداً، مما يدل على أن دائرة معارفه وتحركاته محدودة. وهذا النوع من الغيب الذي لا يعلم مكنوناته المقربون للرحمٰن، هو بعينه الذي تم انكاره ورجمه تارة اخرى من قبل الفلاسفة.

اما بالنسبة الى الغيب الذي يتصل بعالم الشهادة، فهناك ثلاثة انواع من هذا الغيب؛ فالغيب الاول هو غيب الماضي، والغيب الثاني؛ غيب الحاضر، والغيب الأخير؛ غيب المستقبل.

وايماءة الى غيب الماضي فان الله سبحانه وتعالى الذي احصى كل شيء اطلعنا من خلال كتابه المنير على قصص وحوادث جرت في السابق ليس بمقدور الانسان ان يصل اليها بنفس الصدق والدقة التي وصلتنا من خلال كتابه العزيز.

قال تعالى

إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ

---

(1) سورة البقرة، آية ٣٠ - ٣٣.

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٢)

واشارة الى غيب الحاضر، فانّه يكمن في نقص معرفة الانسان لكل ما يجري من امور حياتية في نفس اللحظة فيما يتعلق بعالم الشهادة. فالذي يكون معلوماً لطرف ما من الناس قد يكون غيباً لطرف آخر. ويبدو ذلك بجلاء في سيرة الانبياء والرسل، حيث كانت تأتيهم البينة من ربهم بخصوص ما يخطط القوم

---

(١) سورة آل عمران آية ٣٥ ـ ٤٤.

(٢) سورة هود آية ٤٥ ـ ٤٩.

لهم من مكائد وشرور مستطيرة وسيرة نبينا ﷺ تفيض بالمعلومات الواضحة في هذا الموضوع ؛ نذكر منها قصة الهجرة النبوية ، ومكائد اليهود ، وشرور المنافقين وأحابيلهم .

قال تعالى

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ (٧) يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١)

هذا بجانب أن الله سبحانه وتعالى اطلع قسماً من انبيائه ورسله بمعلومات معينة حول هذا الغيب لتكون بمثابة الحجة الساطعة والدليل السافر على صدق دعواهم وثبوت مصداقيتهم فيما كانوا يدعون إليه . وقد اخبر عيسى عليه السلام قومه بما كانوا يأكلون وما يدخرون في بيوتهم .

قال تعالى

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩)﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ ۖ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾ (٣)

---

(١) سورة المنافقون آية ٧ ـ ٨ .

(٢) سورة آل عمران آية ٤٩ .

(٣) سورة الملك آية ١٣ ـ ١٤ .

اما بالنسبة الى غيب المستقبل في عالم الشهادة فيعني معرفة ما سيجري من أحـداث مستقبلية سواء اكـانت على المستوى الفردي ام الجماعي. وقد أخبرنا الله سبحانه وتعالى في كتابه المنير حول هذا الغيب حيث مكن انبياءه ورسله بمعرفة بعض من الامور الغيبية المستقبلية ليكون هذا العلم بمثابة الدليل السـاطـع على صدق ما يدعـوا اليه. وان السيرة النبـوية الشريفة تغص بهذه المعلومات الطاهرة، نذكر منها؛ ابلاغ الرسول ﷺ أصحابه بأنها ستفتح لهم قصور قيصر وكسرى، وهم يعملون في حفر الخندق استعداداً لغزو الاحزاب. وهنا برز ايمان اصحاب رسول الله حيث اقروا بصدق رسول الله وهم في اشد ساعـات القتـال واقسـاها. بينما في المقابل نجد فئة المنافقين، والذين في قلوبهم مرض، لم يصدقوا ما جاء به الرسول من عند ربه من معلومات عن غيب المستقبل.

قال تعالى

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ (١)

بينما يبرز موقف المنافقين والذين في قلوبهم مرض في الآية الكريمة التالية:

قال تعالى

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ (٢)

---

(١) سورة الاحزاب آية ٢٢.

(٢) سورة الاحزاب آية ١٢ ـ ١٣.

اضف الى ذلـك ما يشهد به القرآن الكريم من زف خبر نصر الروم بعد هزيمتهم امام الفرس ليبشر به المؤمنين.

قال تعالى

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (١)

وتجدر الاشارة الى أن هناك اموراً غيبية تحدث باستمرار ولا يجد الانسان وسيلة تمكنه من معرفة هذه الحوادث قبل وقوعها. ولن يتسنى له ذلك لأن هذه المعلومـات الغيبية خارج حدود طاقـات الانسـان. ومن هذه الحـوداث موعد الوفاة، ومكان الموت، والرزق، والجهل المطبق بعلم الساعة.

قال تعالى

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٞ مِّنكُم مَّنۡ أَسَرَّ ٱلۡقَوۡلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنۡ هُوَ مُسۡتَخۡفِۭ بِٱلَّيۡلِ وَسَارِبُۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ (٣)

---

(١) سورة الروم آية ١ ـ ٤.

(٢) سورة الرعد آية ٨ ـ ١٠.

(٣) سورة لقمان آية ٣٤.

وخلاصة القول في هذا الموضوع أن الانسان رجم الغيب العلوي بلا هوادة، وانكره تارة أخرى، في الوقت الذي ابتعد فيه كل البعد عن الغيب الذي يتصل بعالم الشهادة.

فلماذا ابتعد الانسان بهذه الصورة التي تنم عن ضعفه الشديد، وعجزه التام عن البحث في الامور الغيبية التي تحف ماضيه، وحاضره، ومستقبله الدنيوي رغم تأثير هذه الامور القويّ والمباشر على نمط الحياة التي يعيشها الانسان في عالم الشهادة؟

إن الانسان لو اجتلى تاريخه وعلم حقيقة ماضيه بانه خُلِقَ من آدم، وان آدم عليه السلام خلق من تراب، لما شك لحظة واحدة في وحدانية الله سبحانه وتعالى، ولا تبادر الى ذهنه ولو مرة واحدة الشك في ان الله سبحانه وتعالى خلقه في احسن تقويم، ولا تسلل الى داخله الريب بوحدة الهدف والدين اللذين جاء بهما الانبياء والمرسلون من عند الله مبشرين ومنذرين. اضف الى ذلك ان الانسان لو علم حقيقة ماضيه لأعرض عن كثير من الامور التي كلفت البشرية الشيء الكثير من المعاناة، والحرمان، والقتل، والسلب، والتعذيب، والطرد، والرق، والعبودية التي بسقت جميعها عن الشعوبية، والقومية، والتفوق العرقي، وتفوق اللون.

إن الانسان لو علم غيب الحاضر بما يتعلق بعالم الشهادة، لتعامل مع بقية افراد جنسه على نور وبينة، دون كذب او مراء، ولعاشت البشرية حياة السعادة والطمأنينة في جميع الامور الحياتية، لأن الانسان يعلم في ضوء هذه المعطيات الجديدة انه لا يستطيع أن يسخر أو يستخف بعقول الآخرين؛ لأن ما هو معلوم لديه يكون معلوماً للطرف الآخر.

ولو علم الانسان غيب المستقبل الدنيوي لاختلفت طبيعة الحياة من اساسها، لأن الانسان في ضوء المعطيات الجديدة يكون مطلعاً على كل ما سيحدث له في المستقبل من شرور وآلام، وافراح واحزان، وموعد الموت

ومكـانـه، والرزق، والنسل، وكل ما يتعلق بأموره الحياتية، فكيف ستكون الحياة بالنسبة للانسان في ضوء هذه المعطيات الجديدة؟

وفي ضوء ما اسلفنا نجد ان غيب العالم الدنيوي يعكس اثارا واسعة النطاق على حياة الانسان في عالم الشهادة، وبالرغم من هذا التأثير القوي، الا ان الانسـان اعرض عن الغيب الذي يتصل بعالم الحس، وذهب ليرجم الغيب العلوي تارة، وينكره تارة اخرى, أليس أجدر بالانسان قبل ان يقحم نفسه في غيب العالم العلوي أن يجند كل طاقاته وقدراته في البحث عن غيب العالم الارضي لصلتـه المبـاشره بما يهم الانسان في الحياة الاولى؟ ولكن الانسان سلك هذه السبيل لعلمه اليقيني بأن المحاورة والمناورة، والجدال، والالتفاف على الحقائق لن تجدي في تبرير الترهات والتخرصات التي جاء بها الانسان ليبرر سلوكه المحاد للحق والحقيقة في علم الغيب السفلي كما فعل بالنسبة للغيب الذي يتصل بالعالم العلوي. لذلك فان الانسان يخشى ان يفعل ولو بعض ما عمله الانبياء والمرسلون في اطلاع اقوامهم على بعض الامور الغيبية التي تتصل بعالم الشهادة، كما فعل سيدنا عيسى عليه السلام، عندما اخبر قومه بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وكما فعل سيدنا محمد ﷺ عندما كان يخبر اليهود والمنافقين بمكائدهم واحابيلهم نحوه، هذا بالاضافة الى اخبار اصحابه عن بعض ما سيجري في المستقبل، مثل نصر الروم بعد هزيمتهم، وسقوط ملك قيصر والروم بأيدي المسلمين.

كان الفلاسفة ومن والاهم يخافون كل الخوف من التحدث فيما يتصل بعالم الحس من امور غيبية؛ لكي لا تنكشف سوأتهم ويثبت بطلان حججهم للقاصي والداني. تلك الحجج والتخرصات التي اضلوا بها انفسهم وكل من وشجت عروقه على طريقتهم. فتركوا هذا النوع من الغيب الذي كان الانبياء والمرسلون يتحدون اقوامهم به للتدليل على صدقهم وثبوت حجتهم لصدق دعواهم.

ترك الانسان ارض التحدي مجادلا، ومكابرا، ومنافحا، ومناورا، ليشرد بذهنه وخياله الى آفاقٍ بعيدة المنال ليتحذلق حول الذات الالهٰية وما يدور حولها من حقائق، رغم ان الوصول اليها من الروح والملائكة تأخذ خمسين الف سنة سواء اكانت الوحدة الزمنية للسنة الواحدة بما ينسجم مع مفهوم العالم العلوي ام العالم السفلي، فان المسافة كبيرة جدا ولا يمكن للعقل البشري ان يصل اليها.

قال تعالى:

تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ [1]

ولكن الانسان تجاوز كل هذه الآفاق الشاهقة ليبرر انحرافه عن الحق والحقيقة، وكيف لا؟ وهو الذي تقوّل من الاقاويل ما تتفطر منه السمٰوات العلى، وتنشق منه الارض، وتخر له الجبال هدّا.

قال تعالى:

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا [2]

هذا حال الانسان عندما يبتعد عن الحق والحقيقة يأتي من المنكر ما تنأى وتئن لسماعه الجمادات، وهذا يعود الى جهل هذا الانسان بحقائق الكون والوجود في كلا العالمين؛ عالم الغيب وعالم الشهادة.

---

(١) سورة المعارج آية ٤

(٢) سورة مريم آية ٨٨-٩١

الفصل الحادي عشر

الذّات الإلهٰية

- مقدمة
- المفهوم الفلسفي الانساني للذات الالهٰية
- المفهوم الاسلامي للذات الالهٰية

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

سورة الاخلاص

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾

سورة البقرة (٢٥٥)

الذات الإلهية

يعـد موضـوع الذات الالهٰية من اكثر الامور الغيبية التي تناولها الانسان بالبحث، والتحليل، والتأمل، لما لهذا الموضوع من اهمية وتأثير مباشر على حياة الانسان. هذا بجانب ان الانبياء والمرسلين منذ سيدنا نوح عليه السلام وهم يدعـون النـاس الى الانابة والاستقامة لله سبحانه وتعالى؛ لذلك سلك الانسان نحو الذات الالهية باتجاهين متضادين؛ فالاتجاه الاول، يمثل سلوك الانسان الذي أناب واستقام لدعوة الانبياء والمرسلين، حيث اطمأنت اساريرهم ونفوسهم لله سبحانه وتعالى عن طريق تصديقهم وايمانهم بما جاء به رسل الله سبحانه وتعالى. اما بالنسبة للاتجاه الآخر، فهو يمثل سلوك الانسان الذي ادبر وتولى عن الحق الذي جاء به الانبياء والمرسلون. وقد سلك اتباع هذا الاتجاه نحو الذات الالهية بطريقين متضادين. فالقسم الاول منهم انكر وجود الذات الالهٰية انكارا تاما، وهذا الذي ذهب اليه الطبيعيون، والوجوديون، والنفعيون، والشيوعيون. اما القسم الثاني فقد ذهب الى الاقرار بوجود الذات الالهية حيث تعـددت اقـوالهم واعتقاداتهم حول طبيعة ، وازلية، وقدرة، ووحدانية الذات الالهية وهذا الذي ذهب اليه اغلب الفلاسفة القدماء وبالذات الفلاسفة اليونانيون.

كان فلاسفة اليونان القدماء يعتقدون بأن هناك مجموعة من الآلهة يختلفون فيمـا بينهم من حيث القوة ونوع الوظيفة، وأنه يوجد لهم رئيس يدعى زيوس (Zeus) وان له زوجة تدعى هيرا (Hera) . ويضاهي هذه الادعاءات اليونانية قول اليهود والنصارى بأن الله سبحانه وتعالى قد اتخذ ولدا، هذا بجانب الافتراءات والتخرصات التي كان يؤمن بها كفار العرب عندما كانوا يعتقدون بأن الملائكة بنات الله.

يرى أفلاطون «أن الله روح عاقل محرك جميل خيِّر عادل كامل. وهو بسيط لا تنوع فيه، ثابت لا يتغير، صادق لا يكذب ولا يتشكل اشكالا مختلفة كما صوره هوميروس ومن حذا حذوه... وهو معنيٌّ بالعلم بخلاف ما يدعيه السوفسطائيون محتجين بنجاح الاشرار، فان الله ان كان لا يعنى بسيرتنا، فذلك اما لانه عاجز عن ضبط الاشياء، وهذا محال، واما لأن السيرة الانسانية اتفه عنده من ان تستحق عنايته، وهذا محال كذلك لان كل صانع يعلم أن للاجزاء شأنها في المجموع فيعنى بها، فهل يكون الله أقل علما من الانسان؟... فوجود الله وكماله وعنايته حقائق لا ريب فيها، وانكارها جملة او فرادى جريمة ضد الدولة يجب أن يعاقب عليها القضاء، لأن هذا الانكار يؤدي مباشرة الى فساد السيرة، فهو اخلال بالنظام الاجتماعي»[1]

وملخص ما قاله زعيم الفلسفة الواقعية أرسطو عن الله سبحانه وتعالى بأنه المحرك الأول، وأنه يحرك كفاية، وانه معقول ومعشوق، فهو يحرك دون أن يتحرك وهذا شأن المعشوق والمعقول، كما وصفه بأنه العقل الفعال.

يرى ابيقورس (٣٤١-٢٧٠ قبل الميلاد) «أن الآلهة موجودون. يدل على وجودهم اولا انهم موضوع «فكرة سابقة» شائعة في الانسانية جمعاء، والفكرة السابقة تتكون بتكرار الاحساس وكل احساس فهو صادق. وأساس هذه الفكرة السابقة الخيالات التي تتراءى لنا في المنام وفي اليقظة، والتي لا بد أن تكون منبعثة عن الآلهة انفسهم.

ثانيا عندنا وجود دائم سعيد، والآلهة يقابلون هذه الفكرة. ويجب أن نتصور الآلهة على حسب أحسن شيء فينا: اجسامهم لطيفة غاية اللطافة، متحركة ابدا بين العوالم بمعزل عنها فلا ينالهم ما ينالها من دثور، ولكنهم مخلدون. ولما كانوا سعداء بعيدين عن العوالم كما قلنا، فهم لا يعنون بنا، ولا يكدرون صفوهم بشؤوننا، ولا يعلنون عن ارادتهم بالنذر، كما تعتقد العامة.

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٨٢-٨٣.

هذه المعتقدات وما تفرع عليها من خرافات مثل تقديم القرابين للآلهة ـ وأحيانا القرابين البشرية ـ لطلب مددهم ورضاهم. تناقض الفكرة السابقة عنهم، اذ يستحيل ان يكــون الآلهــة سعــداء مطمئنين مع ما نضفيه اليهم من عواطف وشواغل، فعلينا أن نطمئن نحن من جهتهم، وان ننفي عن نفوسنا الخوف منهم»[1]

يرى كليمان الاسكندري (١٥٠ـ٢١٧م) «أن كل عقل مستقيم في نفس فاضلة يؤمن بوجود الله. الايمان بالله نتيجة استدلال واضح سريع بآثار الله في العــالم وفي النفس: اما في العالم، فان النظام يدلنا على ضرورة المنظم، كذلك تدلنا القوى الفعالة في الموجودات على ضرورة علة فاعلية اولى. وأما النفس الانسانية، فهي مرآة الله بما اختصت به من عقل وارادة.. اما ماهية الله فيمتنع علينا تعريفها، لأن الله ليس جنسا ولا نوعا ولا عددا ولا عرضا ولا موضوع أعراض ولا كليا من الكليات لا ينبغي تسميته «بالكل» كالرواقيين، بل يجب القول انه ابو عموم الاشياء. ولا ينبغي البحث فيه عن تركيب وكثرة اذ لا قسمة في الواحد. وان قلنا عنه انه لا متناه، فليس يكون معنى ذلك انه كمية لا تتغير، بل انه لا امتداد له ولا شكل ولا اسم مطلقا. وان دعوناه الواحد والخير والروح، والكـائن والأب والله والخـالق والرب، فليست هذه الالفاظ اسماء له، ولكن لامتناع الاسم الحق نستعمل هذه التسميات الجميلة لكي يستطيع عقلنا التفكير في الله دون خطأ»[2].

فالله «مثـال الخير» عنـد افـلاطـون، و «المحرك الاول» عند ارسطو، و «الواحد» عند افلوطين، و «المطلق» عند هيجل»[3]

يقول ديكارت (١٥٥٦ـ١٦٥٠م) «اقصد بلفظ الله جوهرا لا متناهيا، أزليا

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص٢١٨.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٧٢ـ٢٧٣

(٣) قضايا الفلسفة العامة ومباحثها ص٤١٣.

منزها عن التغير، قائما بذاته محيطا بكل شيء، قادرا على كل شيء، قد خلقني انا وجميع الاشياء الموجودة»[1]

بعـد أن فرغنـا من عرض بعض الاقوال والتأملات المتباينة حول الذات الالهية التي نادى بها الفلاسفة على مختلف عصورهم وفلسفاتهم، فاننا نجد في الفلسفـة الاسـلامية قول الفصـل وسـدرة الصـواب حول هذا المـوضوع ومكنـونـاتـه، حيث كلام الله سبحـانـه وتعـالى الواضح، والثابت، والدقيق، والصادق الذي يصف ذاته بأنه أحد، صمد، لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، وانه الخالق والمالك لكل شيء في السمٰوات والأرضين كما انه المالك ليوم الدين، وأنه حي قيوم قديم، عالم، حكيم، عادل، غني، سميع، بصير، عزيز، جبّار، متكبّر، مدرك لكل شيء ولا يدركه شيء، مريد للخير ويكافىء عليه، وكاره للشر ويعاقب عليه، صادق في وعده ووعيده، قدوس، مهيمن، قاهر فوق عباده، يرى ولا يُرى في الدنيا والآخرة لأنه سبحانه ليس بجسم ولا مركب من شيء، ولا متحد بشيء، وانه لطيف بعباده، رؤوف رحيم.

«إن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالوا: انسب لنا ربك، فلبث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت «قل هو الله أحد.. الى آخرها»[2]

قال تعالى:

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ [3]

تصف هذه الآيات الله سبحانه وتعالى بأنه أحد الذات ويرجع كل ما سواه اليه

(١) التأملات، ديكارت، ترجمة عثمان امين. ص٧٨

(٢) الميزان في تفسير القرآن، المجلد العشرون، ص ٣٩٠.

(٣) سورة الاخلاص

في جميع الحاجات الوجودية من دون أن يشاركه شيء في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو ماهيته.

قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ (١)

قال تعالى:

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ (٢)

وخلاصة القول في الموضوع ان الناس بشكل عام وفي مقدمتهم الفلاسفة اختاروا الابتعاد عن حقيقة الله سبحانه وتعالى التي ينبثق عنها كافة الحقائق التي تتصل بالوجود بكافة جوانبه، وتمثل ذلك الابتعاد في اعراضهم عن الكتب السماوية وما تنطوي عليها من حقائق. وذهبوا ليبحثوا عن حقائق أخر تناسب ما يدور في خلجات نفوسهم من اهواء ونزوات انسانية، وهذا بعينه هو المحال الذي ينشد الانسان تحقيقه.

---

(١) سورة البقرة آية ٢٥٥

(٢) سورة الحشر آية ٢٢-٢٤

قال تعالى :

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (٦٢) [1]

قال تعالى

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴾ (٧١) [2]

(١) سورة الحج آية ٦٢.

(٢) سورة المؤمنون آية ٧١.

الفصل الثاني عشر

طبيعة الكون

- مقدمة .
- المفهوم الانساني الفلسفي للكون
  - عالم الحس
  - عالم المثل والروح
- المفهوم الاسلامي للكون
  - عالم الشهادة
  - عالم الغيب

بسم الله الرحمن الرحيم

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

سورة البقرة (٢٩)

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

سورة يس (٣٧-٤٠)

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

سورة الانعام (٧٣)

وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ

سورة القصص (٧٧)

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾

سورة الاعراف (٤٤-٤٥)

طبيعة الكون

اهتم النـاس، وفي مقدمتهم الفلاسفة، بهذه المعضلة اهتماما بالغا من أجـل التـوصل الى معرفة اسرار الكون لما له من تأثير مباشر وهام على حياة الانسان سواء على المستوى الفكري أو الايديولوجي او المستوى السلوكي في الجوانب المتعددة للحياة.

وقـد تركـز البحث والتحليل حول هذا الموضوع على ثلاثة نقاط رئيسية وهي ؛ تعدد الكون، وخلق الكون، . وتدبير شؤون الكون.

وقـد اختلفت الاراء الفلسفية حول هذه المـواضيع الثلاثة بشكل شاسع فمنهم من قال بأن هناك كونين والقسم الآخر ادعى بوجود كون واحد فقط، وهو مانحسه ونراه. ومنهم من نادى بقدم الكون مخالفا بذلك الذين يقولون بحدوث الكون. اما بالنسبة الى تصريف شؤون هذا الكون فمنهم من ادعى بأن الكون هو الذي يسيطر على ذاته دون حاجة الى قوة اخرى تقوم بتدبير شؤونه، وهذا يخالف الطرف الآخر الذي نادى بوجود قوة مسيطرة على هذا الكون.

يعتقد افلاطون أن هذا الكون الذي نستطيع ان نحسه بأحاسيسنا، ليس هو الكون الحقيقي، ولكنه صورة عن الكون الحقيقي (عالم المثل والافكار). وفي ضوء ذلك، فانه شبه العالم الحقيقي بأنه مجموعة من الاشجار المثالية تنبع كل هذه الاشجار من شجرة رئيسية تتصف بأنها كاملة متكاملة لا تتغير ولا تفنى حيث انها موجودة منذ الأزل.

كمـا يعتقـد افلاطون بأن كل ما يحدث فهو يحدث بالضرورة عن علة،

والعالم حادث قد بدأ من طرف أول، لأنه محسوس وكل محسوس فهو خاضع للتغيير والحدوث.

ويرى ارسطو ان العالم واحد ولا يمكن ان يكون هناك غير هذا العالم، وان هذا الكون المحسوس هو الكون الحقيقي، لأن الجهات التي تتحرك العناصر اليها هي الجهات المطلقة، فكل مادة يجب ان تتجه اليها، اي تتحد بمادة هذا العالم، وكل أثير يجب ان يتحرك حول مركز هذا الكون.

كما أن أرسطو نادى بقدم العالم.«العالم قديم بمادته وصورته وحركته وانواع موجوداته، لا يكون ولا يفسد فيه سوى جزئيات الانواع»[١]

يرى ابيقورس ان «لكل شيء ضد يحقق المعادلة في الوجود، فلا بد ان يقابل الوجود الفاني المتألم وجود دائم سعيد»[٢]

بينما يرى زعماء الفلسفة الطبيعية بأن هناك كونا واحدا هو ما نحسه بأحاسيسنا قائم بذاته دون تدخل من اي قوة اخرى، وهذا تقريبا ما نادى به جورج بيركلي (George Berkley) أحد زعماء الفلسفة البراجماتية، حيث قال بأنه لا يوجد شيء في هذا العالم لا يمكن احساسه واي شيء لا يمكن احساسه فانه غير موجود، وهذا في الواقع ما استقر في اذهان اقطاب الفلسفة الشيوعية في نظرتهم للكون.

بينما نرى أن أحد زعماء الفلسفة البراجماتية وهو جون لوك (John Lock) يعتقد أن المعلومات البشرية عن الكون تأتي عن طريق الاحاسيس، وان هناك عالما حقيقيا من الصعب علينا نحن البشر تحديده.

والجدير ذكره في هذا المقام ان الذين نادوا بقدم الكون كانت حجتهم أن هذا الكون قد انبثق من علته الاساسية وهي علة العلل دون ارادة هذه العلة

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص١٤٨.

(٢) نفس المصدر ص ٢١٨

الاساسية، لذلك فانهم يرون بأن هذا الانشطار عن العلة الاساسية قديم جدا. كما أن الذين ذهبوا للقول بحدوث العالم لم يعتقدوا بأن الخالق لهذا الكون قد خلقه كما هو واضح في الكتب السماوية من حيث كيفية الخلق وسببه.

بعد أن تعرفنا على خلاصة ما غصت به بطون الكتب الفلسفية من تأملات، وتكهنات، وتحليلات، وتخرصات أقطاب تلك الفلسفات البشرية، فاننا لا بد من ان نعطف نظرنا الى ما جاء في المدرسة الاسلامية من معلومات صادقة دقيقة حول هذا الموضوع.

اما بالنسبة الى الاساسية الاولى في هذا الموضوع والتي تتعلق بخلق الكون، فان الحق سبحانه وتعالى يقول في كتابه المكنون ما يكشف لنا نحن البشر عن جميع ما يدور حول هذه الاساسية ليعلم الانسان امورا لم يكن بوسع الانسان ان يعلمها خلا من طريق الكتب السماوية المقدسة، وما بعث الله للانسان من انبياء ورسل.

قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ (1)

قال تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (2)

---

(١) سورة البقرة آية ٢٩.

(٢) سورة الاعراف آية ٥٤.

قال تعالى :

﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١) ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)﴾ (١)

قال تعالى :

﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ (٣٦)﴾ (٢)

وايماءة الى الاساسية الثانية التي تتعلق بتصريف امور الكون البديع الباهر في الدقة والتنظيم، فان الحق سبحانه وتعالى يخبرنا عن ذاته بأنه الخالق، والمسيطر، والمدبر لشؤون هذا الكون، والقاهر فوق عباده، ولو كره جميع هذه الحقائق كل من وشجت عروقهم على الزيف والضلال والافتئات على الحقائق السافرة لانسجام هذا السلوك المضاد للحق والحقيقة، مع ما يختلج نفوسهم من حب الشهوات، والابتعاد عن كل قانون خُلقي واجتماعي ينظم ممارسة هذه الشهوات الحيوانية. وتبدو سيطرة الله سبحانه وتعالى على الكون بوضوح اشراقة الشمس لكل انسان منيب في قوله عز من قائل في كتابه المكنون في الآيات الكريمة التالية :

قال تعالى :

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾ (٣)

---

(١) سورة الانعام آية ١٠١-١٠٢.

(٢) سورة يس آية ٣٦ (٣) سورة يس آية ٣٧-٤٠

قال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (١)

قال تعالى :

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيۡفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوۡ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنٗا ثُمَّ جَعَلۡنَا ٱلشَّمۡسَ عَلَيۡهِ دَلِيلٗا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضۡنَٰهُ إِلَيۡنَا قَبۡضٗا يَسِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا وَٱلنَّوۡمَ سُبَاتٗا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورٗا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴿٤٨﴾ لِّنُحۡـِۧيَ بِهِۦ بَلۡدَةٗ مَّيۡتٗا وَنُسۡقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقۡنَآ أَنۡعَٰمٗا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرٗا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٥٠﴾﴾ (٢)

---

(١) سورة الانعام آية ٩٥-٩٩

(٢) سورة الفرقان آية ٤٥-٥٠

قال تعالى :

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾﴾ (١)

وجدير أن نذكر ما قاله العالم الجليل سيد قطب رحمه الله في موضوع جعل الارض ذلولا للبشر.

«والناس لطول الفتهم لحياتهم على هذه الارض، وسهولة استقرارهم عليها، وسيرهم فيها، واستغلالهم لتربتها ومائها وهوائها وكنزها وقواها وارزاقها جميعا. . ينسون نعمة الله في تذليلها لهم وتسخيرها. والقرآن يذكرهم هذه النعمة الهائلة، ويبصرهم بها في هذا التعبير الذي يدرك منه كل أحد وكل جيل بقدر ما ينكشف له من علم هذه الارض الذلول.

والارض الذلول كانت تعني في اذهان المخاطبين القدامى، هذه الارض المذللة للسير فيها بالقدم وعلى الدابة، وبالفلك التي تمخر البحار. والمذللة للزرع والجني والحصاد، والمذللة للحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والانبات.

وهي مدلولات مجملة يفصلها العلم ـ فيما اهتدى اليه حتى اليوم ـ تفصيلا يمد في مساحة النص القرآني في الادراك.

فمما يقوله العلم في مدلول الارض الذلول: إن هذا الوصف: ذلولا الذي يطلق عادة على الدابة، مقصود في اطلاقه على الارض، فالارض هذه التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة، هي دابة متحركة. . بل رامحة راكضة مهطعة، وهي في الوقت ذاته ذلول لا تلقي براكبها عن ظهرها، ولا تتعثر خطاها، ولا تخضه

(١) سورة الملك آية ١٥-١٧

وتهزه وترهقه كالدابة غير الذلول. ثم هي دابة حلوب مثلما هي ذلول.

ان هذه الدابة التي نركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة، ثم تدور مع هذا حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة. ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسية كلها بمعدل عشرين الف ميل في الساعة، مبتعدة نحو برج الجبار في السماء، ومع هذا الركض كله يبقى الانسان على ظهرها آمنا مستريحا مطمئنا معافى لا تتمزق أوصاله، ولا تتناثر أشلاؤه، بل لا يرتج مخه ولا يدوخ، ولا يقع مرة عن ظهر هذه الدابة الذلول.

وهذه الحركات الثلاث لها حكمة. وقد عرفنا أثر اثنتين منها في حياة هذا الانسان، بل في الحياة كلها على ظهر هذه الارض. فدورة الارض حول نفسها هي التي ينشأ عنها الليل والنهار. ولو كان الليل سرمدا لجمدت الحياة كلها من البرد، ولو كان النهار سرمدا لاحترقت الحياة كلها من الحر. ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول. ولو دام فصل واحد على الارض ما قامت الحياة في شكلها هذا كما ارادها الله. أما الحركة الثالثة فلم يكشف ستار الغيب عن حكمتها بعد. ولا بد أن لها ارتباطا بالتناسق الكوني الكبير.

وهذه الدابة الذلول التي تتحرك كل هذه الحركات الهائلة في وقت واحد، ثابتة على وضع واحد في اثناء الحركة يحدده ميل محورها بمقدار ٢٣٫٥° لأن هذا الميل هو الذي تنشأ عنه الفصول الأربعة مع حركة الارض حول الشمس، والذي لو اختل في اثناء الحركة لاختلفت الفصول التي تترتب عليها دورة النبات بل دورة الحياة كلها في هذه الحياة الدنيا.

والله جعل الارض ذلولا للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم اليها في اثناء حركاتها الكبرى، كما جعل لها ضغطا جويا يسمح بسهولة الحركة فوقها. ولو كان الضغط الجوي أثقل من هذا لتعذر أو تعسر على الانسان أن يسير ويتنقل حسب درجة ثقل الضغط فأما ان يسحقه أو يعوقه. ولو كان اخف لاضطربت خطى الانسان او لانفجرت تجاويفه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء حوله

كما يقع لمن يرتفعون في طبقات الجو العليا بدون تكييف لضغط الهواء.

والله جعل الارض ذلولا ببسط سطحها وتكوين هذه التربة اللينة فوق السطح. ولو كانت ضمورا صلدة كما يفترض العلم بعد برودها وتجمدها لتعذر السير فيها ولتعذر الانبات. ولكن العوامل الجوية من هواء وامطار وغيرها هي التي فتّتت هذه الصخور الصلدة، وأنشأ الله بها هذه التربة الخصبة الصالحة للحياة. وأنشأ ما فيها من النبات والأرزاق التي يحلبها راكبو هذه الدابة الذلول.

والله جعل الأرض ذلولا بأن جعل الهواء المحيط بها محتويا العناصر التي تحتاج الحياة اليها، بالنسبة الدقيقة التي لو اختلفت ما قامت الحياة، وما عاشت إن قُدِّر لها ان تقوم من الاساس. فنسبة الاكسجين فيه هي ٢١٪ تقريبا ونسبة الأزوت او النيتروجين هي ٧٨٪ تقريبا والبقية من ثاني اكسيد الكربون بنسبة ثلاثة اجزاء من عشرة آلاف وعناصر اخرى. وهذه النسب هي اللازمة بالضبط لقيام الحياة على الارض.

والله جعل الارض ذلولا بآلاف من هذه الموافقات الضرورية لقيام الحياة، ومنها حجم الارض وحجم الشمس، وسمك قشرة الارض، ودرجة سرعتها، وميل محورها، ونسبة توزيع الماء واليابس فيها، وكثافة الهواء المحيط بها.. الى آخره.. الى آخره.. وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الارض ذلولا، وهي التي جعلت فيها رزقا، وهي التي سمحت بوجود الحياة، وبحياة هذا الانسان على وجه خاص.

والنص القرآني يشير الى هذه الحقائق ليعيها كل فرد وكل جيل بالقدر الذي يطيق، وبالقدر الذي يبلغ اليه علمه وملاحظته، ليشعر بيد الله، الذي بيده الملك - وهي تتولاه وتتولى كل شيء حوله، وتذلل له الأرض، وتحفظه وتحفظها. ولو تراخت لحظة واحدة عن الحفظ لاختل هذا الكون كله وتحطم بمن عليه وما عليه»[١]

(١) ظلال القرآن، الجزء السادس، صفحة ٣٦٣٧-٣٦٣٨

أما بالنسبة الى الاساسية الثالثة والأخيرة التي تتعلق بتعدد الكون فيبدو ذلك واضحا من الآيات القرآنية الكريمة بأن هناك عالما محسوسا يمكن رؤيته والتبصر والتفكر في كيفية خلقه بهذه الصورة البديعة المتناهية في الدقة، كما يمكن التفكر في تخطيطه وتنظيمه، وتصريف شؤونه بهذه الكفاءة السامقة. ان هذا العالم المحسوس يعتبر بمثابة الآيات الدالة على وجود عالم آخر، علاوة على كونه دار الابتلاء والامتحان لجميع الناس من اجل الفوز او الخسارة في الدار الآخرة التي تمثل العالم غير المحسوس (عالم الغيب). وهذا الكون غير المحسوس لا يمكن رؤيته بأي طريقة كانت الا بعد الانتقال من دائرة العالم المحسوس.

نعم، يُعدُّ هذا الكون المحسوس فوزا للذين يعقلون كنهه من خلال التبصر والتفكر فيه وينيبون لله سبحانه حيث تنعكس تعليمات المولى عز وجل في افكارهم، واعتقاداتهم وسلوكهم في جميع الامور الحياتية. وقد يكون هذا الكون بما فيه خسارة للذين يؤثرون الهوى على الدين، حيث وشجت عروقهم على الزيف والضلال، وأصبح همهم الوحيد اتباع ما تشرئب له النفوس البشرية من تلبية النزعات والشهوات الحيوانية دون الالتفات او الامتثال لتعليمات الحق سبحانه وتعالى. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى ان نبصر ونتفكر في خلقه بما يتعلق بالعالم المحسوس في آيات كثيرة نذكر منها الآيات التالية:

قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ (١)

---

(١) سورة البقرة آية ١٦٤

قال تعالى

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾[1]

قال تعالى

﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ﴾[2]

قال تعالى

﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾[3]

اما بالنسبة للآيات التي تدل على أن هذا الكون المحسوس هو بمثابة الاختبار للنجاح في العيش بأمن وسلام في جنات الخلود واما الخسران المبين والعيش في نار جهنم في عالم الغيب (غير المحسوس).

نذكر من هذه الآيات على سبيل المثال وليس الحصر ما يلي :

---

(١) سورة يس آية ٣٧-٤٠.

(٢) سورة ق آية ٦-٨.

(٣) سورة الغاشية آية ١٧-٢٢.

قال تعالى :

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ (1)

قال تعالى

﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ (2)

قال تعالى

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾ (3)

قال تعالى

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٧٣﴾ (4)

كما اخبرتنا الآيات القرآنية الكريمة عن بعض المشاهد الغيبية المتصلة بالكون غير المحسوس (العالم الآخر) منذ لحظة الانطلاق من دائرة العالم المحسوس (الدنيا) الى العالم غير المحسوس (الآخرة)، وذكر بعض ما يجري لكل من استحق دخول الجنة بسلام، ولكل من كان موئله النار. ومن الاهداف

---

(١) سورة هود آية ٧.

(٢) سورة الملك آية ٢.

(٣) سورة الكهف آية ٧ـ٨.

(٤) سورة الانعام آية ٧٣.

التي تسعى هذه الآيات التي تحدثنا عن بعض الامور المتصلة بالعالم الآخر الى تحقيقها، هو اضفاء جو من الطمأنينة والبشرى للمؤمنين بأن لهم حسن العاقبة وجنات النعيم بما تحتوي عليه من مستقبل زاهر، وفي المقابل النذير، والتهديد، والوعيد لكل من ابتعد ونأى بجانبه عن النور السماوي المبين. وبما انه ليس بالامكان ان نتطرق او نعرض جميع تلك الآيات والمشاهد المتعددة لضيق صفحات هذا الكتاب عن ان تتسع لذلك، وخوفا من الخروج عن الخطوط العريضة لهذا الكتاب، فاننا سوف نكتفي بعرض بعض من المشاهد للتدليل وليس للحصر على ثبوت وجود الكون الآخر ومصداقيته وبأنه يمثل دار الخلود والهدف الأسمى لكل عبد شكور يود أن يفوز برضى الله سبحانه وتعالى في تلك الحياة الخالدة عن طريق العمل والاعداد لذلك اليوم بما يتفق مع النور السماوي المبين.

قال تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧)﴾ (١)

وسوف نكتفي بعرض ستة مشاهد للعالم الآخر أدلة سافرة لوجوده:

المشهد الاول، ويمثل فترة الاحتضار التي تعد بداية الانطلاق من العالم المحسوس (الدنيا) الى العالم غير المحسوس (الآخرة)، ويبدو ذلك جليا في قوله تعالى:

﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)﴾ (٢)

---

(١) سورة القصص آية ٧٧.

(٢) سورة القيامة آية ٢٦-٣٠.

يقول سيد قطب رحمه الله «وقد سار القرآن في تصوير المشهد على نسق خاص، ذلك انه عرض مشهد الاحتضار - الذي سيأتي - كأنه حاضر الآن، ثم جعل الحياة - وهي حاضرة - كأنها من ذكريات الماضي، ليرى هذا الذي التفّت منه الساق بالساق من الهول والرعب، أو من الداء والألم، وبلغت روحه التراقي، وتساءل من تساءل: ألا من راقٍ يرقيه ويرفع عنه هذه الحال، وتوقع هو أنه مفارق هذه الدنيا وما فيها. . . ليرى صورته هذه، ويستحضر في خياله صورته الأخرى، وهو يكذّب ويتولى ويذهب الى أهله يتمطى، تيها وكبرا. . وبينما هو يستعرض الصورتين على هذا التقديم والتأخير، يفاجأ بأنه هناك في الآخرة، فلا وقت للاستعراض. فان «الى ربك يومئذ المساق»[1]

أما المشهد الثاني فيشتمل على اللحظات الاولى للروح البشرية في انتقالها من عالم الشهادة الى عالم الغيب. فعندما تُنتزع الروح من قبل ملائكة الموت يُصعد بها الى السماء الدنيا. وفي الوقت الذي تُفتح فيه ابواب السماء الى النفس المنيبة الخيّرة، فانها لا تفتح ابوابها للنفس المكابرة الشريرة.

قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾[2]

قال رسول الله ﷺ: «إن العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل اليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم أكفان من كفن الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس

---

(١) مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ص٨٠

(٢) سورة الاعراف آية ٤٠.

الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من السقاءِ وإن كنتم ترون غير ذلك فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط، فتخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة الا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فتفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى به الى السماء السابعة فيقول الله: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها أُعيدهم ومنها أُخرجهم تارة أخرى فيعاد روحه في جسده.

فيأتيه الملكان (داخل القبر) فيجلسان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول ديني الاسلام فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول رسول الله، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول, قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوه من الجنة وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذي يسرك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع الى أهلي ومالي.

قال: وان العبد الكافر اذا كان في اقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب فيغرق في جسده فينتزعها كما يُنتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها. فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا: ما هذا

الروح الخبيث؟ فيقولان: فلان بن فلان بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا فيستفتح فلا تفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ «لا تُفتّح لهم ابواب السماء».

فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى فيطرح روحه طرحا. ثم قرأ رسول الله ﷺ: «من يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق».

فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسان فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، هاه، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه، هاه، لا أدري فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فافرشوا له من نار، وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه القبر حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك، هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من أنت؟ فوجهك يجيء بالشر فيقول: انا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة»[1]

اما بالنسبة الى المشهد الثالث فيشمل نهاية الكون المحسوس وانفراط نظامه وحركته، والانتقال الكلي لجميع المخلوقات الى العالم الآخر الذي رُفعت عنه الحجب بقدرة الله سبحانه وتعالى ليصبح محسوسا للناس. ففي هذه اللحظات الانتقالية تختلف جميع المشاهد الكونية ليرى الانسان بأم عينيه جميع ما وعد به من مشاهد اليوم الآخر. فاذا بالقمر يخسف ويقترن بالشمس بعد افتراق، واذا الاموات تخرج من القبور والنجوم تطمس وتنكدر، والجبال تنسف وتسير كالعهن المنفوش، وتزلزل الارض لتلقي بكل ما في داخلها، والسماء تكشط، والبحار تُفجّر والى غيرها من المشاهد الكونية التي سوف تقع في تلك اللحظات. وسوف نعرض بعضا من الآيات القرآنية الكريمة دليلا ساطعا لما سيحدث في هذا المشهد من اليوم الآخر.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، الجزء الثامن، ص ١٣٧-١٣٨.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قال تعالى :

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ (١)

قال تعالى

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾﴾ (٣)

قال تعالى

﴿إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ (٤)

قال تعالى

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ (٥)

---

(١) سورة الحاقة آية ١٣-١٧ .

(٢) سورة الانفطار آية ١-٥

(٣) سورة الانشقاق آية ١-٥ .

(٤) سورة الواقعة ، آية ٤-٧ .

(٥) سورة المعارج آية ٨-١٤ .

واشارة الى المشهد الرابع ، فانه يشتمل على بعض من الحوار الذي سيدور بين اصحاب الجنة وأصحاب النار بعد ان عرف كل طرف موئله الأخير في العالم الآخر. وسوف نعرض اولا بعض الكلام الموجه من اصحاب الجنة الى اصحاب النار.

قال تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (1)

اما بالنسبة الى النداء الموجه من اهل النار الى أهل الجنة فيبدو ذلك ظاهرا في قوله تعالى :

﴿ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ ۚ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۚ فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ (2)

والمشهد الخامس يعرض بعضا من سمات الذين ربحت تجارتهم في الحياة الدنيا وانابوا واستقاموا على الحق الذي جاء به الانبياء من عند ربهم. فتجد الوجوه المستبشرة، والضاحكة، والناظرة الى ربها، والناعمة، والمطمئنة الى لقاء الله سبحانه وتعالى. وفي المقابل نجد الذين خسرت تجارتهم في الحياة الدنيا لايثارهم الهوى وما تتوق اليه النفس البشرية على النور السماوي

---

(1) سورة الاعراف، آية ٤٤-٤٥.

(2) سورة الاعراف آية ٥٠-٥١.

المبين وتوجيهاته الغراء ونهجه القويم. فوجوه هؤلاء القوم في اليوم الآخر تكون كالحة، وباسرة، وناصبة وذليلة، وترهقها قترة خوفا من لقاء الرحمن الرحيم. ومن الذي يخشى لقاء الرحمن سوى الانسان الظلوم الجهول، المكابر، الذي يقبل كل شيء ويُقبل عليه سوى الحق والحقيقة. وسنعرض بعضا من الآيات الكريمة التي تصف كلا الطرفين.

قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ (١)

قال تعالى

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ (٦) لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ (٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ (٨) لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠)﴾ (٣)

والمشهد السادس والأخير يبين ما يؤول اليه مصير كلا الطرفين في عالم الخلود (العالم الآخر). فالطرف الذي اناب واستقام على النهج الالهي، اولئك هم حزب الله الذين أُزلفت لهم الجنة بكل ما تحتوي عليه من نعم متعددة. والطرف الثاني، الذي ادبر واستكبر عن آيات الله ونهجه القويم، فهم حزب الشيطان الذين سوف يساقون اليها وردا حيث العذاب المهين بكافة انواعه المتعددة.

---

(١) سورة القيامة آية ٢٢-٢٥

(٢) سورة عبس آية ٣٨-٤٢

(٣) سورة الغاشية آية ٢-١٠

قال تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ (١)

قال تعالى

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُإِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْـَٔاخِرِينَ

---

(١) سورة الحاقة آية ١٩-٣٧

﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾ (١)

وخلاصة القول في هذا الموضوع ان هناك اختلافا شاسعا بين قول الحق سبحانه وتعالى وما ادعاه الفلاسفة حول هذا الموضوع. فشتان، شتان ما بين قول الخالق لكل شيء وقول المخلوق الذي اراد أن يرجم الغيب ويتحذلق بمكنوناته. اما بالنسبة الى المشاهد الستة وما احتوت عليها من آيات كريمة فهي تمثل بعض ما ينطوي عليه الفكر الاسلامي، وقد اكتفينا بابراز هذه المشاهد بما احتوت من آيات كريمة كأدلة ساطعة على بطلان ما دعى اليه الفلاسفة وتوضيح قسم من الحقائق المتصلة بطبيعة الكون، التي قد اضلها الفلاسفة. وللقارىء العزيز ان يقارن بين كلام الله سبحانه وتعالى وما جاء به الفلاسفة على اختلاف جنسهم ونهجهم الفلسفي، آملين للقارىء الكريم التوفيق والنجاح في الوصول الى الحق والحقيقة.

---

(١) سورة الواقعة آية ١٠-٥٦.

الفصل الثالث عشر

الإنسان والخلود

- مقدمة
- المفهوم الفلسفي للروح والخلود
  - انكار الخلود
  - خلود الروح
  - الروحية الحديثة
- المفهوم الإسلامي للروح
  - الروح الطيبة
  - الروح الخبيثة
- البرزخ
  - مدة البرزخ
  - مكان البرزخ
  - العذاب والنعيم في البرزخ
  - سبل الاتصال بين الاحياء والاموات
  - كينونة الانسان في البرزخ
- البعث
  - المفهوم الانساني للبعث
  - المفهوم الإسلامي للبعث

بسم الله الرحمن الرحيم

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا
يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ

سورة الجاثية (٢٤ - ٢٦)

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ
مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ
وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ
هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا
وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾

سورة الحج (٥ - ٧)

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ
الْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ
فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سورة الحجر (١١ - ١٥)

وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾
بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ
هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾

سورة الانعام (٢٧ - ٢٩)

الإنسان والخلود

على الرغم من أن الله سبحانه وتعالى بعث نوره المبين الى الانسان منذ ولادة تاريخه، والحقائق الجمة الشاملة التي ينطق بها النور السماوي السامق، ومـا ينطوي عليه من نسائم الهدى والرحمة وشآبيب البركات للانسان في كلا الدارين، إلا أن الانسان بما وشج عليه من طبائع وغرائز ادبر واستكبر عن هذا النور المبين بعد أن كذّب وانكر، فقد ذهب الانسان ليبحث عن الامور والحقائق التي تناسب اهواءه الذاتية منكراً وملحداً بكل حقيقة لا تتفق مع هواه الانساني وقد اخبرنا الله سبحانه وتعالى في أكثر من موقع في كتابه المكنون ان الانسان كفار للحق وللحقيقة نذكر منها هنا للتدليل فقط الآيات التالية:

قال تعالى

﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ (1)

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍۢ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍۢ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (2)

---

(1) سورة عبس آية ١٧.

(2) سورة الكهف آية ٥٤

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾[1]

فالحقيقة البارزة ان الانسان عندما انكر الحقائق التي يفوح بها النور المبين وقاوم رسل الله سبحانه وتعالى بشتّى الطرق والاساليب التي عرفت لديه، ليس لان هذا النور المبين يعوزه الحجج والبراهين القاطعة الدالة على مصداقيته، والآيات المبينة حقيقته ولكن الانسان يريد أن يتحرر من الضوابط الخلقية والاجتماعية والسلوكية والشهوية التي يقررها هذا النور على اتباعه من الانس.

لذلك ذهب الانسان يبحث عن الامور الاساسية التي تتعلق بحقيقة وجوده بعد ان اعرض عن النور المبين. ومن أبرز القضايا التي واجهت الانسان منذ فجر تاريخه؛ مشكلة الموت، لما لهذه المشكلة من آثار عظيمة على بقية اسرار الوجود الانساني، فقد حاول الانسان في حقبة من تاريخه ان يجد حلاً لهذه المشكلة العاتية ولكن كان مصير كافة المحاولات الفشل الذريع، وستبقى هذه المشكلة من الآيات الكبرى الدالة على صدق النور السماوي المنير.

قال تعالى

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾[2]

(١) سورة الاسراء آية ٨٩

(٢) سورة ق آية ٣٦-٣٧

وبعـد أن فشـل الانسان في التحلل والهروب من الموت، انقسم الفكر الانسـاني حول مشكلة الموت الى قسمين. فالقسم الأول عدّ الموت محطة اخيرة للانسـان ولا يوجد بعدها شيء، وانها الفناء الحتمي للانسان. والذين ذهبـوا الى هذا القـول الفـلاسفـة الـطبيعيون، والـوجـوديون، والنفعيون، والشيعيون، وكفـار العـرب. وسـوف نعـرض بعضـاً من النماذج البشرية في مخاطبتهم رسل الله سبحانه وتعالى واستبعادهم وانكارهم كل شيء ممكن ان يحـدث للانسـان بعد الموت، ولنرى كيف واجه الحق هذه الاقاويل الضالة بالحجج والبراهين الدامغة.

قال تعالى

﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ (٣٥) ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ (٣٦) إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٣٧) إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ (٣٨) قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ (٣٩) قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ (٤٠) فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤١) ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)﴾ (١)

قال تعالى

﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ (٨١) قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٨٢) لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٨٣) قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٤) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٨٥) قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (٨٦) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٨٧) قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ (٨٩) بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (٢)

---

(١) سورة المؤمنون آية ٣٥ـ٤٢

(٢) سورة المؤمنون آية ٨١ـ٩٠

قال تعالى

وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٢٤) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٢٥) قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) [1]

قال تعالى

وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا [2]

قال تعالى

بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ (٢) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ (٣) قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ [3]

قال تعالى

وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ (٥٦) [4]

---

(١) سورة الجاثية آية ٢٤ـ٢٦

(٢) سورة مريم آية ٦٦ـ٦٨

(٣) سورة ق آية ٢ـ٤

(٤) سورة الواقعة آية ٤٧ـ٥٦

قال تعالى

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ (٥) ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ (٧) (١)

قال تعالى

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) ۞ قُلْ كُونُواْ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) (٢)

قال تعالى

وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ (١١) كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ (٣)

قال تعالى

وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ (٢٧) بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ (٢٨) وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) (٤)

---

(١) سورة الحج آية ٥ـ٧

(٢) سورة الاسراء آية ٤٩ـ٥١

(٣) سورة الحجر آية ١١ـ١٥

(٤) سورة الانعام آية ٢٧ـ٢٩

إن الحق سبحانه وتعالى اجاب هؤلاء الذين انكروا الحياة بعد الموت والغيب وما يتصل به من حقائق بعدة اساليب مختلفة ومتنوعة ليعقل هؤلاء المنكرون كلٌّ حسب طاقاته العقلية ومقدار الحاده بالامور الغيبية، انه سبحانه وتعالى ذكرهم ونبههم الى مصير الانسان قبل ان يُخلق انه لم يكن شيئاً مذكوراً، سواء اكان هذا الوجود جسماني أو روحاني، وبالرغم من هذا العدم فأنه خلق الانسان بمراحل الخلق المختلفة من تراب، وماء مهين مروراً بالمضغة والعلقة حتى يُردُّ قسم منهم الى ارذل العمر. وهذه كلها دلائل ناصعة على ان الخلق بعد الموت اسهل من الخلق من العدم. هذا بجانب ان الحق سبحانه وتعالى ذكرهم بأن كل ما يفقد من الاجساد داخل الأرض موجود في كتاب حفيظ لكل هذه المتغيرات وما يُفنى منها أو يتحلل. زيادة على هذا فان الله سبحانه وتعالى ضرب لهم مثلاً الارض الهامدة وكيفية احياء النباتات فيها عن طريق نزول الماء نموذجاً حياً لقدرة الله سبحانه وتعالى على احياء الاشياء الهامدة والتي لا تملك مقومات الحياة أو البعث في نظر الانسان. أضف الى هذه الآيات انزال العقوبة على أحد الأقوام المنكرة للبعث كدليل جازم على عدم صدقهم وبعدهم عن الحقيقة.

وقد تحدى الحق سبحانه وتعالى هؤلاء المنكرين للبعث ان يكونوا كما يريدون من الاشياء التي يصعب بعثها من وجهة نظرهم، ولكنهم سوف يبعثون بقدرة الخالق سبحانه وتعالى. كما اخبرنا الحق عن حقيقة هؤلاء المنكرين للحق والحقيقة انهم لو فتح لهم باب من السماء ليشاهدوا عين اليقين كل أو بعض مكنونات الغيب واسراره لما آمنوا بالغيب وما يتصل به من حقائق. كما انهم لو شاهدوا بأعينهم مصيرهم في جهنم وتم اعادتهم للحياة الأولى بناءً على امنياتهم ليؤمنوا بالغيب وما يتصل به من حقائق، لما آمنوا بل يعودون ثانية ليقولوا؛ إن هي إلّا حياتنا الأولى.

أما القسم الآخر من الفكر الانساني فيحتوي على ما ذهب اليه فيثاغورس، وسقراط، وافلاطون، وارسطو، وفلاسفة الشرق، حيث اعتقدوا جميعهم بأن

الموت يعد نهاية حتمية للجسد الانساني فقط، اما الروح فانها لا تتحلل، ولا تفسد، ولا تموت، بل انها تعيش خالدة دون ان تمثُل للحساب أو العقاب، لان صفة الخلود من طبيعة هذه الروح.

ومما يؤسف له كثيراً ان فلاسفة الشرق الذين ترعرعوا في ديار إسلامية اعتقدوا بما جاء به فلاسفة اليونان حول هذا الموضوع. يقول الآلوسي: «اما فلاسفة الإسلام فقد ذهبوا الى رأي مخالف لجمهور المسلمين، فقد قرروا أن الاعادة روحية فقط وليست مادية، وهذا راجع الى انهم ميزوا بين النفس والبدن، أو بين الروح والجسم، على اساس ان الروح هي الجوهر والبدن هو العرض اللاحق له. ونحن نعلم ان الاعراض تزول اما الجوهر فلا. اذن المعاد هنا ليس إلا عودة الجوهر الروحي. أما البدن أو ان شئت مجموعة الاعراض، فلن تعاد لانها تحللت وفسدت، ولا يمكن اعادة ما قد تحلل وفَسَد»[1].

إن هذا الاعتقاد الخطير الذي يخالف ما يربو على ستة وثلاثين مشهداً اقل مشهدفيها يحتوي على آية كريمة، جميعها تتحدث عن البعث الروحي والجسدي معاً، وليس هذا بالأمر العجيب طالما عرفنا ان المثل الاعلى عند كل من الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد هم فلاسفة اليونان.

«إن المثل الاعلى عند الكندي هو سقراط شهيد الوثنية في اثينه، وقد الف كتباً كثيرة حول سقراط وحول محنته وآرائه، وهو يحاول التوفيق بينه وبين ارسطو على طريقة أهل المذهب الافلاطوني الجديد... والكندي اول من أخذ بمذهب أرسطو وحذا حذوه في تأليفه... ويعزز هذا ما يقوله الكندي من ان العالم غير متناهٍ بالقوة ولا بالفعل، وان الحركة لا نهاية لها»[2].

«يرى الفارابي أن افلاطون وأرسطو انما يختلفان في المنهج، وفي العبارة اللغوية، وفي السيرة العملية لكل منهما؛ أما مذهبهما الفلسفي فواحد. وهما

---

(١) الفلسفة الاسلامية في المشرق ص ٣٤٣

(٢) تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٨٩

عنـد الفـارابي إمـامان للفلسفة. ولما كان الفارابي يرى ان كلا من افلاطون وأرسطو مفكر مبتكر مستقل كان اجماعهما على رأي اوثق، في نظره من عقيدة الامة الإسلامية جمعاء، اذ تقلد إماماً واحداً وتنقاد له انقياداً اعمى»[1].

اما ابن رشد الذي كان يقوم بتأويل الآيات القرآنية لتتفق مع ارسطو واراثه كان يرى ان أرسطو هو الانسان الأكمل والمفكر الاعظم الذي وصل للحق الذي لا ينتابه الباطل.

«وقد عاش ابن رشد معتقداً ان مذهب ارسطو، اذا فُهم على حقيقته، لم يتعارض مع أسمى معرفة يستطيع ان يبلغها إنسان؛ بل كان يرى ان الانسانية في مجرى تطورها الأزلي، بلغت في شخص أرسطو درجة يستحيل ان يسمو عليها أحد»[2].

وقد هبت نسائم هذا الفكر الانساني حديثاً تحت عنوان الروحية الحديثة حيث ادعت ان العالم الروحي لم يَعُد محجوباً عن الانسان، اذ بامكان الانسان ان يعرف الكثير عن طريق المشاهدة والاتصال بالارواح بعد أن كشفت الابحاث والتجارب الروحية على ايدي كبار العلماء عن طبيعة وأسرار وخفايا هذا العالم الروحي (الاثيري).

وقد ذهب دعاة الروحية الحديثة برجم الغيب دون هوادة فقد تحدثوا عن طبيعـة وأسـاليب الحياة، وشخصية الانسان، وانظمة الحكم، وأسس الحياة الاجتماعية، والثواب، والعقاب، وحيز ووزن الروح، وأساليب التسلية، ونوعية الالعاب الرياضية في العالم الروحي.

«يرى دعـاة الـروحية الحديثة أن للانسان جسدين، احدهما هو الجسد المـادي الذي يفنى بالموت ويتحلل إلى تراب، وثانيهما هو الجسد الأثيري

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٠-٢٠١

(٢) المصدر السابق ص ٣٨٥-٣٨٦

الذي ينتقل بالموت الى عالم أثيري جديد يختلف تماماً عن العالم الدنيوي الذي نحياه. ويسمون هذا العالم الاثيري الجديد «عالم الروح» حيث تستمر فيه الحياة الروحية، وتلقى فيه الروح ثوابها وعقابها»(١).

ويرى جيمس فندلاي وهو من دعاة الروحية الحديثة: ـ

«إننا نحن في هذه الدنيا الآن، أرواح تغلفنا اجسام فيزيقية، وأن الموت ما هو إلا انفصال الجسم الأثيري أو الروحي عن الغطاء الفيزيقي. والجسم الأثيري هو الجسم الحقيقي الباقي، وهو في شكله نسخة طبق الأصل من مقابله الفيزيقي. وعلى هذا الاعتبار يسهل علينا ان نفهم كيف انه بتوافر شروط خاصة لا نعرفها يستطيع هذا الجسم ان يغلف نفسه بمادة فيزيقية، ثم يعمل تحت رقابة العمل كما نعمل نحن أنفسنا»(٢).

ومثل ما لهذا التوجه من انصار، فان له معارضين اماطوا اللثام عن حقيقة هذا التيار، واظهروا للعيان جميع نقاط الضعف والتخبط التي يعج بها هذا التوجه.

«والواقع ان صانعي الروحية الحديثة ومروجيها لهم منطق خلاب جذاب في تدعيم دعاواهم ولفت الانظار اليها وجمع الانصار والاصدقاء حولها، فهم يدعمون دعاواهم بنصوص مما جاء في الكتب السماوية من المتشابه الذي يجازفون بتأويله حسب اهوائهم، ومن الواضح الصريح الدلالة الذي يحرفونه عن مواضعه بعد ان يبتروه من سياقه ويقطعوه عن مناسبته ويخرجوا الفاظه عن مدلولها جاهلين او مدلسين. وهم يدعمون هذه الدعاوى أيضاً بنصوص من المأثور في التاريخ عن السابقين الأولين من المجاهدين، والحواريين والصالحين بعد أن يخضعوه لمفاهيمهم ويقيسوه الى اشباه له مما ينسبونه لوسطائهم، مما جرت نظائره ولا تزال تجري على ايدي المشتغلين بالشعوذة

---

(١) الانسان روح لا جسد، د. رؤوف عبيد، دار الفكر العربي ـ القاهرة ـ ١٩٧١ ـ ص٤٩

(٢) Findlay A. James. On the Edge of the Etheric London. 1954. pp. 22

والطلاسم ولهم براعة فائقة في تدعيم ذلك كله بالعلم التجريبي الحديث وربطه بقواعده وإصوله، والاستعانة على ذلك بأجهزة والآت تضفي على اوكارهم ثوب الجد والوقار الذي ينبغي للبحث العلمي المنزه عن الاغراض والمحاط بالضمانات التي تدفع شبهة الغش والخداع. لذلك لم يكن عجيباً ان تجتذب دعاواهم كثيراً من الاسماء الضخمة الرنانة في الشرق وفي الغرب. . . فهي شعبة من الدعوات المريبة التي تأخذ الناس من كل جانب، والتي تلبس مختلف الاثواب وتخفي حقيقتها تحت مختلف الاسماء، محاولة بذلك أن تعطي كل الميادين وتتغلغل الى كل الاتجاهات وتقف للناس في كل سبيل. فهي تارة تنتحل اسم العلم، وهي في تارات اخرى تنتحل الثالوث الماسوني المشهور «الحرية والاخاء والمساواة» أو السلام، أو الرحمة، أو الانسانية، أو محاربة الالحاد والمادية، وهي أبعد شيء حقيقة وهدفاً عن كل ما تتستر تحته من اسماء وأغراض. . . أما البيّنة الكبرىٰ التي يطنطن بها الروحيون وهي تصوير الاشباح بآلة تصوير تلتقط صورهم في الاشعة تحت الحمراء، فمن المهم ان يعرف القارىء أن الذين يلتقطون هذه الصور المزعومة اشخاص معينون ممن يسمونهم «وسطاء» فهم وحدهم الذين يقومون بالتقاط الصور، وليس مسموحاً لغيرهم بأن يقوم بهذا العمل. وكل ما يسمح به للزائر المتشدد هو ان يشتري الالواح الحساسة ويضعها في آلة التصوير. اما آلة التصوير نفسها، وأما الذي يلتقط الصورة فلا سلطان له عليها ولا رقابة. على ان صور الاشباح الملتقطة والمزعوم أنها ارواح كلها صور غائمة. والروح يظهر فيها مغلفاً بثوب شفاف ابيض كثيف نوعاً ما بحيث يحجب قسمات الوجه واكثر تفاصيل الجسد. وليس بين الصور الملتقطة صورة واحدة يبدو فيها الوجه سافراً تماماً. فهو غائم بحيث يتعذر الاستدلال على صاحبه أو اقامة الحجة على مطابقة الصورة الملتقطة لبعض الوسطاء أو الاشخاص. . . إن المس الروحي الذي اشبعه الروحيون حديثاً وهو استحواذ روح شريرة مشاغبة لميت على احد الافراد. وإصابته بأمراض مؤذية ودفعه الى ارتكاب الجرائم وتعاطي المخدرات والمسكرات يدل على العجب في ان تظل هذه الأرواح الضالة الشريرة في قلقها واضطرابها حتى تنبهها دائرة

روحية في الحياة الدنيا! أليس الأولى بهذه المهمة سكان عالم الروح نفسه الذين يتولون قيادة هذه الدوائر الروحية، والذي يعالجون ساكني الأرض في حياتهم الدنيا ويرشدونهم؟

هل يعقل عاقل هذا الخلط الذي لا مبرر له؟ أرواح الموتى ترشد الاحياء، بينما الاحياء يرشدون ارواح الموتى! . . . فجاء هؤلاء الروحيون يزعمون أنهم يعالجون مرضى النفوس من الاموات أيضاً. اليست هذه المزاعم اشد فتكاً بالعقول وافساداً للمجتمع من تدخين الحشيش والافيون»[1].

وجدير بالذكر ان الروحية الحديثة ظهرت للوجود سنة ١٨٤٨ في احد قرى ولاية نيويورك. ومن اشهر من ساهم في نشر هذا الفكر الروحي الحديث «جون ادموندز» الرئيس السابق للمحكمة الامريكية العليا في ولاية نيويورك، وعالما الكيمياء «جيمس مابس» و «روبرت هير» عن طريق نشر المؤلفات والدراسات والابحاث حول الروحية.

والشيء العجيب ان دعاة الروحية ذهبوا في ابحاثهم وتخيلاتهم في البحث عن حقيقة الروح وهي في العالم الأثيري كما يدّعون بالرغم من أنه من الأهم والأعم فائدة ان يبحثوا في حقيقة الروح وهي مرتبطة بالجسد المادي. ولكن تشابه الاهداف بينهم وبين الفلاسفة القدماء جعلهم يلتقون في نفس الاسلوب. فقد ذهب الفلاسفة القدماء الى رجم الغيب العلوي بلا هوادة، تاركين وراءهم كل ما يتصل بغيب الحاضر والمستقبل للعالم السفلي.

ان التحدي الصريح للذين لم يؤمنوا بالهدى السماوي المنير وما ينطوي عليه من حقائق تتصل بالعالم الآخر، ان يحاولوا كل ما في وسعهم مستعينين بكل ما يتوفر لهم من اسباب المساعدة من ان يمنعوا انتقال الروح والامتثال لأوامر بارئها، فاذا تحقق لهم ذلك، فلا بد من التسليم لهم بما يدّعون. اما اذا

---

(١) الروحية ـ دعوة هدامه، د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٣-٥٣

فشلوا في تحقيق هذا الامر، فلا بد لهم ان يسلموا معنا للهدى السماوي المنير. وفي حالـة تسليمهم للحق فلا يجـوز لهم ان يرجمـوا الغيب مهمـا كانت المبررات، لان الحق سبحانه وتعالى اختص بعلم الغيب لذاته، ولا يطلع عليه احداً الا من ارتضى من رسول ليكون بمثابة النذير والبشير للانسان.

قال تعالى

عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ [(١)]

والـذين لا يؤمنـون بالغيب ومـالكه عليهم ان يمنعوا خروج الروح من الجسد، وهذا العمل اسهل بكثير من احضار الروح بعد خروجها من الجسد، لاننا نعلم على الاقل ان الروح داخل هذا الجسد، فاجبار الروح على البقاء فيه أسهل بكثير من البحث عن الروح في كل مكان بهدف احضارها والتحدث معها. ولماذا لا يكون التحدث مع الروح وهي داخل الجسد بهدف التعرف من خلالها على موعد انطلاقها النهائي من الجسد المادي، والى اين ستذهب؟ وماذا ستواجه؟. ولكن يبدو جلياً ان الدافع الذي كان وراء الفلاسفة القدماء في رجمهم للغيب، هو نفس الدافع الذي دفع دعاة الروحية الحديثة في ما ذهبوا اليه من ترهات وأقاويل باطلة.

أمـا الـديانـة الهنـدية فقـد احتوت على ما اشتمل عليه الفكر الانساني بشـطريه، حيث اعتبرت ان الموت نهاية كل صابر، وطّن نفسه على التحمل لتلك الآلام والمصـاعب التي تفـرزها الحياة. فالفناء الابدي والعدم النهائي والراحة التامة لاتباع بوذا الذين تحملوا المصاعب والآلام، فالموت يعد الجزاء الأوفى في ضوء تعاليم هذه الديانة. اما اولئك الذين ابتعدوا عن الطريق القويم فلهم الرجعة الملعونة، حيث تحل ارواحهم في اجساد حيوانات، وهذه عقيدة التناسخ.

---

(١) سورة الجن آية ٢٦-٢٧

المفهوم الإسلامي للروح:

بعد ان عرضنا في الصفحات السابقة خلاصة ما جاءَ به الفكر الانساني عن الروح وما تؤول اليه بعد فراقها الجسد المادي في حالة الموت. لا بد من ان نعطف بنظرنا الى ما يفوح به النور السماوي المبين من معلومات صادقة دقيقة حول هذا الموضوع الهام.

ان المفهـوم اللغـوي للروح هو مبدأ الحياة الذي يقوى به الحيوان على الاحساس والحركة. ويمكن ان يشار الى الروح بصفة المذكر والمؤنث فنقول هذه الروح، وهذا الروح.

فقد وردت كلمة الروح بمعانٍ متعددة في القرآن الكريم وذلك حسب سياق الآيات القـرآنية الكـريمة فالروح قد تعني جبريل عليه السلام حسب الآيات القرآنية التالية: ـ

قال تعالى

﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[1]

قال تعالى

﴿١٠١﴾ ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾[2]

قال تعالى

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾[3]

---

(١) سورة الشعراء آية ١٩٣ـ١٩٥

(٢) سورة النحل آية ١٠٢

(٣) سورة البقرة آية ٩٧

وقد يعني الروح غير الملائكة لكنه يصاحبهم في الوحي والتبليغ . ويبدو ذلك في قوله تعالى :

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ (١)

وقد تعني الروح أيضاً ما نزل الى الانبياء عليهم السلام من عند ربهم . قال تعالى :

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ (٢)

قال تعالى

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (٣)

قال تعالى

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٤)

---

(١) سورة القدر آية ٤ـ٥

(٢) سورة النحل آية ٢

(٣) سورة البقرة آية ٨٧

(٤) سورة الشورى آية ٥٢

ومن معاني الروح التي تناولها القرآن الكريم ما أيد الله به حزبه من الانس.

قال تعالى .

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢)﴾ (١)

ومن معاني الروح التي يذكرها الحق في كتابه المنير الروح الإلهية وما ينفخ منها في جسد الانسان لتدب فيه الحياة إثر هذه النفخة الروحية الإلهية.

قال تعالى

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ (٢٨) فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩)﴾ (٢)

قال تعالى

﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِن سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ (٩)﴾ (٣)

---

(١) سورة المجادلة آية ٢٢

(٢) سورة الحجر آية ٢٨-٢٩

(٣) سورة السجدة آية ٧-٩

وبما أن الروح التي تسكن الجسد الانساني وتفارقه في حالتي النوم والموت هي موضوع دراستنا فلا بد من القاء بعض الضوء على حقيقة وماهية، ونوعية هذه الروح، والى اين سيؤول مصيرها بعد فراقها للجسد، وهل هي خالدة ام فانية.

إن المعلومات التي ارادها الحق ان تكون واضحة جلية للانسان حول موضوع الروح تكاد تكون بسيطة جداً لأنها من أمره سبحانه وتعالى، وقد جعلها من الامور الغيبية التي خص نفسه بمعرفتها. وقد جعلها سبحانه وتعالى من الآيات الدالة الكبرى على وجود وصدق ما جاء به رُسله من عنده سبحانه وتعالى. كما ان الحق تحدى جميع المنكرين والمستكبرين للحق ان يمنعوا خروج الروح كدليل ساطع على فشل انكارهم، واستكبارهم، وبطلان حججهم، ومحدودية عقولهم، وضعف دعواهم ليعودوا الى طريق الحق والصواب، ويتبعوا اوامر الله سبحانه وتعالى ويجتنبوا نواهيه.

فالروح التي تسكن جسم الانسان من وجهة نظر الإسلام نوعان؛ فالنوع الأول: الروح الطيب التي تُفَتَّحُ لها ابواب السماء بعد خروجها من الجسد فيصعد بها حتى السماء السابعة لترى مكانها في جنات النعيم، ثم تعود الى الجسد في القبر. والنوع الثاني: الروح الخبيثة التي لا تُفَتَّحُ لها ابواب السماء تعود الى الجسد داخل القبر.

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ [(١)]

---

(١) سورة الاعراف آية ٤٠

روى الإمام احمد عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: ـ استعيذوا بالله من عذاب القبر ـ مرتين او ثلاثاً ـ ثم قال: إن العبد المؤمن اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس معهم كفن من اكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: ايتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ـ قال: فتخرج تسيل كما يسيل القطر في السقا، فيأخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها، فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعـدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون فلان بن فلان بأحسن اسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهـوا به الى السمـاء الدنيا، فيستفتحون له فيُفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى السماء السابعة، فيقول الله عز وجـل: اكتبـوا كتـاب عبدي في عليين، واعيدوه الى الأرض، فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى، قال: فتعاد روحه فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول ربي الله، فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام، فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقـولان له ومـا عملك؟ فيقـول قرأت كتـاب الله فآمنت به وصدقت، فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي، فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من روحها «طيبها» ويفسح له قبره مد البصر، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح، فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له من انت فوجهك الوجه يجيء بالخير! فيقـول أنـا عملك الصالح، فيقول رب أقم الساعة، رب اقم الساعة حتى ارجع إلى اهلي ومالي.

قال: وإن العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال الى الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب، قال: فتغرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملاء من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الخبيثة، فيقولان، فلان بن فلان، بأقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها الى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تُفَتّحُ لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط». فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحاً ثم قرأ «ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق». فتعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسان، فيقولان له، من ربك؟ فيقول هاه هاه لا ادري، فيقولان ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا ادري، فيقولان ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هاه هاه لا ادري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي، فافرشوه من النار، وافتحوا باباً الى النار فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول ابشر بالذي يسؤوك، هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول من انت فوجهك الوجه يجيء بالشر، فيقول أنا عملك الخبيث، فيقول رب لا تقم الساعة»[1].

وقد سألت اليهود رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح. فأوحى الحق سبحانه وتعالى الى عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم الآية التالية:

---

(١) تفسير ابن كثير، المجلد الثاني، ص ٢٢٢-٢٢٣

قال تعالى

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (1)

وايماءةً الى الروح وما تؤول اليه بعد فراقها الجسد الانساني في حالة الموت، والى ما تؤول اليه في يوم البعث. فهذا ما سنذكره بالتفصيل في الصفحات القادمة تحت موضوعي البرزخ والبعث.

البرزخ:

في الوقت الذي لم تُذكر فيه كلمة برزخ في قواميس الفلاسفة ورواد الفكر الانساني الذين رجموا الغيب دون هوادة، ومن تبعهم من البشر وبالذات دعاة الروحية الحديثة، حيث ظنوا أن طبيعة الأشياء في عالم الروح بلغة الفلاسفة والعالم الأثيري بلسان دعاة الروحية الحديثة واحدة لا تختلف من مرحلة الى أخرى في هذا العالم الغيبي، فان الحق تبارك وتعالى اخبرنا عن كلمة البرزخ في ثلاثة مواضع في كتابه المكنون، هذا بجانب الآيات القرآنية الكريمة والسنة النبوية الطاهرة التي تخبرنا عن بعض الأمور التي تحدث في فترة البرزخ.

لقد ذُكرت كلمة برزخ في سورة الرحمٰن وتعني في هذه الآية من سورة الرحمن «الحاجز الذي يحول دون التقاء شيئين».

قال تعالى

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ۝٢٠﴾ (2)

• وبنفس المفهوم ذُكرت ايضاً في سُورة الفرقان.

---

(1) سورة الاسراء آية ٨٥.

(2) سورة الرحمن آية ١٩-٢٠

قال تعالى

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾(١)

اما في سورة «المؤمنون» فقد ذُكرت كلمة برزخ بمعنى الفترة التي تمتد منذ لحظة وفاة الفرد حتى يوم البعث.

قال تعالى

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٢)

ونلاحظ ان المعنى واحد لكلمة برزخ في الثلاث آيات السابقة، حيث تدل جميعها على الحاجز الذي يحول دون التقاء شيئين. فكلمة برزخ التي تتصل بالعالم الغيبي تدل على الحاجز الذي يحول دون اتصال الحياة الدنيا بيوم البعث، وبالتحديد يحول دون الانتقال من الحياة الدنيا الى يوم البعث، كما ان العودة من البرزخ الى الحياة الدنيا محال، وقد تختلف مدة البرزخ من فرد لآخر حسب قرب أو بعد موعد رحيله من الحياة الدنيا بيوم البعث.

وقد جمع ابن القيم في كتابه «الروح» الشيء الكثير عن الأمور التي تتصل بالبرزخ وما يجري فيه من احداث متعددة. ولكن صفة التعارض والازدواجية تبدو بارزة بين أغلب الآراء التي طرحت حول هذا الموضوع. فتارة يكون التعارض مع النصوص القرآنية، وتارة اخرى يكون مع السنة النبوية الشريفة.

لذلك فاننا في حديثنا عن هذا الموضوع الغيبي لا نريد أن نتعدى المفهوم الساطع للآيات القرآنية التي لها علاقة مباشرة وقوية بهذا الموضوع وكذلك بالنسبة الى السنة النبوية المطهرة. اضف الى ذلك انه لا يجوز لنا أن نرجم

(١) سورة الفرقان آية ٥٣

(٢) سورة المؤمنون آية ٩٩-١٠٠

الغيب أو نتحذلق فيه كما فعل أشرار الانس، لأننا نعلم علم اليقين بأن عالِم الغيب هو الله سبحانه وتعالى، وكل ما عُلم من الغيب فهو بإذنه جلت وتعالت قدرته وعن طريق رسله. فطالما ختم المدد الرسالي بالنبي الامي محمد صلى الله عليه وسلم. فان الوصول الى شيء من الغيب بعد انتقال الرسول محمد صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى يعد محالاً.

تبدأ فترة البرزخ منذ اللحظة التي يبرز فيها الموت للانسان
قال تعالى

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ (١)

وتنتهي هذه الفترة في اللحظة التي يُنفخ في الصور ثانية للمثول امام الحق سبحانه وتعالى.
قال تعالى

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ (٢)

اما بالنسبة الى ما يحدث للانسان في هذه الفترة الغيبية التي تمثل جزءاً يسيراً من الغيب الذي خص الحق نفسه بعلمه، فقد علمنا من كتابه الحكيم ان البرزخ وما يجري فيه من احداث يقع في الأرض وليس في مكان آخر، خلا الفترة التي تُفتحُ فيها ابواب السماء للارواح المؤمنة الخيِّرة لترى مكانها في الجنة. ودليلنا في ذلك قوله عز من قائل في الآيات التالية:
قال تعالى

﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ (٣)

---

(١) سورة المؤمنون آية ٩٩-١٠٠

(٢) سورة الزمر آية ٦٨

(٣) سورة طه آية ٥٥

قال تعالى

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ (١)

قال تعالى

وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (٢)

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ (٣)

هذا بالاضافة الى الاحاديث النبوية الشريفة التي تعزز هذا التوجه. نذكر من هذه الاحاديث النبوية الطاهرة للتدليل وليس الحصر:

«عن البراء بن عازب. قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار، فانتهينا الى القبر، ولما يلحد، فجلسنا وجلس، كأن على اكتافنا فلق الصخر، وعلى رؤوسنا الطير فأرم قليلاً. والارمام السكوت. فلما رفع رأسه قال: ان المؤمن إذا كان في قُبلِ من الآخرة ودُبُر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه الملائكة...»(٤).

وقد روي هذا الحديث من طرق أخرى منها عن طريق ابن عباس، وقتادة، وابو هريرة. هذا بجانب العدد الهائل من الاحاديث النبوية التي تتحدث عن عذاب القبر وما يجري فيه من نعيم للانسان المؤمن، وما يحدث فيه من جحيم للانسان الضال.

---

(١) سورة المعارج آية ٤٣

(٢) سورة نوح آية ١٧-١٨

(٣) سورة الاعراف آية ٤٠

(٤) انظر تكملة الحديث في صفحة رقم ٢٥٣ - ٢٥٤ من هذا الكتاب.

وإشارة الى العذاب الذي يحدث في فترة البرزخ أو ما يدعى بعذاب القبر، فان الباري سبحانه وتعالى اخبرنا بكتابه العزيز عن هذا العذاب كما تحدثت السنة النبوية الشريفة باسهاب عن هذا الموضوع.

قال تعالى

﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ (١)

ومن اراد ان يطلع على الاحاديث النبوية الشريفة التي تتعلق بعذاب القبر فعليه بالرجوع الى كتب الحديث.

فالبرزخ قد يكون روضة من رياض الجنة او حفرة من حفائر النار، وذلك يعود الى عمل الفرد والنهج الذي ارتضاه في دار الابتلاء. فالذي نهج في ضوء الهدى السماوي يكون من الفائزين، والذي لم يستوسق مع هذا الهدى يكون من الاخسرين اعمالاً في البرزخ ويوم الحساب.

كما أن الأرواح تتلاقى مع بعضها البعض في البرزخ، والأرواح المؤمنة تستبشر بالذين لم يلحقوا بهم من المؤمنين.

قال تعالى

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾ (٢)

---

(١) سورة غافر آية ٤٦

(٢) سورة آل عمران آية ١٦٩-١٧٠

وإيمـاءة الى سبـل الاتصال بين الأموات والأحياء وكيفية حدوثه، واتجاه مساره، فهذا ما نراه جلياً في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث خاطب قتلى بدر من المشركين، وسنة القاء السلام على الموتى عند دخول المقابر، وسنة تلقين الميت.

«وفي الصحيحين عنـه صلى الله عليه وسلم، من وجوه متعددة، انه أمر بقتلى بدر فألقوا في قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً؛ فقال له عمر: يا رسول الله ما تخاطب من اقوام قد جيفّوا، فقال: والذي بعثني بالحق، ما انتم بأسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جواباً[1].

«وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، اذا سلموا على اهل القبور، ان يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: السلام عليكم دار قومٍ مؤمنين. وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل»[2].

«عن عائشة رضي الله تعالى عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من رجل يزور قبر أخيه، ويجلس عنده إلا استأنس به، ورد عليه حتى يقوم»[3].

وعلى هذا النهج الساطع المبين سلك صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـد ذُكر عن الإمام عليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه انه خاطب أهل القبور. «وقال علي بن ابي طالب عليه السلام: وقد رجع من صِفّين فأشرف على القبور بظاهر الكوفة، يا أهل الديار الموحشةِ والمَحَالِّ المقْفرةِ، والقبور

(١) الروح، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢، صفحة ١٠

(٢) المصدر السابق ص ١٠ ـ روى هذا الحديث مسلم والنسائي، وابن ماجه، والامام أحمد في مسنده.

(٣) المصدر السابق ص ١١

المظلمةِ، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوَحدةِ، يا أهل الوحشةِ انتم لنا فرطٌ سابق ونحن لكم تبع لاحق. اما الدور فقد سُكِنَت واما الازواج فقد نُكحت. واما الأموالُ فقد قُسمت. هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم؟ ثم التفت الى اصحابه فقال: أما لو أُذِنَ لهم في الكلام لأخبروكم ان خير الزاد التقوى»[1].

وفي ضوء ما تقدم نقول ان طريقة الاتصال بين الاحياء والاموات، تأخذ مسرباً واحداً، وهو من الاحياء الى الاموات فقط. ولا يمكن بأية حال من الاحوال أن يتصل الاموات بالاحياء ويخبروهم عن ما حجبت عنهم استار الغيب. لأن الذي بيده مفاتح الغيب، وخص علم الغيب لذاته، لم ولن يطلع احداً على هذا الغيب، إلا من ارتضى من رسول. فكيف يمكن ان تفرّ هذه الأرواح الممسوكة من يد عالم الغيب وتخبر الاحياء بما يحدث لها في البرزخ وهي تعمل في ملكوته وتحت جبروته؟

قال تعالى

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾[2]

فهذا يدحض كل ما جاء به دعاة الروحية الحديثة من تخرصات وظنون حول موضوع الاتصال بين الأموات والأحياء الذي ينمُّ عن افتئاتهم على الحق والحقيقة.

اما بالنسبة الى كينونة الانسان في البرزخ انه سيكون روحاً وجسداً، ام روحاً فقط، فقد دار خلاف كبير بين علماء المسلمين كما اختلفت رواياتهم

---

(١) نهج البلاغة، الجزء الرابع، ص ٣١

(٢) سورة الزمر آية ٤٢

حول هذا الموضوع. وبعد الاطلاع على هذه الآراء المتفاوتة والحجج التي ساقها كل طرف، فاننا نميل الى الاعتقاد ان الوجود في البرزخ روحي فقط - والله اعلم - وذلك يعود الى الأسباب التالية:

اولاً -

ان الحق تبارك وتعالى عندما دحض اقوال منكري البعث والحساب والعقاب في محكم آياته في أكثر من مشهد انه قادر على اعادة العظام والاجساد واحيائها ثانية بعد فنائها واندثارها في باطن الأرض.

قال تعالى

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (1)

قال تعالى

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٤٩ ۞ قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝٥٠ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ (2)

يبدو بوضوح من الآيات السابقة ان العليم الحكيم سبحانه وتعالى لم ينكر على المنكرين للبعث قولهم بأنهم سيصبحون عظاماً وتراباً داخل الأرض، وانما دحض قولهم المتعلق بعدم امكانية الاعادة، حيث خاطبهم بأن اعاده الخلق اسهل بكثير من بدايته، فكيف يصعب على من خلق في المرة الأولى ان يعيد ما خلق؟ هذا بجانب انه تحداهم بأن يكونوا خلقاً اصعب من العظام والتراب، أو خلقاً يصعب اعادته كالحجارة والحديد، أو خلقاً يعتقدون الاعادة منه في عداد المحال. ولكن الله تبارك احسن الخالقين سوف يعيدهم خلقاً جديداً كما فطرهم أول مرة.

---

(1) سورة يس آية ٧٨-٧٩ (2) سورة الاسراء آية ٤٩-٥١ .

ثانياً ـ

ان الحق سبحانه وتعالى اجاب منكري البعث في قولهم «عدم امكانية اعادة الانسان بعد ان يغدو تراباً في باطن الأرض» ان جميع ما يفقده جسم الانسان داخل الأرض موجود في كتاب حفيظ. لذلك فان خلقهم من جديد يعد اسهل بكثير من الخلق الأول طالما ان مكونات الجسد الانساني التي فقدت داخل التراب محفوظة. وهذا يعد من ابرز الادلة القرآنية على تحلل الجسم الانساني داخل التراب.

قال تعالى

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾[1]

قال تعالى

﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾[2]

ثالثاً ـ

ان العليم الحكيم نعت هذه الفترة بكلمة برزخ وليس كلمة حياة، كالحياة الدنيا والحياة في الآخرة. واذا نظرنا الى الحياة الدنيا والحياة الآخرة لوجدنا ان الوجود الانساني فيها روح وجسد. ولو كان الوجود الانساني في البرزخ روحاً وجسداً لما وجد فرق جذريٌ بين الوجود الانساني في البرزخ والوجود في كلا الدارين، وبالذات في الدار الآخرة.

---

(١) سورة ق آية ٢-٤

(٢) سورة ق آية ١٥

رابعاً ـ

الدليل المادي الملموس، وهو وجود العظام البالية النخرة في حالة وجود الحفريات في الاماكن التي دفن فيها بشر.

خامساً ـ

ان هذا التوجه يتفق مع ما روي عن سلمان الفارسي وهو احد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم البارزين في طريقة اسلامهم ومصداقية اعمالهم وسداد نهجهم.

«إن ارواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءَت فهذا مروي عن سلمان الفارسي، والبرزخ هو الحاجز بين شيئين، وكأن سلمان اراد بها في أرض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءَت. فقد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة بل هي في برزخ بينهما، فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم، وارواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب»[1].

البعث:

يعد البعث من الأمور الهامة التي شغلت الانسان منذ ولادة تاريخه حتى يرث الله الأرض ومن عليها، لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في تشكيل عقائد، واهداف، وطموحات الانسان في كلا الدارين. ويعد هذا الموضوع من الأمور الغيبية التي يعلمها الله سبحانه وتعالى فقط. وليس بامكان الانسان ان يصل الى اية معلومة او شيء من علم حول هذا الموضوع الهامّ الا عن طريق ما اوحى الحق سبحانه وتعالى الى رسله من أجل إطلاع الانسان على جزء من هذا الغيب.

ولكن الانسان على مر التاريخ تعامل مع هذا الموضوع الهامّ بثلاث طرق: فالطريقة الأولى تمثل وجهة نظر الانسان الذي لم يعتقد بالغيب بتاتاً وانكر

---

(١) الروح، ابن القيم، ص ١٤٨ ـ ١٤٩.

البعث، وهـذا الـذي ذهب اليه الـطبيعيون، والـوجـوديون، والبـراجماتيون، والشيعيون، وكفار العرب. اما النهج الثاني فيمثل وجهة نظر الفلاسفة الذين تحذلقوا في الأمور الغيبية وذهبوا الى الاعتقاد بأن البعث أو المعاد روحي فقط لاعتقـادهم بأن الـروح بسيطة، لا تفنى ولا تتحلل كالجسد الذي يعد اعادته محال من وجهة نظرهـم. **ومما يؤجج اللوعة، ويهيج الاحزان، ويمزق القلوب أسفـاً ونـدمـاً ويفجـرها دماً ان فلاسفة الإسلام اعتقدوا بهذا النهج الفلسفي مخالفين ما نص عليه القرآن الكريم حول هذا الموضوع بالغ الأهمية.** ومن أشهر دعاة هذا التوجه حول البعث فيثاغورس، وسقراط، وافلاطون، وارسطو، وفلاسفة الشرق، ودعاة الروحية الحديثة.

ولعل من المفيد ان نُذّكر بما قاله الألوسي في هذا الموضوع:

«اما فلاسفة الإسلام (فلاسفة الشرق) فقد ذهبوا الى رأي مخالف لجمهور المسلمين. فقد قرروا أن الاعادة روحية فقط وليست مادية. وهذا راجع الى انهم ميزوا بين النفس والبدن أو بين الروح والجسد، على أساس أن الروح هي الجوهر والبدن هو العرض اللاحق له. ونحن نعلم أن الاعراض تزول اما الجوهر فلا. إذن المعـاد هنـا ليس إلا عودة الجوهر الروحي. أما البدن أو ان شئت مجمـوعة الاعراض، فلن تعاد لانها تحللت وفسدت، ولا يمكن اعادة ما قد تحلل وفسد»[1].

اما بالنسبة الى الطريقة الأخيرة او النهج الأخير حول هذا الموضوع، فهو يمثل وجهة نظر «المتوسمون» الذين استوسقوا مع النور السماوي المبين، حيث اعتقدوا بكل ما جاء به الرسل من عند ربهم حول هذا الموضوع.

فالبعث من وجهة نظر الفكر الإسلامي هو إعادة للجسد والروح، وهذا ما ذكـر في القـرآن الحكيم في ستة وثلاثين مشهداً، كل مشهد لا يقل عن آية كريمة. وجميع هذه الآيات تدل على ان المبعوثين ليوم الحساب لهم وجوه،

---

(١) الفلسفة الاسلامية في المشرق، ص٣٤٣

وعيون، واعناق، وافواه، وايدي ، وارجل، ورؤوس، وصدور، وجباه، واجناب، هذا بالاضافة الى أن لهم زوجات وازواج، ولهم بطون، ويشربون الشراب، ويأكلون ما طاب لهم من الفاكهة وانواع اللحوم المختلفة، ويطاف عليهم بكأس من معين اذا كانوا من الفائزين، اما بالنسبة للآخسرين اعمالاً فان طعامهم من غسلين، وشرابهم من الحميم.

فكيف يُعقل ان نعتقد أن الحشر للأرواح فقط؟ طالما أن الآيات المحكمات البينات تصف لنا حال المبعوثين بهذا الوصف الكامل للانسان الذي يشرب ويأكل ويتزوج ويتحدث، وتكوى الجباه وتنطق الجلود وتستغيث الأفواه، وتستبشر الوجوه الناضرة، وتبتئس الوجوه الباسرة الكالحة والى غيرها من الممارسات الانسانية التي تنبثق عن الروح والجسد معاً. وسوف نكتفي بعرض نماذج من الآيات القرآنية الكريمة التي تدل على البعث الجسدي - الروحي للانسان.

قال تعالى

يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ ذَٰلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾ [1]

قال تعالى

يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ [2]

---

(١) سورة المعارج آية ٤٣-٤٤

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٦-١٠٧

قال تعالى

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ (١)

قال تعالى

وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ (٢)

قال تعالى

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ (٣)

قال تعالى

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا (٤)

---

(١) سورة الحج آية ١٩-٢٣

(٢) سورة الاعراف آية ٤٣

(٣) سورة الانسان آية ٥-٦

(٤) سورة النبأ آية ٣٠-٣٦

قال تعالى

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (١)

قال تعالى

﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) ۞ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ (٢)

قال تعالى

﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)﴾ (٣)

قال تعالى

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ﴾ (٤)

قال تعالى

﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ

---

(١) سورة المطففين آية ٢٢ـ٢٨

(٢) سورة ص آية ٥٠ـ٥٣

(٣) سورة الزخرف آية ٧٠ـ٧٣ .

(٤) سورة الدخان آية ٥١ـ٥٥

طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ (١)

قال تعالى

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ (٢)

قال تعالى

يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣)

قال تعالى

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ (٤)

---

(١) سورة محمد آية ١٥

(٢) سورة الطور آية ١٧-٢٤

(٣) سورة التوبة آية ٣٥

(٤) سورة الاعراف آية ٥٠

قال تعالى

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ
أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ
أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ
أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ (١)

قال تعالى

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ
جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٢)

قال تعالى

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ
عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ
شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ (٢١) (٣)

قال تعالى

إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ
كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٤)

---

(١) سورة الاعراف آية ٣٨-٣٩

(٢) سورة النساء آية ٥٦

(٣) سورة فصلت آية ١٩-٢١

(٤) سورة الكهف آية ٢٩

قال تعالى

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (1)

ولمن اراد أن يطلع على الآيات الاخرى التي لم نتمكن من ذكرها هنا، وتدل مباشرة على الاعادة الروحية الجسدية للانسان فلينظر الى السور التالية:

سورة الحاقة، وسورة الواقعة، وسورة القمر، وسورة الدخان، وسورة غافر، وسورة الصافات، وسورة يّس، وسورة النمل، وسورة طه، وسورة مريم، وسورة الكهف، وسورة الحجر، وسورة الاعراف، وسورة الانعام، وسورة النساء، وسورة الدهر، وسورة القيامة، وسورة المرسلات، وسورة عبس، وسورة الانشقاق، وسورة الغاشية.

ولما كان المعادُ في اليوم الآخر جسدياً ـ روحياً وليس روحياً فقط، فان الخلود في ذلك اليوم يكون للروح والجسد وليس خلوداً للروح.

لذلك ارتأينا تسمية هذا الفصل بعنوان الانسان والخلود ليتفق مع طبيعة الانسان في يوم البعث. بينما اطلق الفلاسفة مصطلح «الروح والخلود» ظناً منهم ان البعث روحي، وطبيعة الحياة روحية، لذلك فان الخلود سيكون للروح.

اما بالنسبة الى مكان الخلود للانسان في اليوم الآخر فسيكون اما في الجنة أو في النار. فتكون الجنة هي المأوى للذين انابوا واستقاموا مع الهدى السماوي المبين. وتكون النار المأوى للذين خسرت تجارتهم في الدنيا والآخرة.

---

(1) سورة السجدة آية ١٢.

قال تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾﴾ (١)

قال تعالى

﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾ (٢)

قال تعالى

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

قال تعالى

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (٤)

قال تعالى

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ (٥)

---

(١) سورة الزخرف آية ٦٩-٧٥

(٢) سورة ق آية ٣١-٣٤

(٣) سورة المجادلة آية ٢٢

(٤) سورة البقرة آية ٣٩

(٥) سورة التوبة آية ٦٣

المراجع العربية

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ ابن القيم، الروح، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٢.

٣ ـ ابو الاعلى المودودي، نظرية الإسلام السياسية، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٥.

٤ ـ ابو الاعلى المودودي، الخلافة والملك، تعريب احمد ادريس، دار القلم، الكويت ١٩٧٨.

٥ ـ ابو الاعلى المودودي، منهاج الانقلاب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٧٩.

٦ ـ ابو بكر جابر الجزائري، منهاج المسلم، دار السلام القاهرة ١٩٨٠.

٧ ـ ابو السعود العمادي. تفسير ابي السعود، دار احياء التراث العربي، بيروت.

٨ ـ ابي القاسم الزمخشري، الكشاف، دار المعرفة، بيروت.

٩ ـ السيد محمد حسين الطباطبائي، اسس الفلسفة والمذهب الواقعي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.

١٠ ـ الغزالي، بين الفلسفة والدين، رياض الريس للكتب والنشر، لندن ١٩٨٧.

١١ ـ الغزالي، معيار العلم في فن المنطق، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٨.

١٢ ـ الغزالي، تهافت الفلاسفة، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٢.

١٣ ـ السيد محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، دار الكتاب الاسلامي، قم، ايران، ١٩٧٢.
١٤ ـ السيد محمد حسين الطباطبائي، نظرية السياسة والحكم في الاسلام، الدار الاسلامية، بيروت، ١٩٨٢.
١٥ ـ الكسيس كاريل، الانسان ذلك المجهول، تعريب شفيق اسعد فريد، مكتبة دار المعارف، بيروت ١٩٨٣.
١٦ ـ بشار عبد الهادي، الحياة بعد الموت، دار ابن رشد عمان، ١٩٨٤.
١٧ ـ تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة د. محمد ابو ريده، بيروت ١٩٨١.
١٨ ـ حسام الدين الآلوسي، دراسات في الفكر الفلسفي الاسلامي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ١٩٨٠.
١٩ ـ حسن ابراهيم عبد العال، مقدمة في فلسفة التربية الاسلامية، دار عالم الكتب الرياض، ١٩٨٥.
٢٠ ـ حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الاسلام، دار البحوث العلمية، القاهرة ١٩٧٩.
٢١ ـ ديكارت، التأملات، ترجمة د. عثمان امين، مكتبة القاهرة، ١٩٧٧.
٢٢ ـ رؤوف عبيد، الانسان روح لا جسد، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧١.
٢٣ ـ سليمان دنيا، الحقيقة في نظر الغزالي، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥.
٢٤ ـ سيد ابراهيم الجيار، التوجيه الفلسفي والاجتماعي للتربية مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧٨.
٢٥ ـ سيد قطب، هذا الدين، مكتبة وهبة، القاهرة.
٢٦ ـ سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ١٩٨٠.
٢٧ ـ سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق القاهرة ١٩٨٣.
٢٨ ـ سيد قطب، معالم في الطريق، دار الشروق، ١٩٨٣.
٢٩ ـ عباس محمود العقاد، التفكير فريضة اسلامية، دار الفكر العربي بيروت ١٩٧١.

٣٠ ـ عبد العزيز البدري، الاسلام بين العلماء والحكام، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.
٣١ ـ عبد الفتاح جلال، الأصول التربوية في الاسلام، القاهرة ١٩٧٧.
٣٢ ـ عبد اللطيف محمد العبد، دراسات في الفلسفة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٩.
٣٣ ـ علي عبد المعطي، قضايا الفلسفة العامة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٤.
٣٤ ـ عماد الدين اسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار المعرفة، بيروت ١٩٨٦.
٣٥ ـ فيصل بدير عون، الفلسفة الاسلامية في المشرق، مكتبة الحرية الحديثة ١٩٨٢.
٣٦ ـ فيليب فينكس، فلسفة التربية ترجمة وتقديم الدكتور محمد لبيب النجيحي، دار النهضة العربية ١٩٦٥.
٣٧ ـ كاشف الغطاء، اصل الشيعة واصولها، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٢.
٣٨ ـ محمد ابو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ١٩٨٦.
٣٩ ـ محمد باقر الصدر، فلسفتنا، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٠.
٤٠ ـ محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨١.
٤١ ـ محمد جواد مغنية، معالم الفلسفة الاسلامية، دار القلم، بيروت.
٤٢ ـ محمد حسين الزين، الشيعة في التاريخ، دار الاثار، بيروت ١٩٧٩.
٤٣ ـ محمد حسين فضل الله، اسلوب الدعوة في القرآن، دار الزهراء، بيروت ١٩٨٢.
٤٤ ـ محمد حسين فضل الله، الاسلام ومنطق القوة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٥.

٤٥ ـ محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، دار التعارف للمطبوعات، بيروت ١٩٨٧ .

٤٦ ـ محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، بيروت، ١٩٨٢ .

٤٧ ـ محمد قطب، دراسات في النفس الانسانية، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٣ .

٤٨ ـ مصطفى عبد الرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٦ .

٤٩ ـ محمد محمد حسين، الروحية دعوة هدامة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨١ .

٥٠ ـ نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت .

٥١ ـ نبيه عاقل، تاريخ خلافة بني امية، دار الفكر، بيروت ١٩٨٣ .

٥٢ ـ يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت ١٩٨٣ .

المراجع الاجنبية

1- Broudy, Harry S. Building a philosophy of Education. Prentice- Hall Englewood Cliffs, N, J. 1954.

2- Davidson, D., Inquries into Truth and Interpretation oxford: clarendon press 1984.

3- Dannett, Beyond Belief, in Thought and object, ed. A. wood field, Oxford; clarendon press 1982.

4- Ferm, Vergilius, ed. History of philosophical Systems, philosophical Library. New york, 1950.

5- Findlay A. James, on The Edge of The Etheric, London, 1954.

6- Frost, S. E. Jr. Historical and philosophical Foundations of western Education Charles E. Merrill, colombs, ohio, 1966.

7- James, A. Baley, etal. Physical Education and The Physical Educator, Boston, 1976.

8- Loar, B., Mind and Meaning, Cmbridge; Cambridge University press. 1981.

9- Runes, Dagobert D. Dictionary of Philosophy, Little field, Adams, and Company, Paterson, N.J., 1962.

10- Russell, Bertrand, A History of Western Philosophy, Simon and Schuster, New York, 1945.

11- Putnam, H., The Meaning of 'Meaning' in Mind, Language and Reality, London; Routledge and Kegan Paul 1978.

12- William A. Harper, etal., The Philosophic process in physical Education, U. S. A. 1979.

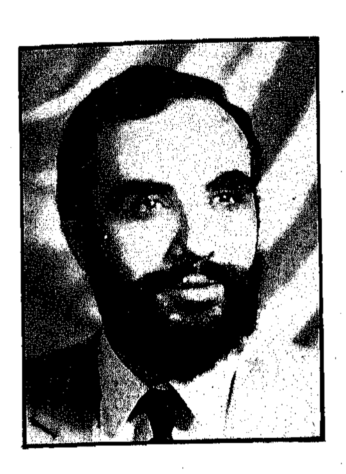


الفهرس









إن الذي ينشد الحقيقة لذاتها والتفيء بظلالها والسلوك على نورها يجب أن لا يلتفت الى السبيل التي توصل الى الحقيقة طالما أنه يقصد الوصول الى الحقيقة، اما الاصرار على سبيل واحدة دون غيرها في الوصول الى الحقيقة فهذا نوع من الجدال والمناورة بقصد الوصول أو تحقيق غايات معينة تجول في النفس، وهذا هو بعينه التحيز الذي يطمس الحقيقة والسبل المؤدية اليها.

كان الفلاسفة ومن والاهم يخافون كل الخوف من التحدث فيما يتصل بعالم الحس من امور غيبية؛ لكي لا تنكشف سوأتهم ويثبت بطلان حججهم للقاصي والداني. تلك الحجج والتخرصات التي اضلوا بها انفسهم وكل من وشجت عروقه على طريقتهم. فتركوا هذا النوع من الغيب الذي كان الانبياء والمرسلون يتحدون اقوامهم به للتدليل على صدقهم وثبوت حجتهم على صدق دعواهم.

إن الفكر الفلسفي الإسلامي قد تمّ تشويهه في اذهان الناس على مر الايام، من مختلف الفئات، التي ارادت أن تطفىء هذا النور السماوي الساطع، الذي بعثه المولى عز وجل رحمة منه للبشر جميعاً. هذا بجانب كثرة اعداء الحق على مر التاريخ، الذين حاولوا بكل السبل والطرائق النيل من الحق المبين، الذي يفوح بنسائمه الفكر الفلسفي الإسلامي. ولكن كلمة الله سبحانه وتعالى قد سبقت واعتلت كل كيد وقول، بحفظ هذا النور الباسق الساطع ـ مورد الحق والحقيقة ـ الذي يمثل الفكر الفلسفي الإسلامي لجميع من اناب واستقام على درب الهدى من أن تناله يد البشر بالتبديل والتحريف.

إن الانسان الذي خلقه الله سبحانه وتعالى في أحسن تقويم، وانار له سبل الهدى بعد أن وهبه حرية الاختيار، هو نفسه القادر على المحافظة على هذا المستوى من السموّ والرفعة، والمكانة الباسقة الوضاءة التي انعم الله عليه، والتحلي بالصفات السامقة المؤثلة. كما انه قادر على الانحدار من عليائه للارتكاس في الحضيض، والسقوط الى ادنى المستويات، والتحلي بالصفات الهابطة التي تؤهله ان يتبوأ اسفل المنازل والدرجات في سلم الرقي الحيواني لما يصدر عنه من شرور وآثام، وسلوك شاذ.

إن الفرد المسلم في المجتمع الرسالي الاسلامي يجب أن يقدم الولاء، والطاعة، والتبعية، في كافة الأمور إلى الجماعة وإمامها طالما ان الجماعة بزعامة إمامها تسير في ضوء النهج الإلهي. وإذا ظهر أي خلاف في هذا التجمع الرسالي، فيجب أن يُحلّ هذا الخلاف في ضوء النهج الإلهي.